الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمي

جامعة الفاتح

قسم العمل الاجتماعي\شعبة الحضارات المقارنة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في التاريخ الإسلامي.

بعنوان: تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من(451-668هـ\1059-1269م).

إعداد الطالب:سالم أبوالقاسم محمد غومة

إشراف أ د:نجاح صلاح الدين القابسي.

العام الجامعي 2003-2004ف.

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة الفاتح _ كلية الآداب _ قسم ((كلية العلوم الاجتماعية سابقاً))

قـــــرار لجنـــة مناقشـــة رسالـــــة الإجـــازة العاليـــة (الماجستيـــر)
استناداً إلي قرار د. أمين اللجنة الشعبية للجامعة رقم ( ) لسنة 200 الصادر في
/ / 200 ف . والقاضي بتشكيل لجنة مناقشة رسالة الإجازة العالية (المـاجستـــير)

من الطالب/ سالم أبو القاسم محمد عجوة

وعنـــوانهـــــا :

((نظم المؤسسة العسكرية في دولة المرابطين والموحدين خلال الفترة من 451-668 / 1059-1269 م))

من الأخوة الأساتذة :

1أ.د. نجاح صلاح الدين القابسي	مشرفاً ومقرراً
2أ.د. بشير رمضان التليسي	عضـــــوا
3أ.د. محمد حسن محمد باشا	عضـــــوا

وفي جلسة علنية عند الساعة العاشرة صباحاً يوم الاحد 2007/1/16 بمبنى كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية سابقاً. وبعد إجراء المناقشة العلنية والتداول أصـدرت اللجنـة بإجمـاع الآراء قرارها بمنح الطالبة / سالم ابو القاسم محمد عجوة درجة الإجازة العالية الماجستير في العلوم الاجتماعية / تخصص التاريخ الإسلامي على رسالته وعنوانها ((نظم المؤسسة العسكرية في دولة المرابطين والموحدين خلال الفترة من 451-668 / 1059-1269 م))

وتوصي اللجنة .....

توقيعات لجنة المناقشة :

1أ.د. نجاح صلاح الدين القابسي	مشرفاً ومقرراً
2أ.د. بشير رمضان التليسي	عضـــــوا
3أ.د. محمد حسن محمد باشا	عضـــــوا

أ.د. التهامي الطاهر الترهوني
مدير مكتب الدراسات العليا
أمين اللجنة الشعبية للكلية المكلف

أ.د. نجاح صلاح الدين القابسي
الأمين المساعد بجامعة الفاتح

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
الفصل التمهيدى:	
المقدمـــــــة	أ
دراسة تاريخية مركزه لأهم سمات الدولة المرابطية والموحدية	ح
الفصل الأول:تطور الجيش في دولة المرابطين:	
المبحث الأول :التركيبة الاجتماعية المكونه لعناصر الجيش المرابطي	2
أ- قبائل صنهاجة	2
ب.قبائل المصامدة	6
جـ- قبائل زناتة	8
د- قبائل العرب	9
هـ العبيد السودان	10
و- عناصر النصارى المرتزقة	11
المبحث الثاني :الفرق العسكرية في الجيش_المرابطي	14
أ فرقة المشاة	14
ب.فرقة الأبالة	15
ج.فرقة الفرسان	16
د/ فرقة الحرس الخاص	18
المبحث الثالث:النظم العسكرية في الجيش المرابطي	20
أ-القيادة العسكرية للجيش المرابطي	20

ب ـ الأسلحة عند الجيش المرابطي 23
ج ـ الطبول واستخدامها عند الجيش المرابطي 24
د- الرايات واستخدامها عند الجيش المرابطي 25
هـ ـ فنون القتال عند الجيش المرابطي 26
و- فن الحصار والخطط العسكرية عند الجيش المرابطي 29

الفصل الثاني.تطور الأسطول المرابطي ومنشاته الدفاعية:

المبحث الأول-: تطور الأسطول المرابطي 32
أ نشأة الأسطول المرابطي 32
ب- النشاط الحربي للأسطول المرابطي 35
جـ - قيادة الأسطول المرابطي 37
د ــ أنواع وخصائص السفن المرابطية 39
هـ- القواعد البحرية ودور الصناعة 41
المبحث الثاني: تطور المنشآت الدفاعية المرابطية 44
أ.الحصون 44
ب.الأسوار 47

الفصل الثالث.تطور الجيش في دولة الموحدين:

المبحث الأول :التركيبة الاجتماعية المكونة لعناصر الجيش الموحدي 52
أ- قبائل المصامدة 52
ب قبائل صنهاجة 55
جـ - العبيد السودان 57
د.قبائل زناتة 58
هـ.قبائل العرب 60
و.عناصر الغز 63

ز.النصارى المرتزقة	64
ح.الأندلسيون	66
المبحث الثاني.الفرق العسكرية بالجيش الموحدي	68
أ- فرقة المشاة	68
ب.فرقة الرماة	69
ج.فرقة الفرسان	70
المبحث الثالث عدة الجيش	73
أ.الأسلحة تنوعها عند الجيش الموحدي	73
ب- الزي العسكري للجندي الموحدي	75
ج - الرايات عند الجيش الموحدي	76
د - الطبول واستخداماتها في الجيش الموحدي	78
المبحث الرابع:_ النظم العسكرية في الجيش الموحدي	81
أ- مراسم الجيش الموحدي	81
ب - تمييز (استعراض) الجيش الموحدي	82
ج - الخطط العسكرية عند الجيش الموحدي	84
د.القواعد العسكرية للجيش الموحدي	86
المبحث الخامس: المناصب الإدارية في الجيش الموحدي	88
أ.القيادة العسكرية للجيش	88
ب - الكاتب العسكري	89
ج.صاحب العلامات	89
د.محركو السافه	89
هـ - صاحب البريد	90

الفصل الرابع:تطور الأسطول الموحدي ومنشآته الدفاعية:

المبحث الأول:تطور الأسطول في دولة الموحدين	92
أ. نشأة الأسطول الموحدي	92
ب - القيادة العسكرية للأسطول الموحدي	94
ج.القواعد العسكرية ودور الصناعة	97
د.أنواع السفن في الأسطول الموحدي	101
هـ - النشاط العسكري للأسطول الموحدي	103
المبحث الثاني:تطور المنشآت الدفاعية الموحدية	106
أ.الحصون	106
ب.الأبراج	108
ج.الأسوار	109
د.المواد المستخدمة في البناء	111
الخـاتمـــة	113
قائمـــة المصـــادر والمراجـــع	115

إهداء

إلى كل شهيد سقط في سبيل إعلاء راية الإسلام على أرض الأندلس

إلى أبي وأمي وأخوتي مسعود ورمضان وخالد

أهدي هذا الجهد المتواضع

شكـــــر وتقـــــدير

أتقـدم بـبالغ التقدير وجزيل الشكر ووافر الاحترام لأسـتاذتي الفاضـلة الدكـتورة نجـاح صـلاح الـدين القابسـي، التي شـرّفـتني بإشـرافها علـى موضـوع هـذه الرسـالة، بتوجيهاتها وإرشاداتها وملاحظاتها العلمية التي كـان لهـا دوراً كبيراً في تحديد معالم الطريق وسبل الوصول إلى الحقيقة بيسر وسهولة.

ولا يفـوتني أن أتـوجه بـالشـكر والـتقدير إلى مديرتي مكـتب الدكـتورة نجـاح ، الأخـتين هنـية ورنـدة على حسن تعاونهما.

كمـا أنـني أتقـدم بجـزيل الشكر للأستاذ الطاهر سالم المبروك سـالم، والأخت حفصة الطاهر المبروك، والأستاذ علي عـياد علـى جهـدهم الكـبير الـذي بذلوه في مراجعة هذه الدراسة لغويا.

وأتقـدم بـالشـكر والعـرفان إلى جميع العـاملين بمكتبة كلـية العلـوم الاجتماعـية ،ومكتـبة مركـز جهـاد الليبيين،ومكتـبة كلـية الدعـوة الإسـلامية ،والمكتـبة القومـية،والى كـل من قدم لي العون ماديا أو معنويا في سبيل إتمام هذه الدراسة.

الفصل التمهيدي:

1. المقـــدمة

2. دراسة تاريخية مركزة لأهم سمات الدولة المرابطية والدولة الموحدية.

المقدمـــــــة

يتـــناول موضـــوع الـــبحث دراســـة تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والمـــوحدين في الفترة من (451ـــ668هـــ \1059ـــ1269م)،هاتين الدولتين اللتين تمكنتا من إقامة أعظم دولتين في تلك الفترة بالمغرب والأندلس،وخصوصا أن بلاد المغرب كانت تعاني من التفكك والدويلات القزمية التي لاتكاد نطلق عليها اسم دولة،وبالتالي تم في عهد المرابطين والموحدين توحيد قبائل بلاد المغرب،مما كان له دوره في نجدة الأندلس وتلبية استغاثة أهلها والحـــد من التقدم النصراني ،وتلا ذلك ضم الأندلس إلى المغرب في دولة واحدة عرفت باسم دولـــة المـــرابطين، وتكرر الأمر ثانية في عهد الموحدين ولا شك أن ذلك مرجعه لتلك الأداة القـــوية التـــي اســـتخدمها كـــل من المرابطون والموحدون في تحقيق ذلك،ألا وهي المؤسسة العســـكرية بفروعها الثلاثة الجيش والأسطول والمنشآت الدفاعية. وهنا يكمن موضوع البحث حول تناول تطور هذه المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين.

أسباب اختيار موضوع البحث.

ترجع أسباب اختيار موضوع البحث إلى العناصر التالية:

أ- أن مـــثل هذا الموضوع رغم الجهود التي بذلت في مجاله فلا زال يحتمل دراســـات في مجاله في دولتي المرابطين والموحدين،وربما يرجع هذا إلى ندرة المادة العلمية في هذا المجال.

ب- أن قـــيام هاتـــين الدولتين يعتبر منعطفا في تاريخ المغرب والأندلس،وهذا المـــنعطف يرجع الفضل فيه إلى المؤسسة العسكرية داخل هاتين الدولتين ،والتي بفضلها تم توحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة ،وإيقاف المد النصراني تجاه القواعد الإسلامية في الأندلس،واسترجاع بعضها أحيانا .

ج- أن قيام هاتين الدولتين أدى إلى بعث الروح من جديد في القواعد العسكرية البـــرية مـــنها والبحـــرية، والمنشآت الدفاعية،إضافة إلى بناء الجديد منها وتطويره،وخاصـــة أن بـــلاد المغرب كانت حديثة العهد بالتنظيم العسكري على المستوى الذي يمكن أن ندعوه بالمؤسسة العسكرية بمختلف فروعها.

تلك المعطيات التي أوردناها آنفاً تدعونا إلى طرح تساؤلات؛ لإماطة اللثام عن جوانب غامضـــة في مجال المؤسسة العسكرية لنتمكن من رسم صورة واضحة المعالم لها مما يسهل فهم دورها التاريخي، الذي حفظته لنا المصادر المختصة، ومن هذه التساؤلات مايلي:

في عدة عناصر ،ومن ذلك قبائل صنهاجة والمصامدة، وزناتة، والعرب، والعبيد السودان،والنصارى المرتزقة،أما المبحث الثاني فهو يتناول الفرق العسكرية في الجيش المرابطي ،وهي فرقة المشاة ،والأبالة، والفرسان، والحرس الخاص،مع توضيح دور هذه الفرق في تطور الجيش،أما المبحث الثالث فهو يتناول النظم العسكرية في الجيش المرابطي،ولقد تمثلت هذه النظم في عدة عناصر: وهي القيادة العسكرية للجيش،وتطورها،ومن بعد يأتي دور الأسلحة الخاصة بالجيش،وكذلك تم تناول ظهور الطبول، والرايات،واستخداماتها،وأخيرا في هذا المبحث تم تناول فنون القتال ،وفن الحصار ،والخطط العسكرية للجيش المرابطي.

والفصل الثاني أفردته لدراسة تطور الأسطول والمنشآت الدفاعية في دولة المرابطين،ولقد قسمته إلى مبحثين:المبحث الأول تناولت فيه تطور الأسطول ،والذي جاء من خلال الحديث عن نشأة الأسطول ونشاطاته العسكرية،كما تم الحديث عن أنواع السفن المرابطية وخصائصها،أما المبحث الثاني فلقد أفردته للحديث عن تطور المنشآت الدفاعية المرابطية والتي قسمتها إلى قسمين الحصون،والأبراج.

أما الفصل الثالث فلقد خصصته لدراسة تطور الجيش في دولة الموحدين ،ولقد قسمته إلى خمسة مباحث ،تناولت جوانب مختلفة من الجيش،إذ تناول المبحث الأول دراسة العناصر المكونة للتركيبة الاجتماعية للجيش ،ولقد تمثلت في: قبائل المصامدة، وصنهاجة، والعبيد السودان، وقبائل زناتة ،والعرب ،وعناصر الغز، والنصارى المرتزقة، والأندلسيون،أما المبحث الثاني فلقد ركزت فيه علي دراسة الفرق العسكرية بالجيش الموحدي ،وهي: فرقة المشاة، والرماة، والفرسان،وهنا ركزت علي جوانب التطور التي تميز الموحدين عن المرابطين،أما المبحث الثالث فلقد أفردته لعدة الجيش الموحدي من أسلحة، وزي عسكري ،ورايات وطبول،مع بيان استخداماتها، وجوانب التطور فيها،أما عن النظم العسكرية للجيش الموحدي ،فلقد كانت موضوع المبحث الرابع،والتي تكونت من عدة عناصر وهي: مراسم الجيش، وتمييزه(استعراضه)،والخطط العسكرية التي اتبعها ،والقواعد العسكرية التابعة له،وأخيرا المبحث الخامس والذي تم فيه تناول المناصب الإدارية في الجيش الموحدي،وأبرزها: القيادة العسكرية،والكاتب العسكري، وصاحب العلامات ،ومحركو الساقة ،وصاحب البريد.

وأخيـــرا الفصـــل الـــرابع وقـــد تعـــرض لتطور الأسطول، والمنشآت الدفاعية عند الموحدين،ولقد قسمته إلى مبحثين:المبحث الأول تم فيه دراسة نشأة الأسطول،وقيادة الأسطول، والقواعد العسكرية ،وأنواع السفن ،والنشاط العسكري للأسطول،أما المبحث الثاني فلقد تناولت فـيه تطـور المنشـآت الدفاعـية المـوحدية، والتـي تمـثلت فـي الحصون ،والأبراج، والأســـــــــوار ،والمواد المستخدمة في البناء.

ولقد حرصت خلال هذه الدراسة علي توضيح الدور الكبير الذي قام به المرابطون في سبيل بناء مراسم للمؤسسة العسكرية لبلاد المغرب والأندلس ومراحل تطورها،أما عند دراسة المؤسســـة العســـكرية عـــند المـــوحدين فقد حرصت على بيان جوانب التطور التي أدخلها الموحدون علي المؤسسة العسكرية التي ورثوها عن المرابطين.

دراســـــة لأهـــــم مصـــادر البـــحث

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

(المراكشي)لأبي محمد عبدالواحد بن علي (ت 647هـ\1249م) الذي ولد في مدينة مـــراكش سنة(581 هـــ\1158م) أيام الدولة الموحدية،وتلقى علومه الدينية في مراكش وفاس علـــي أيـــدي كبار علماء ذلك العهد،ثم رحل إلى الأندلس في سن الثانية والعشرين حيث تلقى العلم على شيوخ الأندلس وفي سنة 613هـــ\1216م رحل إلى المشرق.

ولقـــد صـــنف كـــتابه هذا،الـــذي فاض بالتعرض الأحداث السياسية للدولة الموحدية ونظمها، ولقد انتهي من كتابته سنة 621هـــ\1224م،ولذا يعتبر هذا المصدر من أهم مصادر الـــتاريخ الإسلامي في المغرب في عهد الموحدين،كما يمكن أن نضيف إلى ذلك أنه تعرض لبعض الجوانب العسكرية للدولة المرابطية والتي أمدت الدراسة بجانب من احتياجاتها، خاصة ما يتعلق منها بالنظم العسكرية بالمؤسسة العسكرية المرابطية مثل: فن الحصار عند الجيش، وقـــيادة الأســـطول،أما في الجانب الموحدي، فقد تعرض لفنون القتال لبعض عناصر الجيش، واستخدامات الأسلحة،والطبول وكيفية استعراض الجيش ،إضافة إلى معرفة العناصر الجديدة التي دخلت بالجيش الموحدي ،والتعرف علي التحصينات التي قام بها الموحدين.

_الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية.

لمؤلف مجهول صنفه سنة(783هـ1381م)،ولقد أورد حقائق هامة لها علاقة بقيام دولة المرابطين وجهادهم في الأندلس،وأفاد الدراسة عند تطرقه للنظام العسكري لهذه الدولة،وخصوصا عند تناوله لمراسم الجيش ،والقيادة العسكرية للفرق والعناصر ، وفنون الجيش القتالية،كما أنه تعرض إلى امتلاك المرابطين للقواعد البحرية، وأنواع السفن عندهم،أضف إلى ذلك تناول المنشآت الدفاعية لدى المرابطين وكيفية بنائها وترميمها، وأبرز الشخصيات التي ساهمت في ذلك.

كما أنه تناول النظم العسكرية الموحدية،ومن ذلك الفرق العسكرية داخل الجيش، وأنواع الأسلحة، والهيئات التي استحدثها المهدى محمد بن تومرت ،ودورها في الجانب العسكري،والخطط العسكرية ،وأنواع مراسم الجيش الموحدي،وكذلك أمدنا بمعلومات حول الأسطول مثل: قيادته العسكرية، ودور الصناعة، والقواعد البحرية عند الموحدين،إضافة إلى ذلك إعطاء فكرة عن التحصينات العسكرية لدى الموحدين في المغرب والأندلس.

_ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس.

(ابن أبي زرع) لأبي الحسن علي بن عبدالله الفاسي(ت726هـ1325م)،ولقد تناول كتابه هذا دراسة عدد من دول المغرب الأقصى،مثل: دولة الأدارسة ،ودولة زناتة ،ثم دولتي المرابطين والموحدين،وأخيرا دولة بنى عبدالحق ،أو بنى مرين.

ولقد أفدتُ منه بخصوص دولة الرابطين وذلك من خلال تناوله لبعض العناصر التي انضمت للجيش المرابطي،إضافة للنشاط العسكري للأسطول المرابطي،وبعض التفصيلات عن التحصينات المرابطية،أما بخصوص دولة الموحدين ،فلقد تناول بعض العناصر ،والفرق في الجيش الموحدي،وهيكليته، ومدى الاهتمام الذي بلغه الموحدون في مجال صناعة الأسلحة،كما أنه تناول تفصيلات مفيدة عن الخطط العسكرية التي اتبعها الجيش الموحدي،والقيادات العسكرية له،وبخصوص الأسطول فلقد تناول بناء الموحدين لدور صناعة السفن ،والقواعد البحرية ،وإنشاءهم لعدد من أنواع السفن،والى جانب ذلك وجدت فيه معلومات عن التحصينات الموحدية وخصوصا بناء الأسوار.

_المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.

لمؤلفه(البكري) أبي عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (432ـ 487هـ\1040ـ 1049م)،ولـد بقرطبة وفيها توفى،ولقد تناول في كتابه الأيام الأولى لدولة المرابطين،والدور الكبير الذي لعبه أمراء المرابطين الأوائل في تأسيس دولتهم،كما أنه عرض للأسلوب البدائي الـذي اتـبعه الجيش المرابطي في القتال،إضافة إلى تناوله أهم الفرق العسكرية المكونة لنواة الجيش المرابطي.

_المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين

لمـؤلفه (ابـن صاحب الصلاة) أبي مروان عبدالملك بن محمد الباجي (ت 594هـ 1197م)،لقـد كان هذا الكتاب في الأصل ثلاثة أجزاء تبدأ من فترة المهدى محمد بن تومرت وتنتهـي بوفاة المؤلف.والموجود منه الجزء الثاني،وأحداثه امتدت عبر سنتي 554و569هـ 1159و1173م،ولقـد جـاء زاخرا بالمعلومات عن النظم السياسية، والإدارية، والديـنية ،والعسكرية، والمالية لدولة الموحدين،ومن هنا جاء الاعتماد عليه كبيرا،وذلك لتناوله الحديث عن أهم العناصر والفرق التي انضمت للجيش الموحدي،كما أنه تناول بشكل مفصل ما يتعلق بعـدة الجـيش والمناصـب العسـكرية داخله والنظم العسكرية له،ولم يغفل كذلك الأسطول، والمنشـآت الدفاعـية ،حـيث تـناول دور صـناعة السفن ،وبعض استخدامات الأسطول، والحصون، وأبرز الشخصيات التي ساهمت في ذلك ،كما تناول المواد المستخدمة في البناء.

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر.

لمـؤلفه (ابن خلدون) أبي زيد عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ\1405م) ولقد ألفه فـي المغـرب فيما بين عامي 776ـ780هـ\1374ـ1378م،و مما شمله كتابه هذا تاريخ دولتـي المـرابطين والموحدين وخصوصا السياسي،وتركز ذلك في الجزء الأول، والسادس ،والسابع ،ولم يهمل فيهما الحديث عن بعض الجوانب ذات العلاقة بالمؤسسة العسكرية لهاتين الدولتـين،كما أن الجـزء الأول الذي يسميه بالمقدمة اشتمل علي العديد من النظم العسكرية لهاتين الدولتين،وفي الحقيقة إن نقطة الإفادة من هذا المصدر تركزت في تعداده للقبائل المكونة للجيش المرابطي والموحدي،وأصولها.

- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين.

لمـــؤلفه **(البـــيذق) أبوبكـــر بن علي الصنهاجي (ت 594هـــ1159م)**ولقد كان هذا صديقا ومرافقا للمهدى محمد بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية،وبالتالي جاءت روايته عن الدولـــة المـــوحدية واضحة وواقعية ،ولقد أفدت منه في العديد من المواقع، منها: تناوله لأهم الحصون المرابطية بشكل من التفصيل والدقة ،إضافة إلى تناوله لأهم العناصر ،والفرق التى كـــونت الجيش الموحدي،واهتمام الموحدين بتربية الخيول والإكثار منها ،كما أنه تناول بعض الأسلحة الموحدية، مثل: المنجنيق،وذكر كذلك استخدام الرايات ،والطبول عند الجيش،كما أنه تناول بناء دور الصناعة للسفن وأنواع السفن ،وبناء الحصون،والأبراج لدى الموحدين.

- الروض المعطار في خبر الأقطار.

لمـــؤلفه **(الحميـــري) أبي عبدالله محمد بن عبدالمنعم(توفي في أواخر القرن التاسع الهجرى)**،وهو يعتبر من المصادر الهامة التي تزودنا بمعلومات هامة عن الأسطول، والقواعد البحرية في عهد دولتي المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.

أهم سمات الدولة المرابطية :

امتدت دولة المرابطين من حوض بلاد السنغال جنوبا إلى المغرب الأقصى غربا حتى وصلت بلاد الأندلس شمالا،وينتسب مؤسسوها إلى الملثمين والذين عرفوا بالمرابطين لمرابطتهم برباط السنغال.والذين يرجعون إلى قبيلة لمتونه الصنهاجية التي تولت في البداية زعامة قبائل صنهاجة القاطنة بالصحراء[1]،وعند زوال نفوذ قبيلة لمتونه تولى رئاسة الملثمين من بعدها قبيلة جداله الصنهاجية،التي خضعت لسلطة الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي (ت سنة 430هـ\1038م).

خرج يحيى بن إبراهيم الجدالي (ت سنة 430هـ\1038م) لطلب العلم وجعل الخلافة من بعده لابنه إبراهيم[2].الذي استمر في تسيير أمور الملثمين،وعند رجوع أبيه من رحلته للمشرق نزل بمدينة القيروان،حيث قابل هناك أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي بالمغرب،وطلب منه أن يدله على أحد طلبته المتعلمين والمتفقهين في أمور الدين،ليذهب معه إلى قومه الملثمين الذين طغت عليهم عادات الجاهلية،لتعليمهم أمور الإسلام[3]، فتم اختيار الفقيه عبد الله بن ياسين(ت سنة 451هـ\1059م) ذى الأصل السوسي،ولقد تميز هذا بالفطنة ،والدين ،والورع،والأدب والسياسة[4]،ودخل ديار الملثمين وباشر في أداءرسالته في، تعليمهم أسس الدين الإسلامي وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وترك عادات الجاهلية،ويبدو أن رسالة عبد الله بن ياسين (ت سنة 451هـ\1059م)كانت ثقيلة على هؤلاء فسرعان ما شعروا بالملل من تعاليمه المتشددة في نظرهم،مما جعلهم ينصرفون عنه[5]،الأمر الذي أدى إلى استياء الفقيه عبد الله بن ياسين منهم ورحل إلى السنغال واستقر بجزيرة نائية هناك،حيث لحق به بعض الذين اقتنعوا برسالته ورابطوا معه هناك .وأطلق عليهم اسم المرابطين[6].

ويئس الفقيه عبد الله بن ياسين من لم شمل قبائل صنهاجة في الصحراء تحت راية واحدة وهي راية الإسلام بسياسة السلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وذلك لإصرارهم

---

[1] مؤلف مجهول،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،حققه د.سهيل زكار ـ عبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1391 هـ\1979م،ص17.

[2] ابن أبي زرع،أبو الحسن علي الفاسي،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،تحقيق دار المنصور دار المنصور للنشر والطباعة والوراقة،الرباط،ص122.

[3] مؤلف مجهول ،المصدر السابق،ص20.

[4] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص124.

[5] المصدر نفسه،ص24 وما بعده.

[6] ابن خلدون،ولي زيد عبد الرحمن بن محمد،العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،دار الكتب العلمية،منشورات محمد علي بيضون،بيروت،لبنان،1992م،ج6،ص216.

علـــى الـــباطل والمنكر،الأمـــر الذي جعله يغير سياسته إلى استخدام قوة السيف[7]،وبفعل هذه السياسة حقق ما أراده بل نجده يمد نفوذه إلى قبائل المغرب،وبهذه السياسة وطد دعائم الدولة الناشـــئة وبـــدأ بتوسيع حدودها وزاد نفوذها الأمر الذي ساهم في تطورها وخاصة في عهد خلفائه[8] من بعده.

ومن هنا يمكن ملاحظة أهم العوامل التي ساعدت علي قيام وتطور دولة المرابطين :

1. قيامها بتصحيح فكرة قبائل المغرب عن تعاليم الإسلام باعتمادها علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
2. الاعتماد علي الجانب العسكري في سياسة هذه الدولة لتفعيل أهدافها مما أدى إلى توحيد شمل قبائل صنهاجة ولحمة دولتهم،الأمر الذي يجعل الطابع العسكري مميزا لدولتهم.

إضافة لذلك ساهمت عدة عوامل في توطيد نفوذ دولة المرابطين ومنها:-

1. الظلم والاضطهاد الذي تلقاه القبائل القاطنة بإقليم درعة،وسجلماسة على يد قبائل الزناتيين[9].

ولقد وصل خبر نفوذ المرابطين إلى المغرب الأقصى،وبدأت القبائل القاطنة بإقليم درعة، وسجلماسة المستضعفة من قبل الزناتيين ترى أن المرابطين هم المخلصون لهم،فكان أن أرسلوا وفدا من فقهائهم وطلبوا النجدة، مع تلميحهم عن رغبتهم في الاستفادة دينيا من المرابطين والرغبة في الإصلاح ونشر تعاليم الإسلام،والمهم هنا عندهم التخلص من خطر الزناتيين والمغراويين بزعامة مسعود بن وانودين[10].

فكان أن حدثت حروب متواصلة بين المرابطين وملوك زناته المغراويين،وكانت نهايتها انتصار المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين على زناته المغراويين والاستيلاء على جزء من أملاكهم[11]، ومن المؤكد أن تلك القبائل التي قدم لها المرابطون النجدة قد قدمت كذلك لهم العون؛ لتسهيل مهمة المرابطون هناك بالمغرب،وبالتالي كل ذلك ساهم في توسيع دائرة

---

[7] ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص216.
[8] يوسف بن تاشفين ت 500هـ/1106م؛ علي بن يوسف بن تاشفين ت537هـ/ 1142م؛ تاشفين بن علي ت540هـ/1145م)
[9] المصدر السابق،ص216.
[10] ابن أبي زرع ،المصدر نفسه،ص127.
[11] ابن ابي زرع،المصدر السابق،ص128.

1088م،جعل هذا الأمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يجهز جيشاً بالتعاون مع المعتمد بن عباد،وفي هذه الأثناء تخاذل باقي ملوك الطوائف في تقديم المساعدة للجيش المرابطي ورفض الانضمام إليه ضد النصارى[18] ،ولقد كان سبب هذا التخاذل خوفهم من سيطرة المرابطين على ممالكهم في الأندلس ،وسوف يكون هذا التخاذل بالفعل سببا من أسباب سيطرة المرابطين على الأنـــدلس ،عند عبور المرابطين إلى الأندلس هذه المرة لم يؤتى نتائج جمة في الأندلس ،مما زاد من حنق أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف[19]،ورجع إلى المغرب وهو علـــي قناعة تامة من أن توحيد الأندلس تحت راية المرابطين وضمها إلى دولتهم يكون جبهة قوية في وجه المد النصراني الأسباني المتطلع إلى القضاء على المسلمين في الأندلس .

بعـــد أن قـــدم المرابطون المساعدة لملوك الطوائف وردوا خطر النصارى الذي هدد الأنـــدلس ،كـــان رد بعـــض ملوك الطوائف على هذا الصنيع بأن تحالفوا مع النصارى ضد المرابطين خشية ضياع عروشهم،وبالتالي عزم المرابطون على الاستيلاء على الأندلس بعد أن اطلعوا على مثالب ملوكها ،وما تنفرد به من خيرات وإمكانيات كبيرة تساهم في الرقي بدولتهم وتطور مختلف مؤسساتها،لذا قام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (453هـ-500هـ/1061م-1106م)بتجهيـــز جيش والعبور به إلى الأندلس سنة 483هـ/1090م، لصد الخطر النصراني المتجدد على الأندلس كما قام بعملية عزل ملوك الطوائف من مناصبهم[20] وألقى القبض علي أهم ملوكهم المعتمد بن عباد، وواصل فيها حركة الجهاد في الأندلس بعد ضمها إلى ممتلكات دولـــة المرابطين وعلي رأسها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،واسترجع عديد من المناطق التي استحوذ عليها النصارى،غير أن وفاته سنة 500هـ/1106م بعاصمة دولته في مراكش[21] عطلت هذه العمليات.

وتولي الأمر من بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين(500هـ-537هـ/1106م-1142م)أمير المرابطين،الذي حافظ على نفوذ دولته،ووزع سياسته بين الجهاد وطلب العلم فلقد وجه العديد من الحملات العسكرية إلى الأندلس لتدعيم الأمن فيها إضافة إلى إقامته الحصون وخصوصا على المناطق الثغرية وتجهيزها عسكريا،وهكذا بدأت تتطور المؤسسة العسكرية وخاصة بعد احتكاك المرابطين بالأندلسيين،هذا وقد شهد عهد أمير المسلمين علي

---

[18] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص71ومابعدها.
[19] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص152-153.
[20] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص72ومابعدها.
[21] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص83.

بن يوسف بن تاشفين ظهور خطر الموحدين،إلا أن الأمر لم يستفحل في عهده،وتوفي أمير المسلمين علي بن يوسف سنة 537هـ/1142م وخلفه ابنه أمير المسلمين تاشفين بن علي(537هـ-540هـ/1142م-1145م)ومن الملاحظ في هذه الفترة أن أمير المسلمين تاشفين بن علي بدأ في عهده الضعف يسري في كيان الدولة مما أدي إلى إهماله حماية الثغور ورعاية الجيش الأسطول،إضافة إلى استفحال خطر الموحدين بقيادة المهدي محمد بن تومرت(513 هـ-524هـ/1121م-1129م)[22]،فلقد غلب على فترة حكم تاشفين بن علي(537هـ-540هـ/ 1142م-1145م)الصراع المستمر مع الموحدين واشتد خطر النصارى في الأندلس وتهديد الصقليين لإفريقية.

ومن هنا يمكن القول أن دولة المرابطين في دور فتوتها حققت نتائج هامة بما فيها إعادة نشر تعاليم الإسلام في المغرب وتثبيتها بين القبائل، إضافة إلى توحيدها للمغرب والأندلس،كما تمكنت من تطوير مؤسساتها العسكرية التي غلب على الجيش في بدايتها طابع البداوة ،إلا أن صيتها ذاع نتيجة الانتصارات العسكرية التي حققتها علي القوات النصرانية الأسبانية وما أن توسعت حتى اصبح الجيش المرابطي له صوت وصدىً في عقر دار النصارى في الأندلس إضافة إلى الاهتمام والنهوض به حتى أصبح يحسب له ألف حساب.

أهم سمات الدولة الموحدية

تمتد دولة الموحدين من بلاد إفريقية شرقا إلى بلاد المغرب الأقصى غربا والأندلس شمالا ،وهي أوسع رقعة من دولة المرابطين،ولقد كانت بداية ظهورها بدعوة دينية علي يد المهدى محمد بن تومرت،تمكنت في نهاية الأمر من الإطاحة بدولة المرابطين والحلول محلها ومن بعد الزحف إلى بلاد الأندلس ووضعها تحت رايتها،وبالتالي نجد بلاد المغرب والأندلس تشهد ميلاد دولة جديدة.

ولقد كان لدولة الموحدين العديد من المرتكزات التي قامت عليها، والتي ساهمت في تدعيم بنائها، واكتسابها نفوذا في المغرب والأندلس، ويمكن إجمالها في مايلي:

---

[22] المؤلف مجهول المصدر السابق،ص109.

1ــ قيام المهدي محمد بن تومــرت،بالدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكــر[23] ومحاربة أفكار المرابطين المتطرفةــ وذلك حسب رؤيته ــ وبهذا الأسلوب تمكن المهدي محمد بن تومرت من الاستقرار بمنطقة أيجليز بهرغة بالمغرب الأقصى[24]وبدأ بوصف المرابطين بالنقائص ،وأطلق عليهم تسميت المجسمين وأصدر فتوى بضرورة جهادهــم[25]،وبالتالي تمكن من إقامة جبهة معارضة للمرابطين.

2ــ كما كان لبلاغة وفلسفة المهدي محمد بن تومرت دورٌ كبيرٌ في إكسابه مؤيدين،وخير دليل مساندة قبائل المصامدة له،الأمر الذي رفع نسبة نجاح دعوته،حتى أصبح يشكل خطرا كبيرا علي دولة المرابطين.

3ــ وكذلك ساهم الضعف الذي أصبحت تعانى منه دولة المرابطين في جوانبها الإدارية والعسكرية،وتخلى العديد من أنصارها عنها من قبائل المغرب[26]،في تهيئة الجو الملائم للموحدين حتى ينزلوا ضربتهم العسكرية بالموحدين.

4ــ عند ضرب الموحدين للدولة المرابطية في عقر دارها بمراكش ،أثر ذلك علي أوضاع الأندلس لارتخاء قبضة المرابطين عليها،حيث أصبح يهددها خطر النصارى من جديد،وهذا جعل الموحدين يعقدون العزم علي التوجه صوب الأندلس وخصوصا أنهم أطاحوا بدولة المرابطين وأصبحوا يدخلون في عصر هام من الازدهار والتطور،وكان ذلك منذ عهد عبدالــــمؤمـــــن بـــن علي الكومــي(524ــ 558هـــ1129ــ 1162م)وأبنائه من بعده حتى خلافة محمد الناصر بن يعقوب المنصور(595ــ610هـــ1198ــ 1213م).

ونتيجة إلى كل ما سبق ذكره تمكن الموحدون من إقامة دولة ضمت أجزاء كبيرة من المغرب والأندلس وتمكنت من الرقى بمختلف مؤسساتها بما فيها المؤسسة العسكرية،وخاضت أشرس المعارك مع النصارى بالأندلس وألحقت بهم هزائم كبيره وخير دليل علي ذلك موقعة

---

[23] المراكشي،محي الدين عبدالواحد بن علي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زينهم عزب،دار الفرجاني للنشر والتوزيع،1994م،ص147.
[24] المراكشي،المصدر نفسه،ص355.
[25] ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص247.
[26] ابن عذارى المراكشي،أبو عبدالله محمد،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تحقيق محمد بن تاويت وآخرون،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء، 1985،ص15.

الأرك سنة 561هـ1195م[27] ،وتمكنت من أن تحفظ للأندلس ماء وجهها وترفع راية الإسلام هناك.

غير أن هذه الدولة أصبحت فيما بعد تعاني من عوامل ضعف ساهمت في انهيارها ويمكن تناولها فيما يلي:

1ـ النزاع بين أبناء أمير المؤمنين عبدالمؤمن علي شؤون الحكم[28].

2ـ فشل الموحدين في استرجاع بلاد إفريقية من أيدي نصارى صقلية،وصد هجوم النصارى علي الأندلس،وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين محمد الناصر،حيث ظهرت نتائج ذلك في موقعة العقاب سنة609هـ1212م التي شهد فيها الموحدون وبال أمرهم.

3ـ بداية ظهور الحركات الانفصالية عن الدولة الموحدية،ومن ذلك الحفصيين بإفريقية[29] وبني هود وسيطرتهم علي العديد من مدن الأندلس وبني مرين وانفرادهم بجزء من أملاك الموحدين بالمغرب الأقصى في عهد أمير المؤمنين المرتضى(646ـ665هـ1248ـ1266م).

وهكذا وبرغم التطور والتوسع الذي بلغته دولة الموحدين ،والذي جاء نتيجة لسياستها المدبرة والحكيمة،إلا أنها تعرضت للانهيار في أواخر أيامها نتيجة لسوء الإدارة التي لولاها لما حل بهم دور السقوط،والصراع على السلطة في البيت الموحدى ،والتخلى عن الفكر العقائدي الذي قامت على أساسه الدولة الموحدية.ففقد الحاكم مكانته المعنوية وأصبح من السهل لمن شاء التطاول على موقعه والتطلع عليه.ولاشك أن الضعف الذي سرى في بنيان الدولة كان من أهم أسباب انهيارها في الوقت الذي كانت تبدو في ظاهرها في قمة عنفوانها وقوتها.

---

[27] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص159.
[28] المراكشي،المصدر السابق،ص230.
[29] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص214.

الفصل الأول:تطـــور الجيـــش في دولة المرابطيـــن:

المبحث الأول:التركيبة الأجتماعية المكونة لعناصر الجيش المرابطي:

أ.قبائل صنهاجـــة.

ب.قبائل المصامـدة.

ج.قبائل زناتـــــه.

د.قبائل العـــرب.

هـ.العبيد السـودان.

و.النصـــــارى المرتزقة.

المبحث الثاني:الفـــرق العسكـــرية في الجيش المرابطي:

أ.فـــرقـة المشـــاة.

ب.فـــرقـة الأبالـــة.

ج.فـرقة الفـــرسـان.

د.فـــرقة الحرس الخاص.

المبحث الثالـــث:النظم العسكـــرية في الجيـــش المرابطي

أ.القيـــادة في الجيـــش المرابطي.

ب.أسلحـــة الجيـــش المرابطي.

ج.الطبـــول عند الجيش المرابطي.

د.الرايـــات عند الجيش المرابطي.

هـ.فن القتـــال عند الجيش المرابطي.

و.فن الحصـــار والخطط العسكـرية عند الجيش المرابطي.

المبحث الأول :التركيبة الاجتماعية المكونة لعناصر الجيش المرابطي:

قامـــت دولـــة المرابطين في الصحراء جنوب بلاد المغرب،في الوقت الذي افتقر فيه المغـــرب لمثل هذه الدولة بنظمها وقوتها العسكرية،وحتى لو وجدت فهي عبارة عن دويلات ضعيفة غير منظمه تفتقر للقوة العسكرية. ولقد اعتمدت دولة المرابطين في قيامها على توحيد قبائل صنهاجة الساكنة جنوب الصحراء، تحت قياده واحدة ذات طابع عسكري أساسه التعاليم الإسلامية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هنا ظهرت الحاجة لتأسيس وبناء جيش قوي يكون دعامة لهذه الدولة في تحقيق أهدافها.

وانحصـــرت العناصر المكونة للجيش المرابطي بداية أمر المرابطين سنة 439هـــ/ 1042م في قبائل صنهاجة،ثم تنوعت هذه العناصر مما ساهم في تأسيس أول جيش منظم في المغرب لدولة قامت هناك بعد الفتوحات الإسلامية الأولى، ولقد عكست تلك العناصر المتعددة والمتنوعة دور التركيبة الاجتماعية في تكوين الجيش والتي وظفها بعد ذلك المرابطون لتحقيق أهدافهم التوسعية.

ومن هنا سوف يتم تناول هذه العناصر وذلك ببيان كيفية دخولها في طاعة دولة المرابطين ومساهمتها في بناء وتأسيس الجيش المرابطي، والدور الذي قامت به في حروب المرابطين. ونلفت الانتباه إلى أن ترتيب عناصر الجيش المرابطي في هذا البحث، جاء ترتيبا زمنيا، أي حسب الأسبقية في الانضمام تحت راية المرابطين:-

أ- قبـائـل صنـهـاجة :

تسمي القبائل الصنهاجية، التي نحن بصدد الحديث عنها، باسم صنهاجة الجنوب وذلك لســكنهم جــنوب الصـــحراء تمييزا لهم عن غيرهم من القبائل الصنهاجية التي سكنت شمال الصـــحراء بســواحل بلاد المغرب. ولقد اتخذت صنهاجة الجنوب من اللثام لباسا ميزها عن غيــرها مــن القبائل التي سكنت المغرب،وهذا ما جعل المصادر التاريخية تطلق عليهم لفظ الملثمـــين[30]،ويفسر صاحب الحلل الموشية[31] لباسهم للثام بأنه خدعة حربية قام بها رجال هذه

---

[30]-ابن خلدون،المصدر السابق، ج6،ص214.

[31]- مؤلف مجهول،المصدر السابق ص28.

المبحث الأول :التركيبة الاجتماعية المكونة لعناصر الجيش المرابطي:

قامـــت دولـــة المرابطين في الصحراء جنوب بلاد المغرب،في الوقت الذي افتقر فيه المغـــرب لمثل هذه الدولة بنظمها وقوتها العسكرية،وحتى لو وجدت فهي عبارة عن دويلات ضعيفة غير منظمه تفتقر للقوة العسكرية. ولقد اعتمدت دولة المرابطين في قيامها على توحيد قبائل صنهاجة الساكنة جنوب الصحراء، تحت قياده واحدة ذات طابع عسكري أساسه التعاليم الإسلامية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هنا ظهرت الحاجة لتأسيس وبناء جيش قوي يكون دعامة لهذه الدولة في تحقيق أهدافها.

وانحصـــرت العناصر المكونة للجيش المرابطي بداية أمر المرابطين سنة 439هـــ/ 1042م في قبائل صنهاجة،ثم تنوعت هذه العناصر مما ساهم في تأسيس أول جيش منظم في المغرب لدولة قامت هناك بعد الفتوحات الإسلامية الأولى، ولقد عكست تلك العناصر المتعددة والمتنوعة دور التركيبة الاجتماعية في تكوين الجيش والتي وظفها بعد ذلك المرابطون لتحقيق أهدافهم التوسعية.

ومن هنا سوف يتم تناول هذه العناصر وذلك ببيان كيفية دخولها في طاعة دولة المرابطين ومساهمتها في بناء وتأسيس الجيش المرابطي، والدور الذي قامت به في حروب المرابطين. ونلفت الانتباه إلى أن ترتيب عناصر الجيش المرابطي في هذا البحث، جاء ترتيبا زمنيا، أي حسب الأسبقية في الانضمام تحت راية المرابطين:-

أ- قبـائـل صنـهـاجـة :

تسمي القبائل الصنهاجية، التي نحن بصدد الحديث عنها، باسم صنهاجة الجنوب وذلك لســكنهم جــنوب الصـــحراء تمييزا لهم عن غيرهم من القبائل الصنهاجية التي سكنت شمال الصـــحراء بســواحل بلاد المغرب. ولقد اتخذت صنهاجة الجنوب من اللثام لباسا ميزها عن غيـــرها مـــن القبائل التي سكنت المغرب،وهذا ما جعل المصادر التاريخية تطلق عليهم لفظ الملثمـــين[30]،ويفسر صاحب الحلل الموشية[31] لباسهم للثام بأنه خدعة حربية قام بها رجال هذه

---

[30]-ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص214.

[31]- مؤلف مجهول،المصدر السابق ص28.

القـبائل للعـدو حتى يظن أنهم نساء،فإذا أدبر انقضوا عليه.أما الباحث حسن أحمد محمود[32] فيفسـر لباسـهم للثام بأنه نتيجة لأسباب صحية،مثل اتقاء رمال الصحراء ومن الواضح أن التفسير الثاني أقرب للحقيقة وذلك لأن سكان الصحراء مازالوا يستخدمون اللثام إلى حد الآن للسبب نفسه ـ والمهم هنا أن تسمية الملثمين جاءت من اللثام.

كـان عـدد القـبائل الصنهاجية الملثمة كبيرا جدا ومنها: جداله، ولمتونه، ومسوفه، وتـريكة، ونواكة وزغاوة ،ولمطه. وكانت القبيلة منهم تنقسم إلى عدة بطون، أما ديانتهم في الجاهلية فكانت المجوسية[33]،وبعد الفتوحات الإسلامية للمغرب اعتنقت هذه القبائل الإسلام.

وكانت هذه القبائل على معرفة كبيرة بالصحراء ومجاهلها[34] مما جعل لها نفوذا كبيرا هـناك،غير أن هذه القبائل افتقرت إلى التنظيم وذلك لغياب القيادة السياسيةوالعسكرية، إضافة إلـى تناثـرها فـي الصحراء واختلاف كلمتها.واستمر هذا الحال حتى عهد المرابطين الذين تمكـنوا بفضل قيادتهم السياسة والعسكريةـ التي يدعمها الإسلام وتعاليمه ـ من توحيد هذه القبائل وتكوين أساس بناء الجيش المرابطي.

لعـبت هـذه القبائل، منذ عصر الفقيه عبدالله بن ياسين، دورا كبيرا في تشكيل نواة الجـيش المرابطـي،وكان ذلك في مرحلة بنائه،التي غلب عليه فيها طابع البداوة وقلة التنظيم والعـدد،حيث بلغ تعداده حوالي ألف من رجال هذه القبائل الذين اعتنقوا الإسلام بشكل فردى وعلي مراحل،[35]،وهذا هو سبب قلة عدد الجيش في بداية الأمر.

وانحصـرت مهام الجيش المرابطي في البداية في إخضاع باقي قبائل صنهاجة التي استعصـى أمـرها مثل قبائل لمتونه، وجداله، ومسوفه[36]،وبالطبع ساهم ذلك في بناء الجيش المرابطي. وبعد أن دخلت القبائل الصنهاجية القاطنة بالصحراء بأكملها تحت راية المرابطين تم توحيدها تحت راية واحدة بزعامة الفقيه عبد الله بن ياسين،ثم توجهت أنظار المرابطين إلى شـمال الصحراء صوب بلاد المغرب لنشر تعاليم الإسلام أولا، والتوسع والسيطرة على تلك

---

[32]- حسن أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،ط2،الفكر العربي،مدينة نصر ،القاهرة،1996م ص42

[33]- ابن خلدون،المصدر نفسه،ج6،ص215.

[34]- ابن خلدون ،المصدر نفسه،ج6،ص219.

[35]-،المصدر السابق،ج6،ص216.

[36]-،المصدر السابق،ج6،ص216.

الـــبلاد ثانـــيا. وأدى انتشـــار خبـــر قوة المرابطين إلى استنجاد بعض القبائل القاطنة بأقليم درعـــــه ،وسجلماسة بهم ــ والتي عانت من الاضطهاد على يد قبائل زناته المغراويين ــ . ولقد أعلنت القبائل المستنجدة ترحيبها بزحف المرابطين على بلاد المغرب،مما دفع الفقيه عبد الله بـــن ياســـين إلـــى الخروج في جيش كثير العدد من قبائل صنهاجة خاض حـــروبا بإقليم درعـــه[37] ،وسجلماســـة بالمغرب الأقصى حيث قطنت قبائل زناته المغراويين[38]. ولقد توفى الفقيه عبد الله بن ياسين هناك سنة 451هـــ/1059م[39] عند محاربته لقبائل برغواطة.

وصـــمد جـــيش المـــرابطين بعـــد وفاة الفقيه عبد الله بن ياسين ولم يتفكك. واستمر المرابطون بمواصلة الزحف نحو شمال الصحراء تجاه بلاد المغرب ،ولقد غلب على الجيش المرابطـــي فـــي هـــذه الفتـــرة كثرة الجند من قبائل صنهاجة وزادت مشاركتهم ضمن جيش المـــرابطين بسبب أخبار الانتصارات التي حققها المرابطون في بلاد المغرب ،وكثرة خيرات تلـــك البلاد. ولقد شارك الصنهاجيون في فتح أهم ثغرين في المغرب وهما طنجة 470هـــ/ 1077م، وسبتة 477هـــ/1089م ولقد بلغ الجيش المرابطي حينها حوالي اثنى عشر ألف فارس[40] مما زاد شغف الصنهاجيين بالقتال، وزحفهم صوب الأندلس حيث خاضوا هناك أهم واشهر معركة للمرابطين ضد النصارى وهي معركة الزلاقـــــة 479هـــ/1086م[41]. في هذه الفترة بلغ الجيش المرابطي درجة كبيرة من التطور والتنظيم. ويجدر الإشارة هنا إلى أن توســـع المـــرابطين في المغرب و الأندلس ساهم في ضم عناصر من هذين الإقليمين والتي بدورها ساهمت في بناء الجيش المرابطي .

كانـــت قـــيادة القـــبائل الصنهاجية في الجيش المرابطي قبلية–أي أن القائد من نفس القبيلة– وذلك ساهم في المحافظة على وحدة الصف ،إضافة إلى دوره في تحقيق الانتصارات. وكان اشهر قادة القبائل الصنهاجية داود ابن عائشة الذي قادهم في موقعة الزلاقة[42].

37– ابن عذارى المراكشي، أبو عبدالله محمد،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،علق عليها د.إحسان عباس دار الثقافة،بيروت،لبنان،1967،ج3،ص14.

38– ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص216.

39– ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص132.

40– المصدر نفسه ،ص142.

41– المصدر نفسه،ص147.

42– المصدر نفسه،ص147.

ولقـد تميزت جند القبائل الصنهاجية بالشجاعة في ميادين القتال مما أكسبهم هيبة بين الفرسان وذلك لما رموه في النفوس من الخوف والرعب[43]. ولقد شهد لهم الغرباء بذلك ومثل ذلك ما أشاد به أحد أهالي مدينة بلنسية الأندلسية عند مدحه صنهاجة في هذه الأبيات[44]:-

قـــولوا للذر يق قد ظهرا أونقدوه إذا ما طيره زجرا
سيوف صنهاجة في كل معترك تأبى لأطياره أن تصف الخبرا

وهكـذا فـإن قـبائل صـنهاجة كانت تفضل الموت على الانهزام ولم يشهد لها يوما بالفـرار[45]،وهـذا ما جعل القاضي أبو الحسن يشيد بها في قصيدة امتدح فيها أحد قادة قبيلة لمـتونه الصنهاجية في أحد معارك المرابطين بالأندلس بمدينة سرقسطة،حيث لقي النصارى هزيمة ساحقة ولقد أخذنا منها هذا البيت[46]:-

وحولك الصيد من لمتونه وهم أبطال يوم الوغى والأنجم الزهر

وقـد كان القتال عند جند القبائل الصنهاجية في بداية أمر المرابطين يتم على الأرجل والبعض من المقاتلين يركبون الإبل[47]،أي أنه كان بدائي وهذا يدل على أن الجيش المرابطي مـا زال لـم يستكمل بناءه،أما بعد استقرار المرابطين بالمغرب وسيطرتهم على الأندلس بدأ يظهـر أكـتمال بـناء الجـيش المرابطي،وهذا ما سنتناوله في مباحث قادمة،غير أن الجيش المرابطـي بـدأ يشهد ضعفا وانهيارا في أواخر عهد دولة المرابطين وتحديدا فترة حكم أمير المسـلمين تاشـفين بـن علي بن يوسف،حيث كثرت الأخطار الخارجية وخصوصا الخطر المـوحدي،وبدأ الصنهاجيون كعنصر في الجيش يعانون من نقص مطالبهم الضرورية والتي أصـبحت عيبا ظاهرا في قيادتهم العليا،ومن هنا أصبح لا مفر أمامهم سوى الانضواء تحت راية الموحدين.

43- ابن خلكان،شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق د.إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،1968م،ج7،ص118.
المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق أحمد بكير محمود،دار مكتبة الحياة،بيروت،19654م،ج4،ص354.

44- الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد،الاستقصاء لدول المغرب الأقصى،تحقيق جعفر الناصري،محمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،1954م،ص35.

45- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص11.

46- ابن خاقان،أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي،قلائد العقيان ومحاسن الأعيان،قدم له ووضع منها رسمه محمد العنابي ،المكتبة العتيقة- تونس،1966م،ص251.

47- البكري،أبو عبد الله بن عبد العزيز ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،المطبعة الحكومية،الجزائر ،1852م،ص166.

ورغم كل ذلك فـإن الصنهاجيين شكلوا عنصرا مهما ساهم في بناء وتأسيس الجيش المرابطـي،وأعطوا صورة مشرفة أمام قبائل المغرب في الوحدة و الوفاء،وربما هذا ما جعل العديـد مـن القـبائل فـي المغرب تنخرط تحت راية المرابطين وهذا ما نلاحظه عند قبائل المصامدة والتي سوف يتم تناولها فيما يلي كعنصر من عناصر الجيش المرابطي.

ب.قبائل المصامدة :

بعـد أن تـوحدت قـبائل صنهاجة في الصحراء وخرجوا من هناك باسم المرابطين صوب بلاد المغرب،صادفتهم أمور سيئه مثل: التعسف ،والجور الذي تمارسه القبائل القوية مـل: قـبائل زناتـه المغـراويين ضـد سـكان إقلـيم درعه، وسجلماسة[48]المجاورة لبلاد المصـامدة،الأمـر الذي جعل سكان ذلك الإقليم يطلبون النجدة من القوى المرابطية،وفي هذه الأثـناء كانـت قبائل المصامدة، التي تسكن الجبال الوعرة ببلاد المغرب الأقصى،تكن العداء لقـبائل زناته المغراويين،ووجدت في المرابطين الأداة التي ينالون بها من أعدائهم الزناتيين، ومـن هـنا سـارعوا بـتقديم الولاء والطاعة للمرابطين، ولم يترددوا في الانضمام للجيش المرابطـي[49]،وخصوصـا عـند تـوجه الفقيه عبد الله بن ياسين بجيشه صوب إقليم درعه وسجلماسة سنة 447هـ/1055م لتأديب قبائل زناته المغراويين[50].

ولقد تميزت قبائل المصامدة بمهارات حربية عالية ولم يكن يعوزها سوى التنظيم،ومن هـنا قام المرابطون بتوحيد هذه القبائل وإدخالهم ضمن عناصر الجيش المرابطي والاستفادة مـن خبـراتهم العسكرية في بناء جيشهم،وهكذا نلاحظ أن المرابطين قد فتحوا بوتقتهم لقبائل المصـامدة وصـهروهم مع قبائل صنهاجة تحت راية واحدة،ومن هنا بدأت تظهر المشاركة الواضحة لقبائل المصامدة ضمن الجيش المرابطي.

ولقد شاركت قبائل المصامدة ضمن الجيش المرابطي في إخضاع قبائل المغرب تحت رايـة المرابطين ومن أهمهم قبائل زناته،وكذلك إخضاع باقي قبائل المغرب الذين وجه إليهم

---

48 – ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص216.

49 – المصدر نفسه،ج6،ص217.

50 – المصدر نفسه،ص216،ابن أبي زرع ،المصدر السابق،ص134.

الفقيه عبد الله بن ياسين جيشا بقيادة أحد أهم رجال المرابطين وهو أبو بكر بن عمر وذلك سنة 449هـ/1057م[51].

وهكذا نلاحظ أن قبائل المصامدة أصبحت عنصرا أساسيا في تركيبة الجيش المرابطي، وبذلك شملتهم التنظيمات التي أدخلها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الجيش، والتي سوف يتم تناولها في مباحث لاحقة،وهذا يدل على أنهم عاصروا توسعات المرابطين في عهد هذا الأمير،فلقد شاركوا في فتح ثغري سبتة وطنجة 470هـ/ 1077م -477هـ/ 1089م[52] كما شاركوا ضمن الجيش المرابطي الذي زحف نحو الأندلس لنجدة ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد،الذين هددهم خطر المد النصراني ،حيث تمكن المرابطون من هزيمة النصارى في موقعة الزلاقة[53]كما شارك المصامدة في حروب المرابطين في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بالأندلس عندما شهد الجزء الشرقي منها خطر النصارى[54]،كذلك شارك المصامدة في القضاء على الفتن والثورات التي ظهرت في الأندلس ضد المرابطين ومنها ثورة أهالي قرطبة في أواخر سنة 514هـ/ 1120م والتي كان سببها إحراق أهالي المغرب كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبو حامد الغزالي[55]،الذي لقي تقديرا كبيرا عند أهالي الأندلس.

وهكذا نلاحظ أن المصامدة قد ساهموا في بناء الجيش المرابطي سواء بإضافة عنصرا جديدا، أو إدخالهم الخيل ضمن الجيش المرابطي ،أو كسب المرابطين طبيعة جديدة لم يألفوها وهي الطبيعة الجبلية،إضافة إلى مساهمتهم في إخضاع قبائل زناته والتي ربما وجد المرابطون صعوبة في إخضاعها،وبالتالي أدى ذلك إلى إدخال عنصرا جديدا علي الجيش المرابطي،والذي تمثل في قبائل زناته التي سوف يتم تناولها فيما يلي:

51- القاضي عياض اليحصبي،ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق أحمد بكير محمود،دار مكتبة الحياة،بيروت،1965م،ج3،ص702.

52- الناصري،المصدر السابق،ص31.

53- ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص221.

54- الناصري،المصدر السابق،ص97.

55- هو الفقيه الشافعي أبو حامد محمد بن حمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام،ولد في طوس سنة 450هـ/1058م،واشتغل في مبداء أمره بها ثم قدم إلى نيسابور واختلف إلى دروس امام الحرمين أبي المعالي والجويني وظل ملازما لأستاذه إلى أن توفي،فخرج من نيسابور حيث لقي الوزير نظام الملك فاكرمه وعظمه وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد في جمادي الأولى سنة 484هـ/1091م واستمر بالتدريس بها إلى سنة 488هـ/ 1095م حيث سلك طريق الزهد والانقطاع،فقصد الحجاز حيث أدى فريضة الحج ثم عاد إلى الحجاز إلى الشام،فأقام بدمشق مدة ثم انتقل منها إلى بيت المقدس ومنها إلى مصر ثم عاد إلى وطنه طوس،إلا انه اجبر على العودة للتدريس بالمدرسة النظامية،ولكنه لم يلبث أن تركها وعاد إلى وطنه طوس إلى أن توفي سنة 505هـ/1111م ،ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق احسان عباس،دار الثقافة،بيروت،1968م، ج4،ص216 وما بعدها .

جـ- قبائل زناته :

تنسب هذه القبائل إلى قبائل البتر التي استوطنت المغرب الأوسط، ولقد عرفت بالروح القتالية العالية وتميزها بالشجاعة[56]،واستخدامها الخيل ،و الإبل ،في حروبها[57]،ولقد أشاد بشجاعتها أحد الشعراء حيث أنشد[58] :-

ومن زناته أبطال غطارفة ذووا تجارب في الوغى صبر

وما سبق ذكره جعلها ذا هيبة بين القبائل في المغرب،وبالتالي قاموا بنهب وسلب أراضي القبائل المجاورة لهم وأثاروا قلقها،ومن هنا أثار ذلك انتباه المرابطين .

وهكذا بدأ الجيش المرابطي بالتوجه إلى أراضي هذه القبائل وشن الحملات عليها بهدف إخضاعها وكان أهمها تلك التي تزعمها أبوبكر بن عمر – أحد أشهر رجالات المرابطين- سنة 452هـ/1060م،حيث جهز جيشاً اشتمل على العديد من عناصر صنهاجة ،والمصامدة ،وتم الزحف على سائر بلاد زناته[59]،ومن هنا أخمد المرابطون خطر القبائل الزناتية،وأدخلوهم ضمن العناصر المؤسسة للجيش المرابطي،وأصبح الزناتيون كغيرهم من القبائل يشاركون بأنفسهم ،وأموالهم، وخبراتهم في سبيل بناء الجيش المرابطي.

وبدأ الزناتيون يشاركون ضمن الجيش المرابطي في حروبه،ففي عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين تم السيطرة على باقي أجزاء المغرب،ومن ذلك الزحف على مدينة فاس سنة 454هـ/1062م[60]،والسيطرة على ثغري طنجة وسبتة سنة470هـ/1077م-477هـ/1089م[61]،كما شاركوا في حروب المرابطين في الأندلس، وأبلوا هناك حسن البلاء[62].

ولقد استمر عطاء الزناتيين داخل الجيش المرابطي حتى عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (500هـ-537هـ/1106-1142م)،حيث شارك في صد خطر

---

[56]- ابن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص13-14.
[57]- المصدر السابق،ج7،ص3.
[58]- ابن خاقان،المصدر السابق،ص251.
[59]- ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص133-134.
[60]- المصدر نفسه،ص139.
[61]- المصدر نفسه،ص142.
[62]- المصدر نفسه،ص147.

النصـــارى عـــل أجزاء الأندلس الشرقية سنة 513هـ/1119م[63]، أما عهد أمير المسلمين تاشفين بن علي(537هـ-540هـ/1142-1145م)فلقد بدأ يشهد ضعف دولة المرابطين والتي معها ضعف الجيش المرابطي،الذي أنهكه خطر دولة الموحدين،وبالتالي كانت مشاركة الزناتيين في هذا العهد بسيطة، وتمثلت في الصراع بين المرابطين والموحدين[64] .

ومـــن هـــنا يمكن القول أن المرابطين زحفوا على المغرب وضموا قبائل زناته إلى جانـــبهم وأصـــبحت هذه القبائل التي لا ينضمها قانون وتثير قلق القبائل المجاورة في السابق نجـــدها الـــيوم تدخل ضمن جيش منظم وتشارك في بنائه،وتضع أيديها في أيدي باقي قبائل المغـــرب ،وتحـــت راية المرابطين الذين وحدوا قبائل المغرب وكونوا منهم قوة أسسوا منها جيشـــاً ضرب بنفوذه أعماق الأندلس ومد يد دولته إلى ما وراء الصحراء، وبعد توحيد قبائل المغرب تم الإستعانة بالعناصر العربية وخبراتها العسكرية للمساهمة في بناء الجيش المرابطي الذي يتهيأ للزحف على الأندلس،وهذا ما سنلاحظه فيما يلي.

د- قبـائـل الـعـرب

يـــتكون العـــرب مـــن عدة قبائل ومنها: بنى سليم ،وعدي وربيعه، ورياح ،والأثبج ،وهلال ،وزغبه،ورواحه،وناصره، وغمره، ودياب ،وعوف ،والمعقل، وقرة،والخلط، وسفيان، وبنـــي كثيـــر ،وبنـــي عطية ،وبني ثور، وفزاره، وأشجع[65]،ولقد تميزت هذه القبائل العربية بشـــجاعتها فـــي القتال،وهذا ما عرف به فرسانها، ونلاحظ ذلك عند القاضي أبو الحسن أثناء مديحه للأمير عبد الله بن مزدلي ــ أحد أشهر قادة المرابطين ــ عند انتصاره عـــــــــلى Alfonso I (ألفونسو الأول)في سرقسطة،وذلك في البيت التالي:-

العرب ترفل فوق الحرب سابحة كالأسد ليس لها إلا القنا ظفر[66]

ولقد حملت هذه القبائل أسلحة منها السيوف والقنا كما أنهم أجادوا ركوب الخيل.

---

[63]- الناصري، المصدر نفسه،ص67.
[64]- ابن ابي زرع،المصدر السابق،ص147.
[65]- ابن خلدون المصدر السابق،ج6،ص15 وما بعدها.
[66]- ابن خاقان،المصدر السابق،ص251.

دخلـت القبائل العربية ضمن الجيش المرابطي ،وذلك بعداتساع حدود الدولة وحاجة المرابطين للعناصر المقاتلة التي تساعدهم على دخول الأندلس،وهكذا ساهمت في بناء الجيش المرابطي بما تملكه من عناصر مقاتلة وسلاح وفنون قتالية

كان الدخول الأول للقبائل العربية ضمن التركيبة الاجتماعية للجيش المرابطي في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وذلك في المعارك التي خاضها المرابطون في الأندلس ومن ذلك دخولهم ضمن القوات العسكرية المرابطية في موقعة الزلاقة حيث أبلوا فيها حسن البلاء كمـا تم تجهيز ((عسكراً جرارا من مرابطين وعرب...وقدم عليهم قائد محمد الحاج...فالتقوا بكنشـرة فكانت بينهم جولات وحملات إلى أن زلزل الله أقدام المشركين وولوا مدبرين))[67]، ،كما شاركوا في صد خطر نصارى الأندلس على بلاد المسلمين شرق الأندلس وذلك في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في سنة 513هـ/1119م[68].

وهكذا نلاحظ أن القبائل العربية كان لها دورا في بناء الجيش المرابطي

هـ <u>العبيد السودان</u>

نتيجة لامتداد حدود دولة المرابطين إلى حوض بلاد السنغال جنوبا،أصبح من السهل على المرابطين الحصول على العناصر السودانية التي سكنت بلاد السنغال وتم إدخالها ضمن الجـيش المرابطي، إما عن طريق شراء هذه العناصر او أسرها أثناء الحروب،فمثلا في عهد أميـر المسـلمين يوسف بن تاشفين وتحديدا سنة 494هـ/1100م تم شراء ما يقارب من الألفين من العبيد السودان[69] وتم إدخالهم ضمن عناصر الجيش الأمر الذي ساهم في بنائه

ولقـد تميزت هذه العناصر بشجاعتها وصبرها أثناء القتال،وذلك لتركيبتهم الجسمانية ذات اللياقة البدنية العالية ساعدتهم،والدليل على ذلك الدور الذي لعبوه في موقعة الزلاقة ، فعند نشـوب المـوقعة بـين المـرابطين والـى جانبهم حلفاؤهم من ملوك الطوائف مع نصارى الأنـدلس،وتحديـدا قرب انتهاء الموقعة،قام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بإدخال عناصر

67– ابن الكردبوس،أبو مروان عبدالملك التوزري،الاكتفاء في أخبار الخلفاء،تحقيق د.مختار العبادي،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،1965،ص107 –ص108.

68– الناصري، المصدر السابق،ص67.

69– ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص23.

العبيد السودان إلى أرض المعركة حيث بلغ عددهم حوالي أربعة آلاف مقاتل[70] بدأوا يمارسون مهامهم القتالية،حيث قاموا بطعن الخيل للإيقاع بفرسان النصارى،مما زرع الرعب في قلوب النصـــارى،ونلاحـــظ أنهم رغم نفاذ سلاح المزاريق منهم لم ينسحبوا من أرض المعركة بل نجـــدهم يســـتخدمون الخناجر المتمنطقين بها في القتال،إضافة إلى استخدامهم القوى العضلية والتـــي نجدها واضحة عند هجوم ملك النصارى(Alfonso VI) ألفونسو السادس على أحـــد العبيد عند نفاذ الأخير مزاريقه منه فلم يجد هذا العبد حيلة سوى استعمال قوته العضلية ودهائه الحربي،فوثب على(Alfonso VI) ألفونسو السادس وطعنه بالخنجر مما جعل (Alfonso VI) ألفونسو السادس يتراجع مهزوما[71].

ومما زاد قوة هذه العناصر بعد دخولها الجيش المرابطي التدريب الجيد [72]،الذي لقوه على يد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

ولقد تسلحت هذه العناصر بعدة أسلحة منها: الخناجر، والمزاريق ،ودرق ،اللمط[73].

وهكـــذا نلاحـــظ أن المرابطين قد استغلوا البيئة السودانية في بناء جيشهم ،فجلبوا من هناك العناصر المقاتلة،التي ساهمت في بناء الجيش المرابطي وتنوع تركيبته الاجتماعية،الأمر الـــذي يجعل المرابطين يتجهون فيما بعد إلى البيئة الأندلسية ،ويقوموا بإدخال عناصر جديدة داخل التركيبة الاجتماعية للجيش المرابطي، مثل: النصارى المرتزقة.

و- عناصر النصارى المرتزقة

ســـاهم النصارى المرتزقة في تأسيس الجيش المرابطي،وكان أول دخول لهم في عهد أميـــر المســـلمين يوســـف بن تاشفين سنة 469هـ/1071م عند شرائه حوالي 240فارسا نصـــرانيا من الأندلس[74]،ومنهم تم تشكيل فرقة الحرس الخاص، وانحصرت مهامهم في توفير

---

[70] – المقري،المصدر السابق،ج3،ص368.

[71] – المصدر نفسه،ص388.

[72] – محمد عبد الله عنان ،دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين ،ط2،مكتبة الخانجي ،القاهرة،1990م،القسم الأول ،ص218.

[73] – المزاريق:-رماح طويلة يحملها أصحاب الصفوف الأمامية عند القتال،الدرق اللمطية:-نسبة إلى حيوان يسمى اللمط يكثر بالصحراء تعمل من جلوده الدرق. ،محمدي عبد المنعم،المرجع السابق،ص303.

[74] – ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج3،ص23.

الحمايـــة لأمير المسلمين[75] ،والسبب في ذلك اتقاء خطر تمرد القبائل في المغرب،وهذا يقودنا إلى أن النصارى المرتزقة لم يظهر لهم إلى حد الآن تأثيرٌ كبيرٌ في بناء الجيش المرابطي .

وبعـــد دخول المرابطين الأندلس والتوسع فيها بعد موقعة الزلاقة،بدأت تظهر عناصر النصـــارى المرتـــزقة بشكل واضح داخل التركيبة الاجتماعية للجيش المرابطي وساهموا في بنائه، وكل ذلك جاء لحاجة المرابطين للعناصر المقاتلة.

ولقد تميزت عناصر النصارى المرتزقة بخبرتها العسكرية العالية ،وإجادتها العديد من الفـــنون القتالـــية[76] التي لم تكن موجودة عند غيرهم من العناصر المؤسسة للجيش المرابطي ،أضافة إلى تنوع أسلحتها، وفرقها العسكرية

ومن هنا نلاحظ أن أمراء المرابطين اهتموا بعناصر النصارى المرتزقة وذلك بإحسان تدريبهم وتخصيص مرتبات ومكافات مقابل تقديم خدماتهم داخل الجيش المرابطي ،وكان ذلك واضحا في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف وهذا ما أشار إليه ابن عذارى المراكشي[77] في قـــوله:"كـــان علي بن يوسف في آخر أمره امتنع الاعطاء لأجناده حتى رجع أكثرهم يكرون دوابهـــم،وهـــو .....اســـتعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامـــراتهم،ويأخـــذون مـــنهم نفقاتهم"،وهذا يرجع إلي الدور الكبير الذي أداه النصارى داخل الجيش المرابطي.

وهكـــذا بـــدأت تظهر نشاطات النصارى المرتزقة داخل الجيش المرابطي فلقد كانت متعددة ومهمة،ففي عهد أمير المسلمين علي بن يوسف شارك النصارى المرتزقة في القضاء على الأحداث الداخلية في المغرب والأندلس مثل ثورة فاس سنة 500هـ/1106م والتي قام بهـــا ابن عم أمير المسلمين علي بن يوسف وهو يحي بن أبي بكر،وكذلك شاركوا في القضاء علـــى الصـــراع القائم مع الموحدين ،وثورة قرطبة،التي قامت عام 514هـ/1120م والتي جاءت احتجاجا على إحراق المرابطين لكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي[78].

---

[75] - عنان،المرجع السابق،ص418.
[76] - ابن خلدون،المصدر السابق،المقدمة،ص102.
[77] - ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص102.
[78] - وفيات الأعيان،المصدر السابق،ج4،ص216 وما بعدها

أمـــا فـــي عهـــد أمير المسلمين تاشفين بن علي تم استخدام النصارى بشكل كبير في الجـيش،وكـــان ذلـــك واضـــحا في أغلب المعارك التي خاضها المرابطون وخصوصا ضد الموحدين[79]،ولقد تولى قيادة هذا العناصر داخل الجيش قادة من نفس جنسهم يخضعون لأوامر القـيادة العلـيا المرابطية في الجيش،ولقد كان من أشهر هؤلاء القادة القائد النصراني قشتالي الأصل (Elreverter) الأبريتير[80].

وهكـذا نلاحـظ أن المرابطين سكنوا الصحراء وكان عمادهم الوحيد قبائل صنهاجة وســرعان مـــا مدوا نفوذهم على المغرب الأقصى والأوسط وعبروا البحر الأبيض المتوسط حتى وصلوا الأندلس،وهكذا اتسعت رقعة دائرة نفوذ الدولة المرابطية ،وفي مقابل هذا الاتساع تعـــددت الأجـــناس داخـــل دولـــتهم الأمر الذي انعكس على تنوع عناصر الجيش وتركيبته الاجتماعـــية،وهـــذا مـــا لاحظـــناه عند دراسة العناصر المكونة للتركيبة الاجتماعية للجيش المرابطـــي ،حيث بدأت تلك العناصر تفرز خبراتها داخل بوتقة الجيش المرابطي الأمر الذي ســـاهم فـــي بناء الجيش المرابطي وخير دليل على ذلك ظهور الفرق العسكرية داخل الجيش المرابطي ،وهذا ما سيتم دراسته في لاحقا.

79- البيذق،أبوبكر علي الصنهاجي،أخبار المهدي بن تومرت،تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1395-1975ص104،ص86.

80- Elreverter الأبريتير ،كان قائد مسيحيا،أندلسيا،من قواد أمير برشلونة،ثم وقع أسير قائد البحر المرابطي علي بن ميمون،فوجهه إلى مراكش ،حيث دخل في خدمة الأمير علي بن يوسف فتولاه قيادة الجند المسيحي المرتزقة، التي كانت تعمل في الجيش المرابطي وقد أبلى الأبريتير بلاء حسنا في الدفاع عن دولة المرابطين أمام الموحدين وقتل في أحد المعارك مع الموحدين عند تلمسان قبل مقتل أمير المسلمين تاشفين بن علي.
انظر هامش، حمدي عبد المنعم ،دولة علي بن يوسف،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1986،ص115.

المبحث الثاني :الفرق العسكرية في الجيش المرابطي:

تُعَـدُّ الفـرق العسكرية جزءاً من مراسم الجيش المرابطي ،وتكمن أهميتها في كونها تنظم العناصر ــ المقاتلة والتي سبق الحديث عنها ــ،ويمكن الإشارة إلى أن بعض الفرق ظهر قـبل التوسع المرابطي في بلاد المغرب،والبعض الآخر ظهرت بعد سيطرة المرابطون على المغرب والأندلس،ومن المؤكد أن هذه الفرق العسكرية مثل: فرقة الرجالة، الأبالة ،والفرسان ،والحـرس الخاص،ساهمت في تدعيم بناء الجيش المرابطي وتطوره،ومن هنا سنبدأ بدراسة هذه الفرق كل واحدة على حدة فيما يلي:-

أ/ فـرقـة المشاة :

سـميت هذه الفرقة بهذا الاسم ،لأن عناصرها يخوضون الحروب مترجلين أي ليس لديهم وسيلة يركبونها من خيل او إبل، ولقد ظهرت هذه الفرقة في الجيش المرابطي منذ قيام دولة المرابطين بالصحراء،أي إنها من الفرق التي شكلت نواة الجيش المرابطي،فلقد كانت هذه الفـرقة فـي عهد الفقيه عبد الله بن ياسين بدائية تفتقر إلي التنظيم،وكان عناصرها من قبائل صـنهاجة ،وكـان فـنها فـي القتال يقوم على أساس تشكيل المقاتلين صفوفاً وراء بعضهم البعض[81] ،حيث يتم وضع المقاتلين حاملي الرماح[82] والقنا الطويلة في الصف الأول،ويلي هذا الصف حاملي المزاريق[83] ،والسيوف الهندية ،والدرق اللمطية[84]، والرماة،ولقد كان الراجل من الرماة يحمل أكثر من مزراق يتسلح به،ويتناوبون الرماية على هيئة مجموعات، ليكون العمل أكثر سهولة وفائدة،ونلاحظ على هذه المراسم أن الجند في الصف الأول يحملون أسلحة طويلة يمكـن مـن خلالهـا تشـكيل حاجـز يحول دون دخول خيل العدو وجنده إلى وسط الجيش المرابطي،أما الصفوف التالية فالجنود يحملون أسلحة صغيرة الحجم وهي تتناسب مع الموقع ،لأنهـا تسـمح بالقتال في مساحات ضيقة،أما الرماة فلقد كانوا مهرة وذلك حتى تكون إصابة الهدف عندهم مضمونة.

أمـا في الفترة التي توسع فيها المرابطون في المغرب والأندلس والتي تبدأ من عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،حدث توسع في بناء الجيش المرابطي ،والذي يمكن أن نقول عنه إنه نوع من التطور،حيث شمل فرقة المشاة وجاء ذلك في عدة جوانب منها أنّ العناصر

81- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص11.
82- الطرطوشي،أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري،سراج الملوك،القاهرة،1289،ص179.
83- البكري،المصدر السابق،ص116.
84- المقري،المصدر السابق،ص357.

المكـــونة لهذه الفرقة أصبحت متنوعة وليست متوقفة على عناصر صنهاجة فقط، ولقد أطلق علـــيهم المـــرابطون تسمية الحشم[85]،ولقد أورد صاحب الحلل الموشية[86] العناصر التي سميت بالحشم في عهد المرابطين بقوله:((وضم يوسف بن تاشفين من جزولة ،ولمطة ،وقبائل زناتة ،ومصـــمودة جمـــوعا كثيـــرة وســـماهم بالحشـــم))ولقد حملت هذه الفرقة رايات ذات ألوان مزركشـــة[87]،الأمـــر الذي يدل على تعدد القبائل المكونة لهذه الفرقة،وبالطبع يشمل هذه الفرقة النظام الخماسي الذي أدخله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الجيش والذي يقسم الجيش بموجـــبه إلـــى خمسة أقسام وهي: المقدمة، والجناحان ،والوسط ،والمؤخرة،وجاء موقع فرقة المشـــاة في مقدمة الجيش ،والتي يتم فيها تصنيف الجند على أساس قبلي ،أي أفراد كل قبيلة يشكلون مجموعة منفصلة عن باقي القبائل الأخرى،وتضمهم في النهاية فرقة المشاة، والسبب في ذلك لكي تكون القبائل أكثر ثباتا وترابطا، ولا يحدث بينها ضغينة داخل الجيش[88].

ولعـــل الســـبب في وضع هذه الفرقة في المقدمة هو الغرض منه أن تخوض القبائل الداخلـــة في طاعة المرابطين من الحشم بدايات المعركة ومن بعد يأتي الدور على المرابطين مع باقي الفرق من الجيش المرابطي لجني ثمار المعركة.

ومـــن هـــنا نجـــد أن فـــرقة المشاة توسعت وتطورت على ما هي عليه قبل خروج المرابطين من الصحراء ،الأمر الذي ساهم في بناء ثم تطوير الجيش المرابطي بشكل جيد.

ب/فرقـة الأبـالـة :

تعتبر فرقة الأبالة إلى جانب فرقة المشاة من الفرق التي شكلت نواة الفرق العسكرية فـــي الجـــيش المرابطي حيث كان ظهورها قبل توسع المرابطين في المغرب والأندلس ولقد ســـميت هـــذه الفـــرقة بهـــذا الاسم ،لأن الجند فيها يركبون الإبل،تلك الحيوانات التي لم يجد المـــرابطون غيـــرها يـــركبونها فـــي الصحراء قبل خروجهم من هناك،إضافة إلي ملاءمتها الظروف الصعبة في الصحراء.

---

[85]- الحشم:تعني الخدم و بالتالي من المحتمل ان المرابطين أطلقوا لفظ الحشم(الخدم) على اتباعهم لأنهم ينظرون إليهم نظرة دونية،مختار الصحاح،-مادة حشم.

[86]- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص22.

[87] ابن الخطيب،الوزير محمد لسان الدين الخطيب،الأحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق محمد عبداله عنان،ط2،مكتبة الخانجي،القاهرة،1975م،ج1،ص179- ،ص398.

[88]- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص116.

ولقـد كـان دور فرقة الأبالة داخل الجيش في عهد الفقيه عبدالله بن ياسين يقوم على أسـاس تشكيل هذه الفرقة صفوفا خلف فرقة المشاة،تكون على استعداد للهجوم على العدو إذا لمسـت منه أي ضعف أو تهاون أو إذا أحست ضعف مقاومة فرقة المشاة[89]،أما في عهد أمير المسـلمين يوسـف بـن تاشفين ومن جاء بعده من أمراء المرابطين،فنجد أنه حدث نوع من الـتطور في فرقة الأبالة ،حيث أصبح دورها في الجيش المرابطي أوسع بقليل مما كان عليه فـي السـابق،فنجدها تشكل صفوفا تحيط بالمعسكر وتحف به وتقوم بحماية مؤخرة الجيش[90] حتى تجد خط الرجعة إلى الخلف سانحا وذلك عند الانسحاب[91].

وأما مشاركة فرقة الأبالة في الجيش المرابطي،فبرغم توسع دولة المرابطين وضمها إلي أقاليم ذات طبيعة جبليه صعبة سواء في المغرب أم في الأندلس،ظلت مشاركتها العسكرية ،هـذا إن لـم تزد عن ذلك في حروب الجيش المرابطي بالمغرب والأندلس،وذلك مثل زحف المـرابطين على أقاليم سجلماسة ودرعه[92] وغيرهما من أقاليم المغرب ،كما كان لهذه الفرقة دورٌ بارزٌ في حروب الأندلس وعلى الخصوص معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م،فعند إدخـال فـرقة الأبالة في هذه المعركة زرعت الرعب في قلوب جند النصارى وخيلهم،حيث جمحـت هذه الخيل وهربت،ومن هنا برز الدور الذي قامت به فرقة الأبالة،غير أن ما يمكن قـوله إن نجاح الجيش المرابطي في المغرب والأندلس جاء نتيجة للترابط بين فرقه العسكرية ،الأمر الذي يجعلنا نلقي الضوء على هذه الفرق ومنها فرقة الفرسان التي سنتناولها فيما يلي.

ج/فرقة الفرسان:

نلاحـظ أنـه لم يرد ذكر لفرقة الفرسان ضمن الجيش المرابطي قبل بسط نفوذه على المغـرب والأندلس،أما بعد ذلك وتحديدا في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،بدأ يرد في المصـادر ذكر لهذه الفرقة في الجيش المرابطي،والسبب هنا يرجع إلي أن المرابطين عرفوا فـي الصحراء الإبل ومنها كونوا فرقة الأبالة،أما بعد دخولهم المغرب والأندلس وجدوا سكان هـذه البلاد يستخدمون الخيول لملاءمتها مع الطبيعة الجبلية التي قد لا تقدر عليها الإبل،وعند ضـم المرابطين لقبائل المصامدة وزناته المعروفة بتربيتها للخيول،بدأت تظهر فرقة الفرسان

89- حسن أحمد محمود،المرجع السابق ،ص338.
90- المرجع نفسه،ص340.
91- إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ،ط3،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1992،ج1،ص209.
92- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج3،ص13.

داخـل الجـيش المرابطـي والتي ساهمت في بنائه ،لأن أغلب مقاتليها كانوا من المصامدة وزناته[93]،كما زاد من تدعيم هذه الفرقة داخل الجيش المرابطي دخول القبائل العربية المعروفة بخـيولها الأصيلة ضمن الجيش المرابطي،وبذلك ظهرت بالتدريج فرقة الفرسان الخفيفة،التي ساهمت في بناء الفرق العسكرية داخل الجيش المرابطي ،أما بعد الدخول إلى الأندلس فلقد زاد تطـور فـرقة الفرسـان داخـل الجيش المرابطي ،وذلك بظهور فرقة الفرسان الثقيلة ضمن الفرسان بالجيش المرابطي.

لقد زاد عدد فرقة الفرسان داخل الجيش المرابطي حيث وصل في عهد أمير المسلمين يوسـف بـن تاشفين إلى مائة فارس من مختلف القبائل[94] ،صنف هؤلاء الفرسان كلا حسب تخصصـه فالفرسـان الثقـيلة حملت أسلحة مثل: الزرد ،والدروع ،والسيوف[95]،أما الفرسان الخفيفة فلقد حملت سيوف الهند،وتبعا للتنظيمات التي أدخلها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين علـى الجيش فـإن موقع فرقة الفرسان الثقيلة من مراسم الجيش يكون خلف فرقة المشاة ،أي في وسط الجيش[96]،أما فرقة الفرسان الخفيفة فلقد كان موقعها في مراسم الجيش في الجناحين تسـاندها عناصـر مـن الـرماة المهـرة[97]،أما عن فنها في القتال فلقد كان في غاية الدقة والتدبير ،حيث تقوم فرقة المشاة ببدء القتال وقذفها للمزا ريق ثم تليها مهام الرماة،ومن بعد يتم فتح فتحة للفرسان بين الصفوف ويسارعوا منها للهجوم على العدو[98].

ومـن هنا نلاحظ أن ضم المرابطين لبلاد المصامدة، وزناتة ،والأندلس ساهم في بناء الجيش المرابطي ،والدليل على ذلك ظهور فرقة الفرسان بالشكل الذي لاحظنا عليه هذه الفرقة التـي أضافت لبنة جديدة إلى لبنات بناء الجيش المرابطي،والفضل هنا يعود للمرابطين ،لأن مثل المصامدة ،وزناتة عرفت الخيول، ولكنها لم تعرف بناء فرقة الفرسان وبالتالي الاستفادة كانت متبادلة بين الطرفين،وكان نتيجتها بناء فرق عسكرية قوية داخل الجيش المرابطي.

93- حسن احمد محمود،المرجع السابق،ص339.
94- ابن أبي زرع ،المصدر السابق،ص89.
95- حسن أحمد محمود،المرجع السابق،ص339.
96- الطرطوشي،المصدر السابق،ص179.
97- حمدي عبد المنعم،المرجع السابق،ص294.
98- الطرطوشي،المصدر السابق،ص179.

د/ فرقة الحرس الخاص:

لقد أشرف أمير المسلمين تاشفين بن علي على بناء مثل هذه الفرقة،والتي كانت في بدايتها تأسيسها تقوم على خدمته شخصيا، أي أنها كانت تقوم مهامها على حمايته ولاتشارك الجيش في حروبه، حيث كان هدفها الوحيد توفير الأمن لأمير المسلمين ،الذي كان يهدده خطر المتآمرين من قبائل المغرب المندسين داخل دولته الناشئة، وذلك قبل نشره الأمن بشكل تام.

ومن هنا نجد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يجلب عناصر ليست من سكان المغرب لها خبرة عسكرية كبيرة تؤهلها للقيام بمهام الحراسة ،وخصوصا أن الصنهاجيين لم يتمتعوا بتلك الخبرات،ومن هنا تم جلب عناصر العبيد السودان ،والنصارى المرتزقة ،وشكل منهم فرقة الحرس الخاص التي تحيط به دائما[99].

ولقد زاد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من مهارات هذه الفرقة ،وذلك بإحسان تدريبهم ووضع شروط لكل من سيدخل ضمن هذه الفرقة :مثل القوام الحسن ،والشجاعة الفائقة ،والقوة البارعة ،إضافة إلي القدرة البدنية العالية على تحمل المصاعب،ولقد تم تزويدهم بأسلحة متنوعة مثل: سيوف الهند ،ومزار يق الزان ،ودرق اللمط ،والخناجر.كما أنه استكثر من هذه الفرقة ،وخصوصا من النصارى المرتزقة وذلك لخبرتهم العسكرية[100].وبالتدريج وبعد توفر الأمن داخل المغرب أصبحت فرقة الحرس الخاص فرقة أساسية داخل الجيش المرابطي ،أي اتسعت مهامها من حماية أمير المسلمين إلى المشاركة في الحروب في المغرب والأندلس،ولقد شملتها تنظيمات أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بخصوص مراسم الجيش حيث كان موضعها في مؤخرة الجيش مع القوات الاحتياطية حيث كان يتمركز أمير المسلمين[101].

ومن أهم مشاركاتها كانت في موقعة الزلاقة ضد النصارى ،إضافة إلى المشاركة في حروب المرابطين ضد الموحدين،كما أنهم شاركوا في حراسة العديد من الحصون والقلاع في المغرب[102].

---

[99] محمد عبدالله عنان.المرجع السابق.ص418.
[100] حمدي عبدالمنعم.المرجع السابق.ص298.
[101] حسن أحمد محمود.المرجع السابق.ص340.
[102] حمدي عبدالمنعم.المرجع السابق.ص298.

ومن هنا نجد أن فرقة الحرس الخاص فكرة اتخذها الملوك، وباتخاذ أمراء المرابطين مثل هذه الفرقة نجد الدليل على أن الفكر العسكري شهد تطورا ملحوظا عندهم وكذلك يدل على أنهم أسسوا قاعدة ثابتة لدولتهم جعلتهم مؤهلين لخوض الحروب في الأندلس وهكذا ساهمت فرقة الحرس الخاص في بناء وتطوير مراسم الجيش المرابطي ،وذلك باقتباس الخبرات العسكرية من العناصر الأجنبية .

وهكذا شهد الجيش المرابطي تطورا كبيرا من حيث العناصر المكونة له فبعد أن كان يعتمد على فرق مشتتة وتمثلت في فرق المشاة والأبالة ظهرت فرق جديدة، مثل: فرقة الفرسان ،وفرقة الحرس الخاص ولقد تم تنسيق جميع الفرق وتنظيمها بحيث شكلت جسدا موحدا مما زاد من كفاءتها القتالية.

المبحث الثالث:النظم العسكرية في الجيش المرابطي:

تم في المبحثين السابقين دراسة العناصر المكونة للتركيبة الاجتماعية للجيش المرابطي ،والفرق العسكرية ومساهمتها في بنائه،ومن هنا تكونت لدينا صورة عن مراسم هذا الجيش،ولكي تكتمل الصورة عن الجيش المرابطي، يستوجب علينا دراسة النظم العسكرية المعمول بها داخل مراسم الجيش والتي ساهمت في بنائه،ومن هنا تم تقسيم هذه النظم إلى عدة عناصر؛ لتسهيل دراستها ،وهي تتمثل في: قيادة الجيش ،والأسلحة ،والطبول ،والرايات، وفن القتال ،وفن الحصار ،والخطط العسكرية وذلك فيما يلي:

أ-القيادة العسكرية للجيش المرابطي

يعتبر الفقيه عبد الله بن ياسين أول قائد للجيش المرابطي،وكان ذلك في بداية أمر المرابطين،حيث كانت النظم عندهم في طور التأسيس،عندما كان الجيش منحصرا في قبائل صنهاجة فقط ،وذلك قبل خروجهم من الصحراء ،ومن هنا لم يتطلب الأمر استحداث تطوير في قيادة الجيش ،وذلك لعدم تعدد العناصر والفرق المكونة للجيش ولكن ما يهمنا في هذه الفترة البدائية للجيش المرابطي أن الفقيه عبدالله بن ياسين قد جاء بأفكار لم يعرفها الصنهاجيون من قبل،ونقصد هنا توحيدهم تحت قيادته،في الوقت الذي كانوا فيه قبل هذه الفترة يعانون من الفرقة والنزاعات فيما بين قبائلهم،وهكذا يمكن أن نقول إن المرابطين في هذه الفترة بدأت تظهر لديهم أسس بناء قيادة الجيش ،الأمر الذي جعل ذلك أمرا سهلا على من جاء بعده،ونقصد هنا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،الذي كانت بصماته واضحة في استكمال بناء القيادة العسكرية.

ولقد كانت قبيلة لمتونه أقوى القبائل الصنهاجية، ولهذا وبعد وفاة الفقيه عبد الله بن ياسين سنة 451هـ-1059م،آلت كلمة من يتولى قيادة الجيش المرابطي إليها ومن هنا تولى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وابن عمه أبو بكر بن عمر وهما من أصل لمتوني قيادة الجيش،غير أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان أقوى نفوذا ودهاء من ابن عمه الأمر الذي جعله ينفرد بقيادة الجيش المرابطي[103].

---

[103]- ابن ابي زرع،المصدر السابق،ص132 وما بعدها.

وتولـــى أميـــر المســـلمين يوسف بن تاشفين قيادة الجيش المرابطي،وبدأ بالتوسع في المغـــرب ومـــن بعـــد الأنـــدلس،وبالتالي تعددت عناصر الجند والفرق العسكرية،الأمر الذي اســـتوجب ظهور قيادات فرعيه لهذه العناصر والفرق العسكرية من عناصر أجنبية،فمثلا نجد عناصـــر النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي يقودهم قائد نصراني قشتالي الأصل يسميه العـــرب (Elreverter) الأبريتير[104]،وكذلك نجد عناصر الحشم داخل الجيش المرابطي يتولـــى قيادتهم جرور الحشمي[105]، أما العناصر الصنهاجية فلقد كان يتولى قيادتها أحد أقارب أميـــر المسلمين ،وهذا يقودنا إلى أن ترابط الجيش رهين بمنح القيادة للقبائل،ومن المؤكد أن هذه السياسة ساهمت في بناء الروح العسكرية بين الجند وقادتهم في الجيش المرابطي.

ومن هنا تعددت القيادات العسكرية في الجيش المرابطي والتي ترجع في شؤونها إلى القـــيادة العلـــيا والتي يمسك زمامها أمير المسلمين،وهكذا بدأت تظهر ملامح القيادة العسكرية للجيش المرابطي في أكمل صورها ،ولقد حرص أمراء المرابطين علي أن تضل تلك القيادات العسكرية الفرعية بالجيش وولايات الدولة مرتبطة بالسلطة العسكرية العليا،وهذا ما جعل أمير المســـلمين يوســـف بـــن تاشـــفين يوزع حكم الولايات في المغرب وقيادة جيوشها على أبناء عمومـــته، مـــثل: ســـير بن أبي بكر الذي نصبه على مكناس وبلاد مكلاثة وفازاز ،وعمر بن ســـليمان الـــذي نصـــبه على فاس ،وداود بن عائشة على سجلماسة ودرعه ،وابنه تميم على مراكش وأغمات والسوس وبلاد المصامدة[106].

ولقد احتكر المرابطون القيادة العليا للجيش،حيث نجد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كثيـــرا ما يقود الجيوش بنفسه وخاصة في حروب المغرب، وذلك لقرب المغرب من عاصمة الدولـــة في مراكش،ونلاحظ أن هذه القيادة العليا تميزت بأنها ذات طابع قبلي،حيث نجد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يقوم، بإسناد القيادة العليا إلى أحد أقاربه[107] وخاصة من الأبناء أو الأخـــوة ونص الرسالة التي أرسلها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى ابنه أبي بكر بولاية

104- حسن أحمد محمود،المرجع السابق،ص333.
105- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص59.
106- محمد عبدالله عنان،المرجع السابق،ص219.
107- حمدي عبد المنعم،المرجع السابق،ص196.

أشـبيلية[108] يـؤكد مـا ذهبنا إليه حيث يقول:"وقد رأينا أن نقدمك على جميع الجيوش بتلك الجزيرة...عموما يشمل من كان هناك ومن وصل من هذه العدوة...إليها"[109].

ولقـد سـاهم إيجـاد قـيادة عسكرية عليا للجيش المرابطي وقيادات عسكرية فرعية لعناصـره وفرقه في بناء نظم الجيش المرابطي ،ورغم تعدد القيادات،اتخذ أمراء المرابطين سياسـة تجـاه تلـك القـيادات بمخـتلف أصولها ،وذلك للمحافظة على قوة وترابط بنيان الجـيش،حـيث لم يتركوا هؤلاء القادة يسرحون ويمرحون في مناصبهم العسكرية ،بل اتبعوا سياسة العزل تارة ،وسياسة التنقلات المستمرة تارة أخرى،لأن من يعمر في منصبه يقل عدله ويسـتبد بـه الأمر ،وربما يطمح إلى الحكم وهذا يشكل خطرا على الدولة ويضعف من قوة الجيش وترابطه،فمثلا في سنة 499هـ-1105م قام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعزل القائد موسى بن الحجاج أحد قادة جيش المرابطين بغرناطة،واستبدله بالقائد أبو بكر بن إبراهيم اللمتوني[110].

أمـا بالنسـبة لمقـر قـيادة الجيش والعمليات العسكرية،فقد كانت متمشية مع توسع المـرابطين،ففـي البداية كان مقرها الصحراء ولم تكن بالدرجة التي نطلق عليها مقرا للقيادة العسكرية،أما بعد توسع المرابطين وسيطرتهم على أجزاء عديدة من المغرب فتطلب الأمر أن يكون مقر القيادة يتوسط دائرة نفوذ المرابطين وكان بمدينة مراكش عاصمة دولة المرابطين، وبعـد بسـط المـرابطين نفوذهم على الأندلس تم نقل مقر قيادة الجيوش المرابطية إلى سبتة وطـنجة؛ لقـربهما من الأندلس وتوسطهما دولة المرابطين،واختيار هذا الموقع يسمح لأمراء المـرابطين بـأن يكونوا على دراية بما يجري في الأندلس من معارك كما أن هذا يسمح لهم بسرعة تبادل الرسائل العسكرية مع القيادة العسكرية بالأندلس[111] .

كمـا نجـد أن قـيادة الجيش المرابطي كان يوجد بها مجلس استحدثه أمير المسلمين يوسـف بـن تاشـفين يسـمى مجلس الحرب يجتمع فيه جميع القادة العسكريين في الجيش

---

108 - إشبيلية : مدينة بالأندلس ، كبيرة المساحة ، ذات أسوار حصينة ، تنشر بها الأسواق، أغلب تجارتها الزيت، وهي كثيرة الفواكه عظيمة المنافع، تمتاز بكثرة الجند والعسكر ، الحميري ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ، 1989 ، ص 58.

109- محمود علي مكي،وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،م7،العدد 1،ج.1959 ،ص196-170.

110- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج3،ص95.

111- حسن أحمد محمود،المرجع السابق،ص337.

المرابطـــي وأغلـــب الأحيان يتم ذلك قبل بدء المعركة،حيث يتم فيه ترتيب الخطط الهجومية والدفاعية وفقا لأوامر القيادة العليا المرابطية للجيش[112]،كما ساهم هذا المجلس في تنظيم أمور الجيش من ناحية ترتيب الجند ،وتعيين القادة ،ووضع الخطط التي يسيرون عليها،وهذا ساهم في بناء نظم الجيش المرابطي.

وهكـــذا نلاحظ أن القيادة العسكرية للجيش المرابطي جاءت بشكل ساهم إلى حد كبير فـــي تنظـــيم عناصـــر الجـــيش وفرقه العسكرية بحيث أدى ذلك إلى تدعيم بنائه وجعله أكثر ثباتا،وبدراسة القيادة العسكرية لا تكتمل الصورة عن النظم لهذا الجيش الأمر الذي يقودنا إلى دراسة الأسلحة التي تساهم في توضيح جزئية من نظم الجيش المرابطي العسكرية.

ب ـ الأسلحة عند الجيش المرابطي:

تنوعت الأسلحة عند الجيش المرابطي،غير أن هذا التنوع جاء متمشيا مع توسع دولة المرابطين ،والذي رافق بناء الجيش .

ونجد قبل خروج المرابطين من الصحراء أن الجيش المرابطي كانت أسلحته محدودة ،وانحصرت في درق اللمط، ومزار يق الزان،وسيوف الهند[113]،وذلك تمشيا مع ما أستخدم في البيئة الصحراوية التي أنطلق منها.

أما في فترة التوسع ،والتي بسط فيها المرابطون نفوذهم على المغرب ،والأندلس،بدأت تتنوع الأسلحة وساهمت بذلك في بناء الجيش المرابطي،حيث ظهرت الأسلحة الخفيفة ،وأنواع مـــن الأســـلحة الثقيلة التي لا نجد لها ذكر قبل خروج المرابطين من الصحراء ،ولقد ظهرت أنـــواع الأســـلحة الخفيفة بدخول المغرب ،أما الأسلحة الثقيلة، فلقد ظهرت بدخول المرابطين الأندلس،وتمثلت هذه الأسلحة الثقيلة في: التروس ،والدروع،والخوذات[114].

ولقـــد تـــنوعت وتـــوزعت الأســـلحة فـــي الجيش المرابطي تبعا للعناصر ،والفرق العسكرية،وهذا يدل على تعـ ، وتنوع المهام ،والتخصصات في داخل الجيش،ومن هنا توزعت

---

[112] – محمد عبد الله عنان،المرجع الـ ق،القسم الأول،ص219.
[113] – المقري،المصدر السابق،ج 2– ص361.
[114] – ابن الخطيب،المصدر نفسه،المصدر السابـ ق،ص218.

الأسلحة على عناصر الجيش كلٌ حسب موقعه وتخصصه،فمثلا نجد عناصر العبيد السودان، تحمـل أسلحة خفيفة مثل: درقي اللمط ،وسيوف الهند ،ومزاريق الزان ،والخناجر ،وكذلك نجد فرقة المشاة تحمل تقريبا نفس الأسلحة ،مع وجود السهام،والنشاب ،والرماح الطويلة،أما فرقة الخـيالة فهي تنقسم إلى قسمين حسب الأسلحة ،بعضها يتسلح بأسلحة خفيفة ،والبعض يحمل أسلحة ثقيلة،وكل هذا ساهم في تكامل دور العناصر، والفرقة العسكرية بالجيش المرابطي.

وهكـذا نلاحـظ مماسبق أن الأسلحة داخل الجيش المرابطي ساهمت في بناء الجيش بالدرجة الأولى ومن بعد ساهمت في تطوره،ويرجع الفضل للمرابطين في الجمع بين مختلف هـذه الأسـلحة ،ووضـعها في بوتقة واحدة ،وهذه ربما لم نلاحظها في فترات سابقة لدولة المـرابطية، وسـوف نسـتوفي الحديث عن نظم الجيش المرابطي عند الحديث فيما بعد عن الطبول واستخداماتها بالجيش المرابطي.

ج – الطبول واستخدامها عند الجيش المرابطي:

تعد الطبول من الأدوات التي ساهمت في بناء الجيش،حيث تم الاستفادة منها في قيام الجيش بواجباته على أكمل وجه،وبالنسبة لاستخدام الطبول عند الجيش المرابطي،فلا نجد لـه ذكـراً قبل خروج المرابطين من الصحراء،أما بعد التوغل في المغرب والوصول إلى ثغري طنجة ،وسبتة،نلاحظ ورود ذكر لاستخدام الطبول عند الجيش المرابطي[115]،وكان ذلك في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وذلك عند أخذها عن عناصر العبيد السودان الذين تميزوا بكثرة استخدامهم للطبول[116]،وهذا يعد تنظيما جديدا أدخله المرابطون على جيشهم.

ولقـد استخدمت الطبول في الجيش المرابطي في مناسبات مختلفة ومنها عند تجهيز الجيش أي قبل خروجه لأرض المعركة،وكذلك عند بداية الهجوم وأثناء المعركة[117]،حيث كان لهـا دورٌ كبيـرٌ في إدخال الحماس ورفع الروح المعنوية لدا الجند المرابطي،ومن المؤكد انه كان هناك فرق بين دقات الطبول في كل مناسبة من المناسبات التي سبق ذكرها،ومن الملاحظ أن تـنوع اسـتخدام الطبول داخل الجيش،واختلاف مناسباته ،يعتبر تطورا جديدا أدخل على الجيش المرابطي .

---

115 – ابن ابي زرع،المصدر السابق،ص142.
116 – إبراهيم حركات،المرجع السابق،ص208.
117 – حسن احمد محمود،المرجع السابق،ص390.

ولقد تميزت هذه الطبول بصوتها القوي الأمر الذي جعل من السهل سماع صوتها من مسافة بعيدة،حيث كان لها دوي هائل تهتز له الأرض وتتجاوب له الآفاق[118]،ويرجع ذلك إلي جودة صناعتها وكبر حجمها،ولقد كان يتولى الدق على هذه الطبول وحملها أفراد مخصصون لذلك يسمون الطبالون.

كل ذلك جعل طبول الجيش المرابطي تلقي شهرة في المغرب ،الأمر الذي جعل حاكم طـنجة و سـبتة –سكوت البرغواطي– يغلظ الأيمان من اجل منع المرابطين إسماع طبولهم لأهالي طنجة[119]،وجاء ذلك رغم أن سكوت البرغواطي لم يلتق مع المرابطين في حروب من قبل.

وهكذا فان الطبول من المؤكد أنها أدت دورها داخل الجيش سواء في المغرب أو في الأندلس ،والدليل على ذلك، موقعة الزلاقة ،والتي كان النصر فيها حليفا للمرابطين،و من هنا يمكن القول أنها ساهمت في وضع لبنة جديدة في بناء الجيش.

د- الرايات واستخدامها عند الجيش المرابطي:

تعتبـر الـراية علامة القيادة التي يحملها الجيش وشعار الدولة الذي قامت من اجله، وترتبط الراية بشرف وكرامة الدولة،ولذا نجدها تنال تقديرا كبيرا داخل الجيش.

وبالنسـبة لاستخدامها داخل جيوش المرابطين،فإننا لانجد لها ذكراً قبل خروجهم من الصـحراء، ولكن هذا مستبعد ،لأن المرابطين أقاموا دعوتهم على أساس إسلامي هدفه الأمر بالمعـروف ومحاربـة المنكـر،ولـذا مـن المفتـرض أنـه كانت هناك راية تتقدم القبائل الصـنهاجية،كتب عليها شعار التوحيد في الإسلام،والمهم هنا حتى لو وجدت راية عند الجيش المرابطي في ذلك الوقت فهي بسيطة توحي إلينا بضعف بناء الجيش المرابطي.

أما عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين والذي حرص فيه على بناء جيشه وتطويره، باسـتكثار العناصـر المقاتلـة والفرق العسكرية التي شكل منها نظاما متناسقا ومراسم جيدة للجيش المرابطي، جعله يهتم بالرايات وأهميتها داخل الجيش،ففي هذه الفترة تعددت العناصر

---

[118]- المقري،المصدر السابق،ص300.
[119]- ابن ابي زرع،المصدر السابق،ص142.

المقاتلة والفرق العسكرية المكونة للجيش المرابطي ،وبالتالي تم وضع راية خاصة لكل عنصر أو فـرقة داخـل الجيش المرابطي، وذلك تمييزا لها عن غيرها الأمر الذي ساعد على تنظيم الجيش.

ولقـد قـام بحمـل هـذه الرايات أفراد معينون من قبل قادتهم ،يطلق عليهم حاملي الـرايات[120]،ومن المؤكد أن حامل الراية يكون ذا شخصية قوية شجاعة هدفه الوحيد أن تبقى الـراية عالية خفاقة ويعي تماما أنها شرف وكرامة الدولة.وقد كانت تصنع من القماش وغالبا ما يكون من الحرير ويتم توشيتها بالذهب[121]،الأمر الذي يزيد من قداستها ويضفي عليها جمالا وأبهة.

هـذا ومن المؤكد أن الراية الكبيرة التي حملها الجيش، كتب عليها شعار التوحيد مع بعض الآيات القرآنية،والتي وجد إلى جانبها، الرايات التي تحملها العناصر والفرق العسكرية داخل الجيش والتي توزعت كمايلي:حيث حملت فرقة المشاة راية خاصة بها،أما عناصر قبائل صـنهاجة فقد حملت راية كتب عليها آيات قرآنية،أما فرقة الحشم فقد حملت راية ذات ألوان مزركشة.

وهكـذا نلاحظ أن الرايات أضفت ميزات على العناصر والفرق العسكرية، مما ساهم إلـى حد كبير في بناء الجيش المرابطي،خصوصا أن اغلب العناصر في الجيش المرابطي لم تعـرف فكرة حمل الرايات في الجيوش،وما قام به المرابطون هو بالتأكيد أخذا على ما كان بالأندلس،حيث استغلوه في بناء جيشهم وذلك لأن الأندلس كان لها باع طويل على مدا التاريخ في المجال العسكري واستمر ذلك حتى عهد دولة المرابطين .

هـ - فنون القتال عند الجيش المرابطي

بعد أن تم استعراض الجيش المرابطي من ناحية عناصره، وفرقه ،وقيادته العسكرية ،وطبوله ،ورايته التي أستخدمها، أصبح من الواجب دراسة الفنون القتالية لديه.

---

[120] - البكري،المصدر السابق،ص116.

[121] - إبراهيم حركات،المرجع السابق،ص210.

فقد ارتبط فن القتال عند الجيش المرابطي بما يحويه من عناصر ،وفرق ،إضافة إلى أن المراسم التي تشكلها هذه العناصر والفرق داخل الجيش ،تلعب دورا كبيرا في إبراز ذلك،ففي بداية أمر المرابطين ،وعندما كان جيشهم يتكون من: فرقتي المشاة ،والأبالة كان قتالهم يقوم على أساس تشكيل جند فرقة المشاة صفوفا يحمل جند الصف الأمامي أسلحة من درقي اللمط ،والرماح ،والمزاريق المصنوعة من الزان ،ويشكلون حاجزا يحول دون اقتحام جند العدو للجيش،ويأتي في الصف الثاني الجند الرماة حاملو السهام والنشاب،وهؤلاء قتالهم يكون قبل الاصطدام بالعدو،ومن بعد يأتي دور فرقة الأبالة لتقضي على ما تبقى من جيش العدو[122].

أما بعد توسع المرابطين في المغرب والأندلس وتحديدا في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين،أخذ ما كان موجودا عند المرابطين في الصحراء من جيش ،وأضاف إليه عناصرا ،وفرقا جديدة ،وأدخل عليه تنظيمات منها: وضع مراسم تتميز بالحداثة في ذلك الوقت ،تقوم على أساس النظام الخماسي وفيه يقسم الجيش إلى خمسة أقسام بناء على ما هو موجود فيه من عناصر وفرق مقاتلة،ولقد كان مثل هذا النظام متبعا بالأندلس وخصوصا عند النصارى. وهذا كله ساهم في إظهار فنون القتال عند الجيش المرابطي بشكل أكثر تطورا

وداخل هذه المراسم تشهد عناصر ،وفرق الجيش نوعين من التقسيم:النوع الأول يقوم على أساس تصنيف الجند حسب الأقاليم ،والمدن ،والقبائل، ليكون الجند أكثر ترابطا فيما بينهم عند القتال،فمثلا فرقة الحشم تقع في المقدمة ،وأهل الثغور في الجناحين ،أما القلب فيوجد به صنهاجة ،وفي المؤخرة أهل الأندلس[123]،أما النوع الثاني فهو يقوم على أساس الفرقة العسكرية،حيث تتألف المقدمة من جند المشاة، أما الجناحان فهما يتألفان من وحدات الفرسان الخفيفة، وحملة النبال،أما القلب فيتألف من وحدات الفرسان الثقيلة،وأخيرا المؤخرة وفي العادة توجد بها القوات الاحتياطية ،وأغلب الأحيان يتمركز بها أمير المسلمين[124].

وبناء على المراسم الجيدة ،والتوزيع المتقن للعناصر ،والفرق العسكرية ،برز فن القتال عند الجيش المرابطي بشكل يلفت الانتباه،حيث يتم القتال بخروج الفرق الأولى في المقدمة ،وتخوض بدايات المعركة وتصطلي بنيرانها،وبعد أن تنهك تأتي بعدها فرق القسم

---

122 – الطرطوشي،المصدر السابق،ص179.

123 – ابن الخطيب،المصدر السابق،ج1،ص179.

124 – يوسف أشباخ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1،القاهرة،1940م،ص235.

التالي ،وهكذا حتى يأتي الدور على القوات الاحتياطية، وأخيرا يأتي الدور على الفرق المكونة مـــن جند قبيلة لمتونه الصنهاجية،حتى تقوم بجني ثمار المعركة،ولعل السبب في دخولهم في آخـــر المعركة،لأنهم إذا دخلوا في البداية فسوف يؤدي ذلك إلى إنهاكهم،وبالتالي يتفرق جمع باقي الفرق العسكرية[125]،كما أن أخذهم هذا التوقيت بالذات في المعركة،وذلك لثقتهم بمقدرتهم القتالية،وخاصة أنهم عرفوا بضربات السيوف التي تميت الفارس ،وطعنات الرماح ،والخناجر التي تقسم الكلى[126].

ونتيجة لهذا النظام الدقيق ،والفن القتالي الجيد حقق المرابطون انتصارات عظيمة في المغرب ،والأندلس، وكان ذلك واضحا في موقعة الزلاقة،ذلك الفن في القتال الذي جاء نتيجة لمـــا لقـــنه أمراء المرابطين من تدريب للعناصر والفرق العسكرية في الجيش، حتى ظهرت جهودهم في المعارك سواء العناصر الصنهاجية وعناصر قبائل المغرب والنصارى المرتزقة والعبـــيد الســـودان، أو فرق الحرس الخاص وفرق الفرسان الخفيفة والثقيلة حيث اعتمدوا في قتالهم على عنصر المفاجئة والحرب الخاطفة وسرعة الحركة داخل ميادين القتال وهذا يرجع إلى المهارة الفردية التي تميز بها كل جندي في الجيش المرابطي،وأخيرا يمكن أن نورد هذه الأبـــيات[127] التي هي من نظم وكتابة المؤرخ ابن الصيرفي والتي أهداها إلى أمير المسلمين تاشـــفين بـــن علـــي وهـــي تتضـــمن بعض فنون القتال التي نصح بها ابن الصيرفي أمير المسلمين،لأنه من المرجح أن يكون قد أخذها بعين الاعتبار والتطبيق داخل الجيش.

أهديك من أدب الوغى حكم بها كانت ملوك الحرب مثلك تولـــع
لأنني أدري بها،لكنـــــــــــها ذكرى تخص المؤمنين وتنفـــع
خندق عليك إذا ضربت محلـــه سيان تتبع ظاهرا أو تتبـــــع
حارب بمن يخشى عقابك لا الذي تخشى ومن في جود كفك يطمـع
قبل التناوش عب جيشك مفسحا حيث التمكن والمجال الأوســـع
إياك تعبية الجيوش مضيـــقا والخيال تفحص بالرجال وتمـــزع
حسن حواشيها وكن في قلبها وأجعل أمامك منهم من يشجـــع
وأحـــــذر كمين الروم عند لقائها واحفظ كمينك خلفها إذ تدفـع

125- حسن أحمد محمود،المرجع السابق،ص300.
126- المقري،المصدر السابق،ج4،ص351.
127- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص126 وما بعدها.

لا تبقـــين النهر خلفك عندما تلقى العدو فأمره متوقـــــــــع
أجعل مناجزة العدو عشية ووراءك الصدف الذي هو أمـــــنع
واصدمه أول وهلة لا ترتدع بعد التقدم فالنكوص تضعضـــــع

و- فن الحصار والخطط العسكرية عند الجيش المرابطي:.

فـــي بدايـــة أمـــر المرابطين ،وفي الفترة التي بدءوا فيها الزحف من الصحراء نحو المغـــرب لـــم يكونـــوا على معرفة بفن الحصار والخطط العسكرية ،وربما يرجع السبب لقلة الحصـــون والقـــلاع التـــي تتخذها القبائل سواء في الصحراء أو في بلاد المغرب ،وبدخول المـــرابطين إلى الأندلس ،التي تميزت مدنها بكثرة قلاعها ،وحصونها ،وأسوارها، كان على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين تدريب جيشه على مثل هذه الفنون حتى يدعم بناءاته ويزيد من خبرته العسكرية.

وبزحف جيش المرابطين على المغرب والأندلس،كثيرا ما صادفته عوائق تحول دون مواصلة زحفه،ومن هذه العوائق: تحصن أهالي البلاد الفاتحين لها بحصونهم وقلاعهم وبالتالي اســـتفاد الجـــيش المرابطي من تجاربه التي فشل فيها عند استخدامه فن الحصار،ومن ذلك ما حدث عند حصار لحصن لبيط بالأندلس[128]،حيث جاء حصاره بعد ذلك لقلعة شنترين[129] متوجا بالـــنجاح،وهكذا دأب المرابطون على استخدام هذا الفن حيث قاموا بحصار مدينة غرناطة[130] عند استنجاد النصارى المعادين بهم.

أمـــا بالنســـبة للخطط العسكرية ،فقد استخدمها الجيش المرابطي منذ دخوله المغرب والأندلس ،ولقد أملتها عليه الظروف،فليس كل نصر في المعارك نهايته بالصدام المباشر بين الجيوش ،فقد يأتي بسبب خطة عسكرية،تكفي عن الحرب أو تقلل من خسائرها،وهذا ما قام به قادة الجيوش المرابطي ،فعند محاولة القائد المرابطي سير بن أبي بكر السيطرة على قلعة بني هـــود، الـــتابعة لملوك الطوائف في الأندلس، لم يقدر على ذلك،وبالتالي أضطر إلى استخدام الخطـــط العسكرية، حيث قام بإرسال فرقة بسيطة من جيشه إلى القلعة لوهم أهالي القلعة أنهم

128- ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص133.

129- المراكشي،محي الدين عبدالواحد بن علي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زينهم- محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،1994،ص47.

130- المقري،المصدر السابق،ج1،ص110.

قادرون على فتحها،في الوقت الذي اختبأ فيه هو وباقي جيشه عن أنظار بني هود،وعندما رأى صـــاحب القلعة تلك الفرقة، استضعفها وفتح أبواب القلعة لقتالها ،وفي هذا الوقت خرج عليه القائـــد المرابطـــي ،وتمكـــن من السيطرة على القلعة[131]،وكذلك قام أمير المسلمين يوسف بن تاشـــفين،قبل بداية معركة الزلاقة،بإرسال فرقة عسكرية إلى معسكر النصارى، وأضرمت فيه النار الأمر الذي أنزل الفزع والخوف في معسكر النصارى،وهكذا انشغل النصارى عن قتال المعتمد بن عباد،وبالتالي كان لهذه الخطة أثر في اضطراب الروح المعنوية للنصارى،كما كان لإدخال المرابطين فرقة الأبالة في هذه المعركة دورا في فزع وخوف خيل النصارى وهذا في حد ذاته يعتبر خطة عسكرية.

وهكـــذا من خلال دراسة الفصل السابق ،يمكن استخلاص أبرز جهود المرابطين ،في سبيل بناء جيشهم ،ويمكن حصرها في النقاط التالية:

1.لم شمل قبائل صنهاجة بحيث كونوا نواة الجيش المرابطي.

2.توحيد قبائل المغرب، واستكمال بناء الجيش المرابطي منهم.

3.استقدام العناصر العربية، وإدخالهم ضمن التركيبة الاجتماعية للجيش.

4.شراء العبيد السودان، وإدخالهم ضمن العناصر المقاتلة بالجيش.

5.توحـــيد الأنـــدلس مـــع المغرب ،الأمر الذي ترتب عنها دخول النصارى المرتزقة ضمن التركيبة الاجتماعية للجيش المرابطي.

6.بـــناء العديـــد مـــن الفـــرق العســـكرية بالجيش المرابطي ومن ذلك،فرقة المشاة ،وفرقة الأبالة،وفرقة الفرسان،وفرقة الحرس الخاص.

7.كمـــا قـــام المرابطون بتوحيد وتنظيم القيادة العسكرية للجيش ،وذلك بتولي أمير المسلمين القيادة العليا،ومنح القيادات الفرعية لقادة العناصر والفرق العسكرية،دون تمييز في الأصل،مع اتباع سياسة العزل لهؤلاء القادة لكي لا يشكلوا خطرا علي الدولة.

8.إقامـــة مقـــر لقيادة الجيوش المرابطية بالمغرب والأندلس،وكان ذلك مدينة مراكش،ثم نقله للإقليم الذي يضم طنجة وسبتة لقربهما من الأندلس.

9.حرص المرابطون علي الاستفادة من ما كان بالمغرب والأندلس من أسلحة في بناء جيشهم.

10.إدخال الطبول والاستفادة منها داخل الجيش.

11.تزويد العناصر والفرق العسكرية بالرايات،مما جعل الجيش أكثر تنظيما.

---

131 ابن خلكان،المصدر السابق،ج7،ص122.

12.قيام المرابطون بتنمية الفنون القتالية لدا الجيش.

13.كما قام المرابطون بتدريب جيوشهم علي العديد من الفنون القتالية،وفن الحصار والخطط العسكرية.

الفصل الثـــاني:تطـور الأسطـــول المرابطي ومنشـــأتـــه الدفـاعيـــة:

المبحـــث الأول:تطـــور الأسطـــول المـــرابطي:

أ.نشـــــأة الأسطـــــول المرابطـــــي.

ب.النشـــــاط الحربي للأسطول المرابطي.

ج.قـــيادة الأســـطول المرابطـــــي.

د.أنـواع وخصـائص السـفن المرابطـية.

اولاً.أنواع السفن المرابطية.

ثانيا.خصـائص السفن في الأسطول المرابطي.

هـ.القـواعد البحـرية ودور الصـناعـة.

المبحث الثاني:تطـــور المنشـــآت الدفاعـــــية:

أ.الحـــصون.

ب.الأبـــراج.

المبحث الأول-: تطور الأسطول المرابطي.

في بداية أمر المرابطين،أي قبل خروجهم من الصحراء في اتجاه تجاه المغرب لم يكونوا في حاجة إلى تأسيس أسطول لدولتهم؛ لعدم وجود الضرورة إلى ذلك،أما بعد توسعهم في المغرب ووصولهم إلى سواحل الأندلس،فقد أصبحت الضرورة ملحة عليهم لبناء أسطول قوي لدولتهم،وذلك لتأمين حدودها من السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط،إضافة إلى تحقيق رغباتهم التوسعية تجاه الأندلس،بالتدريج ،الأمر الذي جعل الأسطول يصبح عنصرا أساسيا في المؤسسة العسكرية يؤدي دورا هاما في دولة المرابطين،حتى نال شهرة كبيرة في المغرب والأندلس،وخصوصا أن بلاد المغرب لم تشهد أسطولا متطورا لدولة منظمة معاصرا لقيام دولة المرابطين.

ولتسهيل دراسة تطور الأسطول المرابطي سنتناول نشأة الأسطول المرابطي ونشاطه الحربي وقيادته العسكرية، إضافة إلى دراسة السفن المكونة ل وخصائصها، ودراسة القواعد البحرية ودور الصناعة بها،باعتبار أن لها دورا كبيرا في بناء الأسطول المرابطي.

أ نشأة الأسطول المرابطي.

عند خروج المرابطين من الصحراء سيطروا على العديد من المراكز في المغرب والأندلس،سهلت لهم مهمة بناء أسطول لدولتهم،لما في تلك المراكز من موارد وإمكانيات تخص مجال بناء الأسطول،والتي عن طريقها تم لهم ذلك،وكانت البداية ببلاد المغرب،حيث تمكن المرابطون من السيطرة على أهم ثغرين بحريين هناك وهما طنجة 470هـ/1077م وسبتة سنة 477هـ/1084م[132] ،وهكذا أصبح المرابطون لأول مرة يطلون على البحر،وهناك سيطروا على ما وجدوا بهما من سفن ودور صناعة والتي كان يملكها الحاكم هناك،وهو سقوت البرغواطي،ويمكن الإشارة هنا إلى أن فتح المرابطين لهذين الثغرين جاء موافقا لرغبتهم في ذلك أولا، وإلى الظروف التي استجدت في الأندلس، والمتمثلة في تهديد النصارى لها ثانيا، الأمر الذي جعل ملوك الطوائف يستنجدون بالمرابطين سنة 467هـ/ 1074م،وبالتالي أصبح من الضروري على المرابطين فتح طنجة وسبتة،بذلك الجيش المرابطي الذي قاده صالح بن عمران ،والذي بلغ تعداده اثنين وثلاثين ألف فارس،وتم قتل

132- ابن أبي زرع ،المصدر السابق، ص143 - 144 .

سقوط البرغواطي والسيطرة[133] على طنجة،أما سبتة فلقد سيطر عليها الجيش الذي يقوده المعز ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[134]،وهكذا أصبح الطريق إلى الأندلس مفتوحا،وما ينقص هنا إلا دعم ملوك الطوائف للمرابطين بالسفن حتى يؤدون مهمتهم بيسر وسهولة.

ما سبق كان بخصوص امتلاك المرابطين لأهم القواعد البحرية بالمغرب،ودورها في تشكيل نواة الأسطول المرابطي،أما الأندلس فلقد كان لسيطرة المرابطين عليها دور كبير في بناء الأسطول المرابطي،ولعل أولى تلك الثمرات التي جناها المرابطون من الأندلس — والتي كان لها دورا في بناء الأسطول المرابطي — هي امتلاكهم للجزيرة الخضراء التي وهبها ملوك الطوائف للمرابطين[135] مقابل تقديمهم المساعدة إليهم[136]، وكانت هذه الجزيرة تتمتع بموقع بحري هام يربط بين المغرب والأندلس ،إضافة إلى ما كان بها من دور لصناعة السفن وامتلاكها لعديد من السفن الحربية.

وبعد امتلاك المرابطين للجزيرة الخضراء بدأ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يجهز جيوشه للعبور الأول إلى الأندلس سنة 479هـ/1068م،وكان في ذلك الوقت يمتلك أسطولا بسيطا عبر به أرض المغرب إلى الجزيرة الخضراء ومن بعد إلى الأندلس[137]،وهكذا تم الدخول للأندلس وتشكيل جبهتين من جيوش المرابطين وجيوش ملوك الطوائف لقتال جيوش النصارى بقيادة (Alfonso Vi) ألفونسو السادس والتقت الجيوش الإسلامية مع جيوش النصارى على أرض الزلاقة[138]،وما نلاحظه في هذا العبور هو اطلاع المرابطين بزعامة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على خيرات الأندلس وقواعدها العسكرية،وربما ذلك جعل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لايحبذ الرجوع إلى المغرب لولا وفاة ابنه أبي بكر،ولكن هذا لا يمنع من ظهور بوادر بسيطة لديه في السيطرة على الأندلس،وخصوصا أن ذلك يمكنه من إنشاء أسطول قوي يضاهي أساطيل النصارى .

133- ابن أبي زرع ،المصدر السابق،ص142.
134- المصدر نفسه،ص144،
135- مؤلف مجهول،المصدر نفسه،ص51.
136- المصدر نفسه،ص50.
137- ابن أبي زرع ، المصدر السابق،ص145.
138- المصدر نفسه،ص147.

وفـــي سنة 481هـــ/1088م،عبر أمير السلمين يوسف بن تاشفين،العبور الثاني إلى الأندلس،هذا العبور الذي اقتنع فيه أمير السلمين يوسف بن تاشفين بأن السيطرة على الأندلس أمرٌ لا رجعة فيه،وهي سبيله إلى ما يرنو إليه من صد خطر النصارى واستكمال بناء أسطوله وتوســيع نفوذ دولته،وكان سبب هذا العبور هو تهديد (Alfonso Vi) ألفونسو السادس لأمــلاك المعتمد بن عباد من حصن لييط،ولكن نلاحظ هنا أن تخاذل باقي ملوك الطوائف في تقــديم المســاعدة للمــرابطين،عــند حصــارهم لحصــن لييط الذي يتحصــــن بـــــه (Alfonso Vi) ألفونســو السادس قد جعل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يفشل في طــرد النصــارى من الأندلس،ويرجع إلى المغرب وصدره ضائق من ملوك الطوائف،وعلى قــناعة بأن ملوك الطوائف[139]، ليسوا أهلا للأندلس وخيراتها،ومن هنا كان للعبور الثاني دور في إيجاد الأسباب لسيطرة المرابطين على الأندلس وقواعدها البحرية فيمابعد.

فـــي سنة 483هـــ/1090م عبر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين العبور الثالث إلى الأندلس،وكان هدفه الجهاد واستلاك الأندلس من ملوك الطوائف،وهكذا بدأت جيوش المرابطين بشــن عملياتها العسكرية على مدن الأندلس،والسيطرة عليها،حتى وصل في سنة ونصف ما سيطر عليه المرابطون إلى ما يملكه خمسة من ملوك الطوائف،وهم المعتمد بن عبـــاد،وعبد الله بن بلقين (465هـــ-483هـــ/1072م-1090م)وابن الأخرص وابن عبد العزيز وعبد الله بــن بكــر صاحب جيان وأبله وأستجة[140] إضافة إلى سيطرة المرابطين في سنتي (485 هـــ-486هـــ/1093م-1094م) علــى العديد من المدن الأندلسية والقواعد العسكرية البحرية التي لعبت دورا كبير ا في بناء الأسطول المرابطي وذلك لتمتعها بدور صناعة السفن الحربية،ومن ذلك ماكان في مدينة المرية،ودانية،وبلنسية[141].

وهكــذا نلاحظ أن عهد مير المسلمين يوسف بن تاشفين تم فيه السيطرة على أجزاء كبيــرة من الأندلس والتي شملت العديد من القواعد البحرية العسكرية والتي ساهمت في بناء الأســطول المرابطي،وخاصة أن الأندلس تمتاز بالعديد من الإمكانيات الهائلة من مواد تصنيع الســفن إضافة إلى الخبرات في مجال البحرية العسكرية وهذا كله وظفه المرابطون في بناء أسطولهم .

139- ابن ابي زرع،المصدر السابق،ص52.
140- المصدر نفسه،ص156.
141- المصدر نفسه،ص136.

واستكمل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين السيطرة على باقي القواعد البحرية الهامة في الأندلس مثل: الجزائر الشرقية ،ميورقة ،ويابسة[142]،والتي تميزت بتوفر الإمكانيات البحرية من سفن وخبرات بحرية أندلسية،وهذا بالطبع ساهم في بناء الأسطول المرابطي.

وهكذا وبوضع الإمكانيات من قواعد بحرية ،ودور صناعه ،ومواد خام ،وخبرات أندلسية في أيدي المرابطين،فأن النتيجة لاشك سوف تكون بناء أسطول حربي قوي مجهز من جميع الجوانب،والدليل على ذلك النشاطات البحرية في مجال البحر التي قام بها أسطول المرابطين،الأمر الذي ساهم في توفير الأمن في الأندلس والمغرب،وتأمين الثغور البحرية التي قد يهددهم منها الخطر.

ب- النشاط الحربي للأسطول المرابطي:

سيطر المرابطون على أهم ثغرين بحريين بالمغرب،وهما طنجة وسبتة،وبذلك تم لهم السيطرة على أجزاء كبيرة من المغرب،ونجد هنا أن فتح هذين الثغرين تم عن طريق تعاون بين القوى البرية المرابطية والقوى البحرية للمعتمد بن عباد[143]،وهذا يجعلنا نعتقد أن المعتمد بن عباد قد ترك جزءاً من أسطوله للمرابطين ليتمكنوا من العبور إلى الأندلس ،لتقديم المساعدة إلى ملوك الطوائف ضد النصارى،وهذا من المؤكد أنه شكل جزء من الأسطول المرابطي،إضافة إلى ما استولى عليه المرابطون من سفن حربية بعد سيطرتهم على طنجة وسبتة،وما وجدوه بالجزيرة الخضراء بعد أن سلمها إليهم المعتمد بن عباد،وهذا يقودنا إلى القول بأن المرابطين قد خرجوا إلى الأندلس بداية من العبور الأول سنة 479هـ/ 1089م بأسطول حربي،ربما يتميز بالبساطة وقلة العدد والعدة.

ونعتقد أن النشاط الحربي للأسطول المرابطي ظهر بشكل واضح في الأندلس بعد العبور الثالث 483هـ/1090م،حيث تمكن المرابطون في هذه الفترة من الاستيلاء على العديد من القواعد البحرية التي يمتلكها ملوك الطوائف في الأندلس،ومن المؤكد انه خلال زحف المرابطين على الأندلس ومدنها،قد ظهرت مشاركات للأسطول المرابطي،خصوصا أن العديد من مدن الأندلس أستوجب فتحها حصاراً برياً وبحرياً،ومن تلك المدن البحرية التي

---

[142]- ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص157.

[143]- ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص262.

سيطر عليها المرابطون مالقة،والمرية، ودانية،وبلنسية[144]،وكل هذه قواعد بحرية هامة أما عن نشـــاطات الأسطول المرابطي في عهد أمير المسلمين علي يوسف بن تاشفين،فلقد تمثلت في التوجه صوب الجزائر الشرقية في الأندلس[145]،مثل يابسة وميورقة،ومنورقة،إضافة إلى مدينة المهدية بإفريقية وجزيرة صقلية.

ولقـــد كانت الجزائر الشرقية،واقعة تحت نفوذ ولاة يتم تعيينهم من قبل صاحب مدينة دانـــية الأندلسية مجاهد العامري،وبعد قبض حاكم سرقسطة المقتدر بن هود على ابن مجاهد العامـــري،أعلـــن عبد الله المرتضى استقلاله بتلك الجزائر،وبعد هذا استولى عليها أحد موالي عبدالله المرتضى وهو مبشر بن سليمان الملقب بناصر الدولة.

غيـــر أن مبشـــر بن سليمان لم يهنأ بحكم هذه الجزائر،وذلك نتيجة لتهديد النصارى له،وكان ذلك سنة 508هـــ/1114م حين شهدت هذه الجزائر حملة نصرانية كبيرة[146]،هدفها الاســـتيلاء علـــيها،حـــيث اتجهـــت هـــذه الحملة في البداية في اتجاه جزيرة يابسة ثم اتجاه مـــيورقة،وفـــي هذه الأثناء استنجد مبشر بن سليمان بالأسطول المرابطي،وعلى الفور أرسل أســـطول المـــرابطين إلـــى الجزائـــر الشـــرقية،الأمر الذي أثار الرعب والفزع في أسطول النصـــارى،مما جعلهم يفرون من هذه الجزائر دون رجعة[147]،وهكذا نلاحظ الدور المهم الذي قام به أسطول المرابطين في الجزائر الشرقية.

وبالنســـبة لنشاطات الأسطول المرابطي في المهدية بإفريقية،فلقد بدأت بتهديد نصارى صـــقلية بـــزعامة الحاكـــــــم روجر الثاني((Roger ii[148] لها،حيث كانت مدينة المهديـــة تابعـــة لبني زيري أبناء عمومة المرابطين وتم ذلك تحديدا في عهد اخر أمراء بني زيري للمهدية وهو الأمير الحسن بن علي.

---

144 – ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص153،وما بعدها.

145 – المصدر نفسه،ص157.

146 – المراكشي،المصدر السابق، ص77.

147 – ابن خلدون ،المصدر السابق،ج6،ص223.

148 – التجاني،أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد،رحلة التجاني ،قدم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب،الدار العربية للكتاب،1981،ص333.

سيطر عليها المرابطون مالقة،والمرية، ودانية،وبلنسية[144]،وكل هذه قواعد بحرية هامة أما عن نشـــاطات الأسطول المرابطي في عهد أمير المسلمين علي يوسف بن تاشفين،فلقد تمثلت في التوجه صوب الجزائر الشرقية في الأندلس[145]،مثل يابسة وميورقة،ومنورقة،إضافة إلى مدينة المهدية بإفريقية وجزيرة صقلية.

ولقـــد كانت الجزائر الشرقية،واقعة تحت نفوذ ولاة يتم تعيينهم من قبل صاحب مدينة دانـــية الأندلسية مجاهد العامري،وبعد قبض حاكم سرقسطة المقتدر بن هود على ابن مجاهد العامـــري،أعلـــن عبد الله المرتضى استقلاله بتلك الجزائر،وبعد هذا استولى عليها أحد موالي عبدالله المرتضى وهو مبشر بن سليمان الملقب بناصر الدولة.

غيـــر أن مبشـــر بن سليمان لم يهنأ بحكم هذه الجزائر،وذلك نتيجة لتهديد النصارى له،وكان ذلك سنة 508هـــ/1114م حين شهدت هذه الجزائر حملة نصرانية كبيرة[146]،هدفها الاســـتيلاء علـــيها،حـــيث اتجهـــت هـــذه الحملة في البداية في اتجاه جزيرة يابسة ثم اتجاه مـــيورقة،وفـــي هذه الأثناء استنجد مبشر بن سليمان بالأسطول المرابطي،وعلى الفور أرسل أســـطول المـــرابطين إلـــى الجزائـــر الشـــرقية،الأمر الذي أثار الرعب والفزع في أسطول النصـــارى،مما جعلهم يفرون من هذه الجزائر دون رجعة[147]،وهكذا نلاحظ الدور المهم الذي قام به أسطول المرابطين في الجزائر الشرقية.

وبالنســـبة لنشاطات الأسطول المرابطي في المهدية بإفريقية،فلقد بدأت بتهديد نصارى صـــقلية بـــزعامة الحاكـــــــم روجر الثاني((Roger ii[148] لها،حيث كانت مدينة المهديـــة تابعـــة لبني زيري أبناء عمومة المرابطين وتم ذلك تحديدا في عهد اخر أمراء بني زيري للمهدية وهو الأمير الحسن بن علي.

---

144 – ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص153،وما بعدها.

145 – المصدر نفسه،ص157.

146 – المراكشي،المصدر السابق، ص77.

147 – ابن خلدون ،المصدر السابق،ج6،ص223.

148 – التجاني،أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد،رحلة التجاني ،قدم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب،الدار العربية للكتاب، 1981،ص333.

وتلـك المستجدات بالمهدية،جعلت الأمير الحسن بن علي يستنجد بأسطول المرابطين ضد النصارى،مما جعل أمير المسلمين علي بن يوسف، يبعث أسطولا ضخما،تحت قيادة القائد البحـري،محمـد بن ميمون،إلى جزيرة صقلية،حيث تمكن الأسطول من النزول على سواحل صقلية والسيطرة على عدد كبير من الحصون الموجودة بها،إضافة إلى اسر وسبي عدد كبير من سكان المنطقة،ويشير التجاني[149]،إلى أن(Roger ii) روجر الثاني كان يعتقد بأن كل عمليـة حـربية يقـوم بها الأسطول المرابطي على سواحل صقلية،هي بدعوة وتحريض من الأميـر الحسـن بن علي،وهذا دليل على أن غارات الأسطول المرابطي على جزيرة صقلية كانت متكررة.

وهكـذا نلاحـظ أن الأسطول المرابطي كان أسطولا قويا وله نفوذ كبيرٌ في حوض البحـر الأبيض المتوسط،والدليل على ذلك استنجاد المسلمين به سواء في الأندلس أم الجزائر الشـرقية أم المهديـة ورغـم أن المرابطين لم يبسطوا نفوذهم على المهدية،إلا أنهم وصلوا بأسطولهم هناك،وكان هدفهم تقديم المساعدة وتأديب النصارى،وهذا بدوره يرجع إلى الصيت الكبيـر والقوي الذي يتمتع به أسطول المرابطين إلى جانب ذلك نجد أن المرابطين يستفيدون مـن تلك المناطق التي يسيطرون عليها في مجال بناء أسطولهم،ولاشك أن كل تلك النشاطات للأسطول المرابطي،ترجع لقيادة الأسطول،وهذا ما سوف يتم تناوله لاحقا.

جـ - قيـادة الأسطول المرابطي.:

لاحظـنا فـيما سبق النشاط الحربي للأسطول المرابطي،والذي بفضله تمت السيطرة علـى العديـد من القواعد البحرية الهامة في المغرب والأندلس،والتي ساهمت في بنائه،ذلك النشاط الذي يرجع إلى القيادة الحكيمة للأسطول المرابطي،فلو تحدثنا عن المرابطين في بداية أمـرهم نجد أن خبرتهم في مجال البحر كانت قليلة،وذلك قبل السيطرة على الأندلس؛لأنهم لم يعـرفوا غير القتال على البر بما يحويه من صحراء وجبال،أما بعد أن أصبحوا يطلون على البحر وبنوا أسطولا،فـإننا نلاحظ أن قيادته كانت من عناصر أندلسية،وذلك لخبرتهم في ذلك المجـال وكـان مـن أشـهر تلك العناصر عائلة بني ميمون الأندلسية[150]،حيث توافد هؤلاء وغيـرهم علـى المرابطين وخصوصا بعد العبور الثالث إلى الأنـــدلس سنة 483هـ/

149- التجاني ،المصدر السابق،ص335 وما بعدها.

150 - بنو ميمون : هي أسرة سكنت جزيرة قاصن وهي إحدى الجزر القريبة من بلاد الأندلس، ولقد عرفوا بخبرتهم في الجانب البحري، ولقد مثل لهم سلطان بهذه الجزيرة في عهد المرابطين، ومن بعد أخذها منهم الموحدون ، ابن خلدون ، المصدر السابق،ج7 ، ص 268

1090م،حيث أصبح المرابطون يسيطرون بشكل كامل على الأندلس،وبالتالي استفاد المرابطون من العناصر المتوافدة عليهم من الأندلس،و أسندت إليهم مهمة قيادة أساطيل المرابطين،مع الإشراف العام للمرابطين على قيادة الحملات البحرية وتحديد خط سيرها.

وهكذا نجد تلك العناصر الأندلسية تؤدي دورها في الأسطول المرابطي على أكمل وجه،والدليل على ذلك النجاحات الكبيرة التي حققها الأسطول المرابطي،وخصوصا بتره ليد النصارى التي كانت تتطاول على الأندلس وسواحل المغرب،وبالتالي فلقد نالت تلك العناصر تقديرا كبيرا من المرابطين ،ونخص بالذكر عائلة بني ميمون،والدليل على ذلك أنه في أواخر أيام دولة المرابطين ــ عندما ساءت أحوالها السياسية حتى وصلت الأندلس ــ نجد أهالي مدينة المرية الأندلسية يقدمون القائد البحري لأسطول المرابطين وهو أبو عبد الله بن ميمون واليا عليهم وخليفة للمرابطين،وفي هذه الأثناء رد عليهم بقوله:" إنما أنا رجل منكم وظيفتي البحر وبه عرفت فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به فقدموا على أنفسكم من شئتم غيري"[151].

ولقد اشتهر العديد من القادة من بني ميمون في داخل الأسطول المرابطي،نظرا للدور الكبير الذي قدموه، ومنهم:علي بن عيسى بن ميمون وأبو عبد الله محمد بن ميمون،وهكذا نلاحظ مساهمة بني ميمون في بناء الأسطول المرابطي ،وذلك بأفكارهم البحرية التي أكتسبوها من كثرة قيادتهم للأساطيل،والشهرة العالية التي منحوها له ودليلنا علي ذلك ما جاء عند ابن خلدون في قوله:"وكان الجانب الغربي من هذا البحر] المقصود البحر الأبيض المتوسط [لهذا العهد] المقصود عهد المرابطين [موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة،فكان قواد الأسطول به لعهد لمتونه بني ميمون"[152].

ومن هنا يمكن القول إن المرابطين استفادوا من سكان البلاد التي سيطروا عليها في بناء منشأة الأسطول عندهم الأمر الذي وفر له قيادة حكيمة قادته إلى تحقيق النجاحات،إضافة إلى زيادة عدده وتنوع سفنه،وهذا التنوع في السفن داخل الأسطول المرابطي سوف يقودنا لدراسته في العنصر التالي .

---

151 المراكشي ، المصدر السابق،ص178.

152ابن خلدون،المصدر السابق،ج1،ص268.

د - أنواع وخصائص السفن المرابطية:.

لقد تكون الأسطول المرابطي من العديد من السفن ذات الأنواع والخصائص المختلفة،والتي امتلكها المرابطون من خلال سيطرتهم على المغرب والأندلس،إضافة إلى ما قاموا بصناعته،بعد استقرارهم في الأندلس،وبالتالي ساهم كل ذلك في بناء الأسطول المرابطي،وهذا ما سيتم عرضه في التالي:

اولا:أنواع السفن المرابطية:.

تنوعت السفن داخل الأسطول المرابطي ،ومنها: السهام ،والمطارد ،والحزادات وغيرها[153]. ويمكن إعطاء فكرة عن هذه الأنواع من السفن المرابطية مع الاستعانة بأنواع السفن الموجودة قبل عهد المرابطين،مثل عهد بني أميه بالأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل(138هـ-177هـ/755م-788م)، وخلفائه من بعده،الذين أعادوا الحياة إلى دور الصناعة والسفن في الأندلس،وهذه الأنواع من السفن هي:-

1. **الشواني**:-هي سفن طويلة وضخمه تستخدم في الحرب،وتكون مزودة بعدد من الأبراج والقلاع وتجدف بمائة وأربعين مجدافا[154].
2. **الأغرابة**:- ــ مفردها غراب ــ وهي سفن قريبة في شكلها من الشواني رأسها من الأمام مثل رأس الغراب،وتميزت بقوتها وشراستها في القتال[155].
3. **الطرائد**:- وهي عبارة عن سفن ضخمة،تستخدم للنقل،وخاصة نقل الخيول والآلات الحربية والمؤن،ومن المؤكد أنها استخدمت عند التجهيز لمعركة الزلاقة[156]،ومن المؤكد انه في هذه المعركة تم استعارتها من ملوك الطوائف بالأندلس.
4. **الشلنديات**:- وهي سفن مخصصة لنقل البضائع،لكبر حجمها واتساع سطحها وتستخدم كذلك لحمل السلاح والمؤن والذخائر[157].
5. **المسطحات**:- وهي سفن كبيرة الحجم،يتم جرها وراء مراكب الأسطول الصغيرة،لإنقاذ ركابها من الغرق إذا تحطمت مراكبهم[158].

153- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص68.

154- درويش الخيلي،السفن السلامية على حروف العجم،ط2،دار المعارف،الإسكندرية،1979م،ص83.

155- إبراهيم احمد العدوي،الأساطيل العربية في البحر المتوسط،مكتبة نهضة مصر بالفجالة،القاهرة،1957م،ص153.

156- علي محمد فهمي،التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي،ترجمة عدنان،دار الوحدة،بيروت 1981م،ص144.

157- عبد الفتاح عباده،سفن الأسطول الإسلامي،1913م،ص6.

158- الخيلي،المرجع السابق،ص141- 142.

6. **الطـــراد:**- وهـــي سفينة صغيرة الحجم،على هيئة برميل[159] مفتوحة من الأعلى، تستخدم لمطاردة سفن العدو نظرا لسرعتها[160].
7. **القراقير:**- وهي سفن كبيرة،تستخدم لحمل المؤن والأمتعة الخاصة بالأسطول[161].
8. **الـــبطس:**- تستخدم في الحرب وذلك لغرض نقل الجند والأسلحة والمؤن،وتتكون من عدة طوابق،كل طابق مخصص لفئة معينة من الجند وأسلحتهم[162].

وهكـــذا نلاحظ من التعدد والتنوع للسفن في الأسطول المرابطي،أن المرابطين تمكنوا مـــن بـــناء وتأســـيس أســـطول ضـــخم،أصبح يضاهي أساطيل النصارى في البحر الأبيض المتوسط،وساهم في بناء وتأسيس دعامة المؤسسة العسكرية عند المرابطين،ورغم تنوع السفن فـــي هـــذا الأسطول،إلا أنه هناك بعض الخصائص العامة لكل هذه السفن يمكن حصرها في العنصر التالي:-

ثانيا:خصائص السفن في الأسطول المرابطي.

تتكون السفينة في الأسطول من عدة أجزاء ،وهي:-

أ.مقدمـــة السفينة:- تتكون المقدمة من مرساة السفينة،وتشتمل على مجموعة ألواح،مصنوعة مـــن الخشب،تشد من الوسط في موضع واحد،ويتم تفريغ الرصاص المصهور بينهما فتصبح ثقـــيلة الـــوزن،ويـــتم شد حبال بتروس تلك الألواح الخشبية،وتستخدم عند توقف السفينة عن الإبحار،وذلك يتم بإلقائها في الماء،فتتوقف السفينة[163].

ب.مؤخـــرة الســـفينة:- يـــوجد بهـــا الدفـــة،وتســـتخدم هذه للتحكم في توجيه السفينة يمينا وشمالا[164]،ويتم تحريكها،عن طريق حبلين،وإضافة إلى هذه الدفة توجد دفة جانبية للحفاظ على توازن السفينة،إذا مالت بالرياح بأحد الجانبين[165].

159- العدوي،المرجع السابق،ص155.
160- الخيلي ،المرجع السابق،ص89.
161- عبادة،المرجع السابق،ص151.
162- العدوي،المرجع السابق،ص151.
163- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي،تاريخ الأسطول العربي،دمشق،1945،ص50.
164- المصدر نفسه،ص50.
165- المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد ، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة خياط ، بيروت ، 1906م، ص50.

جـــ. **الهـيكل الخارجـي**:- يتكون من جسم السفينة،إضافة إلى الدعامات،والتي يتم ربطها بالحـبال،لتزيد من قوة الهيكل،وكانت هذه الدعامات توضع بشكل أفقي في المقدمة والمؤخرة للسفينة[166].

د. **أجزاء أخرى في السفينة**:- القاع وهو جوف السفينة من الأسفل ويتكون من :الجمعة،وهي المكان الذي تجمع فيه المياه الراشحة إلى داخلها،والسلوفية وهي: مقعد الربان قائد السفينة[167].

ويـتم تسيير السفينة عن طريق الأشرعة بمساعدة الرياح، أو المجاديف التي يحركها صفين متوازيين من البحارة في وقت واحد،وتتكون الأشرعة من الصواري أو السواري التي يتم صناعتها من جذوع النخيل،وخشب الساج،أما الشراع نفسه فكان يصنع من خليط من ألياف البردي وأعشاب وألياف الكتان[168]،ونهايات الأشرعة يتم كسوتها بالجلد،وكانت الأشرعة تحمل مجمـوعة ألـوان،أما الحبال التي تستخدم في هذه السفن فكانت تصنع من الجلد أو من ألياف البردي والكتان[169].

وأخيرا يمكن القول :إن الأسطول المرابطي كان يعتمد في بنائه ونشأته على سفن ذات قدرات حربية عالية،الأمر الذي انعكس على نشأة وبناء المؤسسة العسكرية في عهد المرابطين وسـوف يـتم لاحقـا الحديث عن هذه القواعد،ومدى أهميتها بالنسبة لبناء ونشأة الأسطول المرابطي.

هـ- القواعد البحرية ودور الصناعة:.

تميـزت سواحل إقليم المغرب والأندلس التي سيطر عليها المرابطون،بطولها وكثرة القـواعد البحرية ودور الصناعة بها ،تلك القواعد ودور الصناعة التي تميزت بكثرة مواردها البشـرية والمادية، مثل :المواد الخام اللازمة لصناعة السفن والأيدي العاملة ،إضافة إلى ذلك أهمـية مـوقعها لصـد الأخطار الخارجية،كل ذلك ساهم تدريجيا في بناء وتأسيس الأسطول المرابطي، الذي أصبح أعظم الأساطيل التي ظهرت ببلاد المغرب في ذلك الوقت.

166- سعاد ماهر، البحرية الإسلامية وآثارها الباقية ، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص168.

167- القلقشندي ، المصدر السابق، ص67.

168- المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ج1 ، ص44.

169- المسعودي ، المصدر السابق، ص44.

ومـــن هنا يمكن تناول أهم تلك القواعد ودور الصناعة الهامة ببلاد المغرب والأندلس ونخص بالذكر تلك الداخلة في الحدود التي سيطر عليها المرابطون :-

1. **طنجة**:- مدينة تطل على البحر من خلال وقوعها على جبل مرتفع،وتوجد بها دار لإنشاء المراكب،إضافة إلى كثرة الصناع والفعّلة الموجودين بها في هذا المجال[170] .
2. **سبتة**:- وهـي مدينـة تطـل علـى البحـر،وتتمـتع بأسوارها وكثرة أبوابها وحصـــــانتها [171].
3. **وهـران**:- تقـع على البحر الأبيض المتوسط،وبها مرسى للسفن، وتقع في مقابلة مدينة المرية الأندلسية،ولقد كانت ذات عمارة دائمة بالسفن والمراكب[172].
4. **طـركونة**:- تقـع هذه المدينة على البحر الأبيض المتوسط،وهي تمثل قاعدة من قواعد الأندلس البحرية وهي ذات بناء حصين[173].
5. **دانـية**:- مدينـة تقـع على ساحل البحر البيض المتوسط بشرق الأندلس،تحصنها الأســوار الموجـودة بها،وتمثل قاعدة حربية هامة في الأندلس ، تخرج منها الأساطيل للغزو ،إضافة إلى وجود دار صناعة بها[174].
6. **أشبيلية**:- تقع على نهر الوادي الكبير في الأندلس،وهي من القديم تعتبر أم القواعد الأندلسية، وتتميز بحصانتها ومنعتها وكثرة أسوارها،ولا تدخلها السفن الحربية فقط بل تمر بها السفن التجارية،وخاصة تلك التي تحمل زيت الزيتون الذي اشتهرت بإنتاجه[175].
7. **صـقلية**:- جزيـرة عظـيمة وحصـينة تقع بالبحر الأبيض المتوسط،ويوجد بها ميناء،تنزل به السفن،وهي تمثل قاعدة بحرية هامة[176].
8. **مـيورقة**:- جزيـرة فـي البحـر الأبـيض المتوسـط،حكمها العديد من الولاة المرابطين،وهي تعتبر قاعدة بحرية وتوجد بها دار لصناعة السفن[177].
9. **مالقـة**:- مدينـة أندلسـية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط،وهي في غاية الحصانة والمنعة[178].

170- الأدريسي،الشريف أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، حققه محمد حاج صادق،ص183.
171- الحميري، المصدر السابق، ص303
172- المصدر نفسه ، ص612.
173- المصدر نفسه ، ص312.
174- المصدر نفسه ، ص252.
175- المصدر نفسه ، ص58.
176- المصدر نفسه ، ص366.
177- المصدر نفسه، ص267.
178- المصدر نفسه ، ص517.

10. **المـــرية**:- تقـــع هـــذه المدينة على البحر الأبيض المتوسط وتكثر بها الأربطة و المحـــارس،ومراســـيها مـــن أشـــهر المراسي بالأندلس،وأعمرها، وتوجد بها العديد من الصـــناعات من أهمها صناعة النحاس والحديد،والتي استخدمت في صناعة السفن،ولقد كثرت بها المراكب التجارية،إضافة إلى وجود الأساطيل الحربية بها[179].

11. **بلنســـية**:- مدينـــة تقـــع شـــرق الأنـــدلس علـــى البحر،وهي قاعدة من القواعد الأندلسية،تميزت بعمارتها الدائمة بالسفن[180].

12. **بايسة**:- تقع على البحر الأبيض المتوسط،وهي مجاورة لجزيرة ميورقة،ويوجد بها عـــدد من المراسي للسفن،وتكثر بها أشجار الصنوبر اللازمة لإنشاء وصناعة المراكب والسفن[181].

13. **مـــنورقة**:- تقع في مقابل برشلونة بشرق الأندلس،وقد بقيت لفترة طويلة في أيدي المسلمين[182].

وهكذا من خلال سيطرة المرابطين على المغرب و الأندلس،نلاحظ امتلاكهم وإدارتهم للعديـــد مـــن القـــواعد العسكرية المشتملة على دور صناعة السفن،التي تتميز بكثرة الصناع والفعلـــة المهـــرة في مجال إنشاء وصيانة السفن،كما تميزت هذه القواعد العسكرية بحصانتها وكثرت الأسوار بها،إضافة إلى تعدد المراسي بها اللازمة لرسو السفن،كما أنها العديد من هذه القواعد اشتهرت بكثرة المواد الخام اللازمة لصناعة السفن من أخشاب ومعادن وقطران،و إلى جانب ذلك نجد أن دور القواعد العسكرية لا ينحصر في المجال العسكري بل يتجاوز ذلك إلى المساهمة في التجارة البحرية،حيث تكثر فيها السفن التجارية التي تنقل البضائع من مكان إلى آخر،والمهم هنا أن هذه القواعد العسكرية ساهمت في بناء وتطوير الأسطول المرابطي ومثلت نقطة انطلاقه في الحروب.

وبالتالي يمكن القول: إن المرابطين اهتموا كثيرا بالقواعد العسكرية،واستغلوها أحسن استغلال ووظفوها في بناء وتأسيس الأسطول عندهم وتطوره فيما بعد.

179- الحميري، المصدر السابق، ص537.
180- المصدر نفسه ، ص97.
181- المصدر نفسه ، ص616.
182- المصدر نفسه ، ص549.

المبحث الثاني: تطور المنشآت الدفاعية المرابطية.

تُعَـدُّ المنشآت الدفاعية عنصرا مهما في بناء المؤسسة العسكرية،وذلك للدور الكبير الـذي تـؤديه للدولـة،ولقد كان المرابطون على بيئة بهذا الدور المتمثل في توفيرا الأمن و الاسـتقرار داخل وخارج حدود دولتهم وذلك لصد خطر الأعداء وخاصة أن المغرب في ذلك الـوقت يفتقـر للمنشـآت الدفاعية ذات التصميم الجيد،ولهذا حرصوا منذ بداية عهدهم على الاهـتمام ببناء المنشآت الدفاعية داخل دولتهم، ،وهكذا أصبح من الضروري دراسة المنشآت الدفاعية في دولة المرابطين حتى نستكمل دراسة بناء المؤسسة العسكرية في هذه الدولة،ولقد تمثلت هذه المنشآت الدفاعية في عهد المرابطين في الحصون والأسوار.

أ . الحصون:

تُعَـدُّ الحصون عنصرا مهما في المنشآت الدفاعية،فعن طريقها يمكن أن توفر الدولة لنفسـها الأمن والاستقرار.والحصون عبارة عن مبانٍ حصينة ،تميزت ببنائها العالي ،وأبوابها الضـخمة محكمة الإغلاق،الأمر الذي يجعل من الصعب اقتحامها،وهي منتشرة داخل ولايات الدولة وعلى المناطق الثغرية،وذلك لاتقاء خطر العدو،الذي حتم علي المرابطين الاهتمام ببناء الحصـون،فمـثلا فـي المغـرب،بنى المرابطون الحصون لاتقاء خطر أي تمرد من قبائل المغرب،إضافة إلى اتقاء خطر الموحدين الذي تزعمته قبائل المصامدة،أما في الأندلس وعلى الخصوص تلك المدن الثغورية،فلقد واجه المرابطون فيها خطر النصارى،إضافة إلى الثورات الداخلية.

وهكذا قام المرابطون منذ دخولهم بلاد المغرب ببناء العديد من الحصون رغم أن هذا الأمر لم يعرفوه عند سكنهم بالصحراء،إلا أن حصونهم تميزت بقوتها،واستيفائها لشروط الأمن والسـلامة،وذلك لأقامتها فوق أماكن مرتفعة؛ لكي تطل على أوسع مساحة حولها ويمكن من خلالهـا رصـد الخطـر المهدد لهم من بعيد[183]،كما أن هذه الحصون كانت تقام على مناطق وعـرة،لكي يصعب الوصول إليها من قبل العدو بسهولة وسرعة،إضافة إلى لإحكامهم لبنائها وتقويتها، أما من الداخل فلقد حرص المرابطون على شحنها بمختلف المؤن والأسلحة،كما تم إسناد مهمة إدارتها والدفاع عنها إلى قائد من أصل مرابطي،وذلك يجنبهم وقوع الخيانة وتسلم تلـك الحصـون للأعداء،وكان يساعد ذلك القائد في إدارة الحصن قوات عسكرية من الخيل

[183]- حسن أحمد محمود،المرجع السابق،ص346.

والرجال[184]،أما الحصون المرابطية في بلاد الأندلس فلقد أسندت مهمة إدارتها إلى شخصيات وقوات أندلسية وذلك استنادا إلى القول المأثور **(أهل مكة أدرى بشعابها)**وبالتالي ساهم كل هذا الاهتمام بالحصون في وقوفها ضد هجمات وحصار العدو،ويمكن أن نلفت الانتباه إلى ان هذا الاهتمام استمر على طول عهود أمراء المرابطين،الأمر الذي جعل دولتهم قوية الجانب.

ولقـد بدأ الاهتمام ببناء الحصون منذ عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ،ففي سنة 462هـ/1067م،فتح المرابطون مدينة فاس،وتم هدم السور الموجود بداخلها والذي يفصل بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين،وجعلوا منها مدينة واحدة[185]،وبنوا فيها حصناً، كما قام أميـر المسـلمين يوسف بن تاشفين،ببناء حصن داخل مدينة مراكش للجوء إليها عندما يهدده خطـر الأعداء وكذلك اهتم بالحصون المنتشرة في الأندلس،وذلك عن طريق البناء وترميم ما وصـله الخـراب،وقـام بشـحنها بقوات من العساكر الأندلسية،بلغ تعدادها سبعة عشر الف فارس[186] وهذا ما سار عليه باقي أمراء المرابطين.

ولعل ما يؤكد اهتمام المرابطين ببناء الحصون،شهادة أعدائهم من الموحدين ،وهذا ما أورده البيذق،أحد أتباع المهدي محمد بن تومرت(515هـ-524هـ/1121م-1129م)في كـتاب أخـبار المهدي بن تومرت،حيث جاء فيه قوله:"أخذ المجسمون الحصون وبنوها على مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات ؛لكي ينتصروا بها على الموحدين"[187]،والمقصود هـنا بالمجسـمين المـرابطون،كما أنه ذكر[188] لنا عددا كبيرا من أسماء الحصون التي بناها المرابطون في المغرب،نذكر منها ما يلي:-

1. **حصـن تاسغموت**:-حصن في بلاد المغرب،يتولى إدارته أحد قادة المرابطين،وهو أبـو بكـر بن اللمطي،وكان معه مائتي فارس وخمسمائة راجل،وكان مهمة هذا الحصن حراسـة بـلاد هزرجة[189]،ولقد أسندت مهمة بناء هذا الحصن إلى شخص يسمى بالفلكي

184- البيذق ، أبو بكر علي الصنهاجي،أخبار المهدي بن تومرت،تقديم وتحقيق وتعليق،عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1975،ص171وما بعدها.
185- ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص141.
186- مؤلف مجهول ، المصدر السابق،ص60.
187- البيذق ، المصدر السابق،ص171.
188- المصدر نفسه،ص171 وما بعدها.
189- المصدر نفسه،ص171.

الأندلســي،وكــان ذلــك عند ظهور خطر المهدي بن تومرت[190]،وهذا يدل على استعانة المرابطين بالخبرات الأندلسية في بناء الحصون.

2. **حصن أنسا بني أيماديدن:**- كان يتولى إدارته عمر بن ديان،وكان معه جيشٌ كثير العدد[191].
3. **حصن تاتر كجونت** .
4. **حصن باسكابو بجبل تينغرم.**
5. **متاع تاستولت :**- تولى إدارته معاذ بن موسى،وكان مشحونا بالخيل والرجالة.
6. **حصــن أصكا ان كمات :**-تولى إدارته إسحاق بينتان،وهو أشهر رجال المرابطين وقام بدورا كبيرا في الدفاع عن مدينة مراكش.
7. **حصن تارولولت ان بجد ميون:**-كان يتولى إدارته أبو بكر بن عمر بن بينتان.
8. **حصن لجاغة:**- تولى إدارته أبو بكر بن اللمطية.
9. **حصــن نفيس:**- يقع فوق جبل نفيسة جنوب غربي تينملل،وكان يتولى إدارته معاذ بن ترونكا.
10. **حصن هيلانة:**- كان يتولى إدارته الزبير بن نبطاسن.
11. **حصن هسكورة:**- تولى إدارته أبو بكر بن الجوهر.
12. **حصن داي:**- تولى إدارته إبراهيم بن سامدن.
13. **حصن تاجرارت:**-تولى إدارته يحيى بن سافور.
14. **حصن أصرو متاع بني عبد الله:**-تولى إدارته إبراهيم بن سير.
15. **حصن القلعة:**- تولى إدارته يحيى بن سير.
16. **حصن تاسغمارت:**- تولى إدارته ميمون بن صارة.
17. **حصن الفلاج:**- تولى أدارته مظكود بن سلمان من بني واريتن
18. **حصن كرنطا:**- تولى إدارته عبد الله بن عاصمت.
19. **حصــن منــتقوط:**-بنى هذا الحصن في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف ،ويقع بمديــنة مرســية في الأندلس،وهو يمثل مرحلة متقدمة من الفن الأندلسي في القرن الثاني عشر للميلاد[192].

---

[190]- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص113.
[191]- البيذق ، المصدر السابق،ص68.
[192]- حمدي عبد المنعم ،المرجع السابق، ص376.

20. **حصـــن بنـــي تـــاودا:**- بنـــي هذا الحصن بحجارة،ثم وضعها على هيئة صفوف منظمة[193].

21. **حصـــن اسرجو:**-يشرف هذا الحصن على وادي ورغه،لوقوعه على مرتفع،ويجمع هـــذا الحصـــن بـــين الفن المرابطي،والفن الأندلسي والأسباني،وتظهر عليه بشكل واضح التأثيرات النصرانية وخاصة في الأبراج المستديرة على هذا الحصن[194].

وهكـــذا نلاحظ أن المرابطين قد بذلوا جهدا كبيرا في الاهتمام بالحصون،الأمر الذي ساهم في بناء أرضية قوية للمنشآت الدفاعية داخل دولتهم،وخير دليل على ذلك تعدد الحصون فـــي بـــلاد المغرب، وفي الأندلس رممت الحصون القديمة كما بنيت حصون جديدة في تلك المـــناطق التـــي افتقـــرت إلـــى ذلك، كما تم وضع إمكانيات من الجند والمؤن في خدمة هذه الحصـــون،وكل ذلك نجده يساهم في بناء الحصون داخل الدولة المرابطية،ومن المؤكد أن هذا الاهتمام شمل الأسوار كعنصر ثان في المنشآت الدفاعية،وهذا ما سيتم تناوله فيما يلي.

ب.الأسوار:

تعتبـــر الأســـوار عنصرا مهما في بناء المنشآت الدفاعية للدول،وذلك لقيامها بتوفير الأمـــن والاستقرار،وهذا ما تيقن له المرابطون بمجرد خروجهم من الصحراء وتوجههم إلى المغـــرب،حـــيث كونـــوا دولـــتهم هـــناك،ولكـــي يهتموا ببناء مؤسسات دولتهم الاقتصادية والاجتماعـــية،اســـتوجب الأمـــر تأمـــين حـــدود دولتهم ،وبالطبع كان ذلك باهتمامهم ببناء الأســـوار،حيث رصدوا لها ميزانية من أموال الدولة،ووفروا العمال والبنائين المهرة[195] ،مع جلب الأحجار من الجبال[196]، وإشراف أمير المسلمين نفسه على عملية بناء الأسوار ،حتى تتم علـــى أســـس صـــحيحة ودون إرهـــاق للأهالي في دفع الأموال لمساعدة الدولة في بناء هذه الأســـوار[197] ،ولعـــل اهـــتمام المرابطين ببناء الأسوار لم يأت بمحض الصدفة،فلقد هددهم في

193- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص377.
194- المرجع نفسه، ص378.
195- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج 3،ص72,73.
196- ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص540.
197- ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ص74.

المغـــرب خطر القبائل[198] هناك والأمر نفسه في الأندلس حيث هددهم خطر النصارى،وهكذا ســـرعان ما شهدت أقاليم المغرب التي سيطر عليها المرابطون،حملة كبيرة لبناء الأسوار،وما نلاحظـــه أن بناء الأسوار في المغرب،لم يكن منتشر بشكل كبير هناك،وحتى إن وجدت فهي عتيقة و طالها الخراب،ومن هنا يبرز الدور الكبير الذي قام به المرابطون في مجال الاهتمام ببـــناء الأسوار،والأمر نفسه في الأندلس فلقد قام المرابطون ببناء الأسوار حول المدن،وترميم مـــا وصله الخراب منها،وهكذا ظهرت الأسوار بشكل جديد ونطاق أوسع،ويمكن توضيح هذا الاهتمام حسب عهد كل أمير من أمراء المرابطين.

ففـــي عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بدأ اهتمام المرابطين ببناء الأسوار،وكان ذلـــك فـــي بدايـــة تأسيس دولتهم عندما كان يهددهم خطر قبائل المغرب،مثل قبائل المصامدة القاطنة بجبل درن[199]،حيث تم بناء مدينة مراكش كعاصمة للدولة ومعسكر للجيش،وتم شحنها بالمـــؤن والأســـلحة والعساكر،ومن بعد تم البدء في بناء سور حولها[200]،وبعد أن سيطر أمير المســـلمين يوســـف بن تاشفين على أجزاء عديدة من المغرب،واصل عملية بناء الأسوار ففي سنة 462هـــ/1069م،تم إعادة تحصين وترميم مدينة فاس،وكان ذلك بهدم السور الموجود داخل هذه المدينة والذي يفصل بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين،وذلك لتوسيع المدينة،ثم تم بناء سور حولها[201]،كما تم بناء مدينة تاكرارت بإقليم تلمسان،بعد السيطرة عليه سنة 473 هـــ/1080م[202]،وتـــم إقامـــة حصن داخلها،وأحيطت بسور كبير لحمايتها،وذلك بعد شحنها بالمؤن والأسلحة والعساكر.

وكـــان ذلـــك في بلاد المغرب،أما في الأندلس،فلقد حرص أمير المسلمين يوسف بن تاشـــفين،على ترميم وبناء أسوار مدن الأندلس،فعند العبور الأول للمرابطين إلى الأندلس سنة 479هـــ/1086م،نـــزلوا فـــي الجزيرة الخضراء وجعلوها قاعدة لجيوشهم للانطلاق نحو الأنـــدلس،ومـــن هـــنا تـــم بـــناء أســـوارها وتـــرميم حصونها وقلاعها،نتيجة الخراب الذي وصلها[203]،وفي العبور الثالث للمرابطين 484هـــ/1091م إلى الأندلس،استكمل المرابطون

198- ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج6،ص218.
199- ابن خلدون ، المصدر السابق، ص218.
200- ابن أبي زرع،المصدر السابق،ص173 وما بعدها.
201- المصدر نفسه،ص141.
202- تاكرارت ،عند ابن خلدون فهي المحلة أو المعسكر بلسان القبائل المغربية،ابن خلدون ،المصدر السابق،ج6،ص220.
203- مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص51.

بناء أسوار المدن المغربية المطلة على البحر ومن ذلك مدينة سبته،ومن هنا اتجه المرابطون إلـى السيطرة على مدن الأندلس،وبناء الأسوار حولها وخصوصا تلك المدن الثغرية الواقعة بمحاذاة بلاد النصارى.

وأمـا عهـد أميـر المسلمين علي بن يوسف،فلقد استمر فيه بناء الأسوار كجزء من المنشـآت الدفاعـية،وكـان ذلـك بشـكل أوسع وأشمل،وكان يسانده في ذلك الفقهاء داخل الدولـة،والـذين حرصـوا على تشجيع أمير المسلمين على تسوير المدن،لما لذلك من أهمية عسـكرية،ونلاحـظ أن أميـر المسـلمين علـي بن يوسف،يقوم باستكمال بناء أسوار مدينة مـراكش،حيث جمع لذلك العمال المهرة والمهندسين والبنائين البارعين،وكان ذلك بفتوى من الفقيه القاضي أبي الوليد بن رشد،لاتقاء خطر المهدي محمد بن تومرت،ولقد استغرقت عملية بناء هذا السور ثمانية أشهر،وبلغت تكاليفه حوالي سبعين ألف دينار من الذهب،وأشرف على هذا البناء القاضي أبو الوليد بن رشد الذي كانت له خبرة بعملية التحصينات[204]،وما حدث في مدينة مراكش في بناء الأسوار شمل باقي مدن المغرب.

أمـا عـن الأندلس فلقد حرص أمير المسلمين علي بن يوسف على بناء أسوار مدنها وترميم ما وصله الخراب،وكان ذلك بتكليف أهالي الأندلس ببناء الأسوار واستكمال ما نقص مـنها،وترميم ما وصله الخراب،مع قيامه بتوفير الأموال اللازمة لذلك كما نجده يسند عملية البـناء إلى شخصيات يختارها هو،ومن ذلك تعيين أبي عمر بناله،للإشراف على ترميم وبناء أسـوار مدينـة قـرطبة،غيـر انـه فـي بعـض الأحيان نجد المشرفين على عمليات بناء الأسوار،يبالغون في إرهاق الأهالي،مما يضطر أمير المسلمين إلى عزلهم،ومن ذلك ما حدث لأبـي عمـر بنالة،الذي تم عزله لإرهاقه الأهالي بدفع الضرائب لبناء الأسوار،وقيامه بسجن العمـال والبنائـين،حيث جعل مكانه أبا حفص عمر بن سير[205]،كما نجده يكلف ابن العجمي للإشـراف علـى بناء أسوار مدينة المرية ولقد كان هذا رجلا صادقا في عمله،لم يسرف من المـال في بناء الأسوار إلا حسب الحاجة،ولم يستعمل في البناء غير العمال المهرة،ففرح به الـناس،وتعاونوا معه حتى أكمل بناء السور بأموال قليلة دون ضرب أو سجن[206]،ونجد الأمر

---

[204]- المصدر نفسه،ص90.
[205]- ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق،ج3،ص72-73.
[206]- المصدر نفسه،ص74.

نفسه عند بناء أسوار مدينة أشبيلية،حيث تم دون عناء أو تعب للأهالي[207]،ونلاحظ بفضل هذه السياسة تمكن أمير المسلمين علي بن يوسف،من النهوض ببناء الأسوار كعنصر من المنشآت الدفاعية.

ونفس السياسة في بناء الأسوار استمرت في عهد أمير المسلمين تاشفين بن علي،فلقد اهتم ببناء الأسوار وإصلاح وبناء الثغور،وخصوصا بعد استفحال خطر الموحدين،ولقد شمل ذلك المغرب والأندلس[208] وكله في سبيل توفير الأمن داخل المدن في الدولة المرابطية.

ومن خلال ما سبق دراسته في الفصل السابق يمكن استنتاج خلاصة جهود المرابطين في بنائهم للأسطول وذلك في النقاط التالية:

1. قيام المرابطين بالسيطرة علي أهم قاعدتين بحريتين بالمغرب،وهما طنجة وسبتة ،الأمر الذي ساعدهم علي إنشاء أسطول عسكري.
2. توسع المرابطين في الأندلس ،بحيث سيطروا علي العديد من القواعد البحرية الهامة،والتي مكنتهم من التوسع في بناء أسطولهم.
3. قيام الأسطول المرابطي بنشاط عسكري واسع النطاق في البحر الأبيض المتوسط ،الأمر الذي أكسب المرابطين نفوذ عسكري كبير.
4. استعانة المرابطين بالعناصر الأندلسية في بناء قيادة عسكرية قوية لأسطولهم أمثال، بني ميمون.
5. جهز المرابطون أسطولهم بالعديد من أنواع السفن،ذات الخصائص الجيدة.

6. كما كانت للمرابطين جهود كبيرة في سبيل بناء العديد من المنشآت الدفاعية لحماية أنفسهم من الأخطار الداخلية و الخارجية ،ويمكن إجمالها في النقاط التالية:
7. قيام المرابطين ببناء العديد من الحصون ببلاد المغرب والأندلس،كما قاموا بترميم ما وصله الخراب منها.
8. كما قام المرابطون ببناء الأسوار حول مدنهم ببلاد المغرب والأندلس،ولقد جاء كل ذلك بتكاتف جهود أمراء المرابطين وإرشادات فقهائهم.

---

[207] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص74.

[208] –ولف مجهول،المصدر السابق،ص121.

9. خصص أمراء المرابطين ميزانية من أموال الدولة في بناء هذه المنشآت الدفاعية.

10. كما استعانوا بالخبرات المغربية والأندلسية في بناء منشآتهم الدفاعية.

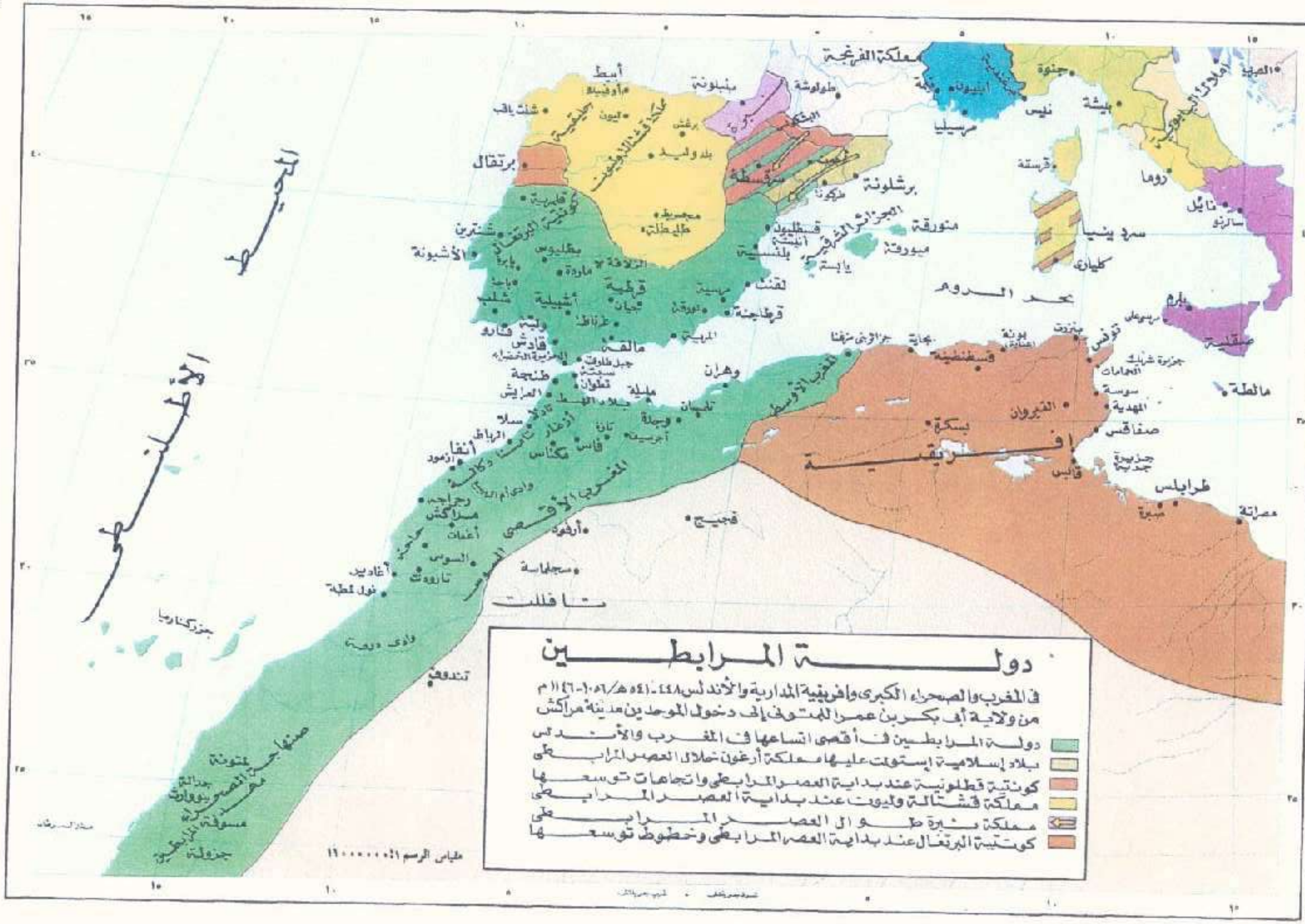
دولة المرابطين
في المغرب والصحراء الكبرى وافريقية المدارية والأندلس ٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٦م
من ولاية أبي بكر بن عمر اللمتوني إلى دخول الموحدين مدينة مراكش
دولة المرابطين في أقصى اتساعها في المغرب والأندلس
بلاد إسلامية إستولت عليها مملكة أرغون خلال العصر المرابطي
كونتية قطلونية عند بداية العصر المرابطي واتجاهات توسعها
مملكة قشتالة وليون عند بداية العصر المرابطي
مملكة نبارة طوال العصر المرابطي
كونتية البرتغال عند بداية العصر المرابطي وخطوط توسعها
مقياس الرسم ١: ١١٠٠٠٠٠٠
المحيط الأطلنطي
بحر الروم
إفريقية
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
تافللت
مملكة الفرنجة
برتقال
برشلونة
سرقسطة
قرطبة
إشبيلية
مراكش
فاس
تلمسان
وهران
قسنطينة
القيروان
تونس
طرابلس
روما
صقلية
سردينيا
قرسقة
مالطة
سجلماسة
أغمات
طنجة
سبتة
مالقة
المرية
بلنسية
طليطلة
الأشبونة
ميورقة
منورقة
بجاية
المهدية
صفاقس
قابس
نابل
جنوة
مرسيليا
نيس
بيشة
أودغست
تندوف
جزر كناريا

الفصل الثالث:تطور الجيـــــش فـي دولـــة الموحـــــدين:

المبحث الأول:التركيبة الأجتـماعية المكـونة لعنـاصر الجيـش الموحـدى.

أ.قبـــائل المصـــامـــدة.

ب.قبـــائل صنـــهاجـة.

ج.العـبـيد المـــودان.

د.قبـــائل زنـاتـة.

هـ.قبـــائل العـــرب.

و.عناصـــر الغـــز.

ز.النصـــارى المرتزقة.

ح.الأنـــدلسيون.

المبحث الثاني:الفـــرق العسكـــرية بالجيـــش الموحـــدى:

أ.فرقـــة المشـاة.

ب.فرقـــة الرمـاة.

ج.فرقـــة الفرسان.

المبحـــث الثالـــث:عـــدة الجيـــش:

أ.الأسلـــحة وتنوعها عند الجيش الموحدي.

ب.الـزي العسكـــري للجـندي المـــوحدي.

ج.الـــــرايات عـــند الجيش الموحـــدي.

د.الطبول وأستخداماتها عند الجيش الموحدي.

المبحث الرابع:النظـــم العسكـــرية فـــي الجيش الموحـــدي:

1.مراسم الجيش الموحدي.

2.تمييز(استعراض)الجيش الموحدي

3.الخطط العسكرية عند الجيش الموحدي.

4.القواعد العسكرية عند الجيش الموحدي.

المبحث الخامس:المناصب الإدارية في الجيش الموحدى.

1.القيادة العسكرية.

2.الكاتب العسكري.

3.صاحب العلامات.

4.محركو الساقة.

5.صاحب البريد.

المبحث الأول :التركيبة الاجتماعية المكونة لعناصر الجيش الموحدي:

ظهـــرت الدعـــوة الموحدية على يد المهدي محمد بن تومرت في المغرب الأقصى وبـــدأت تشكل قوة منافسة لدولة المرابطين، ولقد قامت هذه الدعوة التومرتية على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولنجاح هذه الدعوة الإصلاحية كان لابد من أداة تنفيذية لوضع مبادئها ومفاهيمها النظرية موضع التطبيق.

وتمثلت هذه الأداة في إعداد جيش يمكنه أن يساهم في الفصل في معركة الصراع بين الموحدين والمرابطين، ومن هنا بدأ استنفار الموحدين لأتباعهم والمعارضين لدولة المرابطين، وتـــم حشـــدهم في جيش وبدأت حروبهم مع المرابطين،وأخذت حدود الدولة الموحدية تتوسع بالتدريج،الأمر الذي ترتب عليه تعدد العناصر المكونة للتركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي، ويجب أن نلفت الانتباه إلى أن هذه العناصر لا تختلف كثيراً عن تلك المكونة للجيش المرابطي باعتـــبار أن مـــا قامـــت عليه دولة المرابطين من رقعة جغرافية قامت عليه دولة الموحدين، إضـــافة إلـــى ذلـــك أن الموحدين قد وجدوا تلك العناصر أكثر تطوراً في المجال العسكري والســـبب فـــي ذلك راجع لتجربتهم مع دولة المرابطين، ومن هنا سيتم دراسة هذه العناصر وترتيبها بحسب أسبقيتها في الدخول تحت طاعة الموحدين مع تناول ما طرأ عليها من تطور في عهد الموحدين:

أ- قبائل المصامدة :

ســـكنت قبائل المصامدة بجبل درن ببلاد المغرب الأقصى وكانت كثيرة العدد ،ومنها: هـــرغة ،وهنتاتة ،وتينملل، وكدميوة ،وكنفسية ،ووريكة ،وركراكة ،ومزميرة،ونكالة، وحاحة ،وأصادن ،وبنو ،وازيكت وبنو ماكر ،وإيلانة وهيلانة.[209]

ولقد عرفت هذه القبائل بشجاعتها ،وخبرتها القتالية العالية [210]. الأمر الذي سنلاحظه عند مشاركتهم في حروب الموحدين.

---

209 – ابن خلدون،المصدر السابق، ج6، ص264.

210 – المراكشي،المصدر السابق ، ص 164.

فعـند بدايـة الدعـوة التومـرتية على أرض المصامدة، كانت هذه القبائل من أولى العناصر التي التفت حول زعيم هذه الدعوة وهو المهدي محمد بن تومرت ، وهكذا شكلوا نواة الجيش الموحدي[211]، وساهموا في بنائه وتطوره.

ولقد كان دخول قبائل المصامدة في الدعوة التومرتية بشكل تدريجي ،أي لم يكن دفعة واحـدة بـل انحصـر ذلك في بداية الأمر في بعض القبائل ،مثل: هرغة،وكدميوة، وكنفيسة ،وقـبائل تينملل ،وهنتاتة[212]، ولقد استخدم المهدي محمد بن تومرت، أسلوبين لإدخال قبائل المصامدة في طاعته، أولهما: استغلال كراهيتهم للمرابطين والتي كان سببها إذلال المرابطين لهـم أيـام دولـتهم [213] ، وثانـيهما: استخدام قوة السيف لإخضاع من استعصى من قبائل المصامدة ،مثل: قبيلتي هزرجه ،وهكسورة سنة 517هـ/1123م [214].

وقـام المهدي محمد بن تومرت بوضع القبائل الداخلة في طاعته في هيئات وصنفهم إلـى عدة أصناف ، هذه الأصناف أدت دورا كبيرا في تطور الجيش الموحدي والمؤسسة العسـكرية بصـفة عامـة، حيث قسم تلك القبائل إلى عدة أقسام وجعل لكل عشرة منهم نقيبا وجعلهـم أصـنافا: الصنف الأول أصحاب العشرة، والصنف الثاني أهل الخمسين ،والصنف الـثالث أهـل السبعين، والصنف الرابع الطلبة ،والصنف الخامس الحفاظ وهم صغار الطلبة ،والصـنف السـادس أهـل الدار ،والصنف السابع أهل هرغة ،والصنف الثامن أهل تينملل ،والصـنف التاسع كدميوة ،والصنف العاشر أهل كنفيسة ،والصنف الحادي عشر أهل هنتاتة ،والصـنف الثانـي عشر الجند، والصنف الثالث عشر الغزاة الرماة ، ولكل صنف مرتبة لا يـتعداها غيره في أي حال من الأحوال [215]، وهذا دليل على العدد الكبير الذي إنضم للدعوة التومرتية من قبائل المصامدة.

---

211 – ابن أبي زرع،المصدر السابق، ص 177

212 – البيذق ،المصدر السابق ، ص 68

213 – ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6،ص 265.

214 –ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6، ص 265.

215 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 108 ، وما بعدها.

حـــيث بلغ عدد ما إنضمّ للمهدي محمد بن تومرت من قبائل المصامدة حوالي 40 ألف راجل وفارس [216]،وكان ذلك قبل سنـــــــــة(524هـــ/1129م)وهي السنة التي توفى فيها المهدي محمد بن تومـــرت ، ورغم أن ذلك كان في بداية الدعوة التومرتية وقبل تكوينها دولة،إلا أننا نجد الجيش الموحدي يتكون من هذا العدد الهائل، واحتواؤه على العديد من الفرق العسكرية مثل: المشاة،والفرسان، والرماة، ـــ هذه الفرق التي بلا شك بنائها يأخذ وقتا طويلاـــ دليل على أن الموحدين أصبحوا يستفيدون مما زرعه المرابطون وما عليهم سوى تطويره.

ولقد أطلق المهدي محمد بن تومرت على أتباعه لقب الموحدين، وذلك لأنه يرى أن الغاية التي تركزت عليها دعوته هي توحيد الله،والتوحيد عنده يسبق العبادة حيث لا عبادة إلا بالتوحـــيد [217] ، والتوحـــيد عـــنده أعز ما يطلب وأكثر ما يكتسب ولهذا كان التوحيد أساس الدعوة التومرتية وفي المقابل نجد المرابطين يميلون إلى التجسيم وأخذهم بالعدول إلى التأويل [218] ومن هنا أطلق على المرابطين اسم المجسمين.

وفـــي عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي (524هـــ-558هـــ/1129م-1162م)أصـــبح الجـــيش أكثر تطورا داخل الدولة الموحدية وكان ذلك واضحا في المهام الجديـــدة التـــي أعطيت لقبائل المصامدة والتي لم تألفها في عهد المرابطين وهي استخدامهم كـــأدلاء لجيوش الموحدين في الأندلس [219]، إضافة إلى ذلك إنشاء فرق عسكرية خاصة منهم مهمـــتها الـــدفاع عـــن المدن وتوفير الأمن داخلها مثل ما حدث في رندة، وأشبيلية ،وقرطبة ،وغرناطة[220] ،ولقد استمر خلفاء أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي في المحافظة على هذه المهام وتطويرها بالنسبة لقبائل المصامدة حيث تم في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن (558هـــ-580هـــ/1162م-1184م) إسكان أبناء قبيلة تينملل المصمودية في مدينة لورقة الأندلسية وتكليفهم بالدفاع عن هذه المدينة والحفاظ على الأمن داخلها [221].

---

216 -ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6، ص 269.

217 - ابن تومرت،المهدي محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عمار طالبة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1981، ص 213.

218 - ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6 ، ص 269.

219 -ابن صاحب الصلاة،أبو مروان عبدالملك ، المن بالإمامة، ط3،تحقيق عبدالهادي التازي، دار المغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1987م، ص128.

220 - المصدر نفسه، ص 137.

221 - البيذق، المصدر السابق، ص 197.

ومـــن هنا يمكن القول إن قبائل المصامدة شكلت نواة الجيش الموحدي، وساهمت في تطـــوره وبدأت مشاركتها في حروب الموحدين، حيث شاركوا في إخضاع من استعصى من قبائل المغرب، وشاركوا في موقعة الأرك الكبرى [222] التي مُنِيَ فيها نصارى الأندلس هزيمة ســـاحقة وذلـــك ســـنة 591هـــ/1194م،كما أنهم شاركوا في موقعة العقاب سنة 609هـــ/ 1212م والتـــي فيها هُزم الموحدون على يد نصارى الأندلس[223] نتيجة للضعف والانحلال الذي شهدته الدولة والذي أنعكس علي الجيش.

وأخيراً يمكن القول إن قبائل المصامدة ساهمت في إضافة عنصرا للتركيبة الاجتماعية المكونة للجيش الموحدي، وبما أن المصامدة هم أول من التفوا حول الدعوة التومرتية فقد كان حظهم وفيراً من مناصب الدولة،حيث نالوا مناصب مهمة في مختلف مؤسسات الدولة بما فيها المؤســـــة العسكرية وتحديداً الجيش ، ولكي يردوا الجميل لهذه الدولة بذلوا الغالي والرخيص في سبيل قيامها وتطور جيشها،وخاصة أنها فتحت لهم الأبواب للنيل من قبائل صنهاجة، التي سنتناولها في العنصر الثاني من العناصر المكونة للتركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي.

ب قبـائـل صنهـاجة :

تبـــنت قبائل صنهاجة الحركة الدينية الإصلاحية في جنوب الصحراء والتي تمخض عـــنها قيام دولة المرابطين، والتي بذلت في سبيلها القبائل الصنهاجية الغالي و الرخيص طيلة فتـــرة حكـــم هـــذه الدولة، فعلي أكتاف رجالات هذه القبيلة توسعت هذه الدولة حتى وصلت المغرب الأقصى و الأندلس ورفعت راية الإسلام هناك ،غير أن ضعف دولة المرابطين وعدم قدرتها على مقاومة غزوات الموحدين المتكررة أفقد الثقة لدى مؤيديها وجعلهم يشعرون بعدم إمكانـــية حماية الدولة لهم،الأمر الذي جعل قبائل صنهاجة تنحرف في مسارها تجاه الموحدين وذلك لتأمين كسب العيش، وبالتالي أصبحت قبائل صنهاجة تشكل عنصرا من عناصر الجيش الموحدي وساهمت في تطوره،وذلك لما قدموه من خبرات في المجال العسكري.

---

222 – الأرك : اسم مدينة صغيرة من أعمال قلعة رباح في الأندلس، تقوم فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتى وادي باله، تقع غربي مدينة ليوداوريال على بعد 11 كلم منها تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسمى سانطا مريه دي الاركوس هامش ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 223.

223 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 240.

ولقـد كانت قبائل صنهاجة كبيرة ومتعددة، منها: جدالة ،ولمتونة ،ومسوفه ،ووتريكة ،وناوكـا ،وزغاوة، ولمطة[224]، ولقد إنضم عددٌ كبيرٌ منهم إلى جانب الموحدين وخاصة بعد الصراع القائم بين القبائل الصنهاجية نفسها، فبعد وفاة أمير المسلمين تاشفين بن علي ، حدثت فتنة بين قبيلتي لمتونة ومسوفة الصنهاجيتين ترتب عليها انضمام أمراء مسوفة وأتباعهم لأمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي [225]،أما انضمام باقي القبائل الصنهاجية للموحدين فلقد جـاء بحـد السيف، حيث قام أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي بإخضاع قبيلة جدالة عندما أرسل إليها جيش من الفرسان والرجال والرماة تمكن من النيل منها وعلى الفور أعلنت توحـيدها [226]،أما قبيلة جدالة فلقد جهز لها أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي جيشا جـراراً تمكن من إخضاعها [227]، ولقد استخدم في هذا الجيش فرقة من العبيد السودان، التي قامت بسلب رجال هذه القبيلة من أسلحتهم وخيلهم وقاموا بقتل عدد من رجالاتها [228].

وهكـذا نلاحظ أن الموحدين قاموا بلم شتات القبائل الصنهاجية عندما كادت أن تتفرق وتتفكك وحدتها بعد انهيار الدولة المرابطية، وقام الموحدون بإعادة تشكيل هذه القوة الضاربة وفقـاً لمبادئهم التي جاءوا بها، وأدخلوها ضمن الجيش الموحدي. ولقد اقتنع الصنهاجيون بما هـم فـيه من حال التبعية للموحدين ، وما عليهم إلا الولاء لهم وإظهار خبراتهم القتالية التي تميزوا بها قبل خروجهم من الصحراء إضافة إلى ما اكتسبوه من خبرات خلال حروبهم ضمن جـيوش الدولة المرابطية. وهكذا بدأت تظهر مشاركتهم العسكرية داخل الجيش الموحدي، فقد شاركوا في عملية استكمال إعادة فتح المغرب وتحديداً عند توجه الجيش الموحدي لفتح مدينة فاس حيث كان يقوده في ذلك الوقت أبوبكر بن الجبر[229]، وكذلك شاركت القبائل الصنهاجية ومنها: مسوفة ،ولمتونه في حروب الموحدين في الأندلس وتحديداً في غرناطة عند غدر ابن همشك بها[230] سنة (527هـ/1142م).

وإضافة إلى تشكيل قبائل صنهاجة عنصراً من العناصر المقاتلة في الجيش الموحدي داخـل مـيادين القتال، شكل منهم الموحدون فرقاً دفاعية مهمتها الدفاع عن المدن الأندلسية

224 – ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 214.
225 – المصدر نفسه، ص 274.
226 – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 147.
227 –ابن عذارى المراكشي،ابو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ،علق عليها د.إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1967،جزء خاص بالموحدين، ص 15.
228 – البيذق، المصدر السابق، ص 92.
229 – البيذق، المصدر السابق، ص 110.
230 – ابن همشك: إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك جده لصر في أسلم على يد بني هود بمرقسطة كان من جملة القواد الذين كانوا يطمعون في إقصاء الموحدين عن الجزيرة ، ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، تعليق لمحقق الكتاب، ص 75.

الأندلـــــــــسية ،والمحافظة على الأمن داخلها مثل ما حدث عند إسكان صنهاجة ،وهكسورة فـــي قرطبة ومرسية [231]. وفي هذا دليل على أن قبائل صنهاجة أصبحت عناصر عسكرية موثوقا بها من جانب الموحدين ،لها ما لهم وعليها ما عليهم.

وهكـذا يمكن القول أن القبائل الصنهاجية ساهمت في إضافة عناصر جديده للتركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي، الأمر الذي ساعد الموحدين على تقوية بناء جيشهم وتطويره.

جـ - العبيد السودان :

سكن هؤلاء بلاد السودان ،وغانا ،وتمبكتو، وتميزوا بمشاركتهم العسكرية التي عُرفت بالدهاء والخبرة القتالية وخصوصاً في عهد المرابطين ولاشك أن عدداً كبيراً من هذه العناصر انـــتقل عقـــب ســـقوط دولة المرابطين،إلى دولة الموحدين وذلك لضمان معيشتهم، خاصة أن المـــرابطين أصبحوا عاجزين عن توفير ذلك لهم،ولقد استكثر المهدي محمد بن تومرت من هذه العناصر وخصوصا عند دخوله مدينة تازاجورت وفتحها، حيث قام بأسر ما فيها من عبيد وأطلق عليهم اسم عبيد المخزن[232]،وربما سموا بذلك لقيامهم بمهمة حراسة مخازن الدولة.

وهكذا دخل العبيد السودان ضمن عناصر الجيش الموحدي، وأصبحوا يكونون جزءا مـــن تـــركيبته الاجتماعية، ولقد أنيطت بهم العديد من المهام العسكرية التي لم نلاحظها عند المـــرابطين، وهـــذا دليل على تطور الجيش الموحدي،ومن هذه المهام الخدمة كفرق تصفية للمارقـــين مـــثل ما حدث في عهد أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي عند إخضاعه لقبيلة جزولة الصنـــــــــــهاجية سنة (539هـــ/1144) [233]،كما أنهم دخلوا ضمن الفرق العســـكرية فـــي الجيش الموحدي، فلقد شاركوا في سنة (541هـــ/1146م) مع باقي الفرق العسكرية للجيش الموحدي في حصار مدينة مراكش ومساهمتهم في اقتحام أحد أبوابها والذي يسمى باب الدباغين [234]،وفي عهد أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور(580 -595هـــ/1184-1198م) شكل من عناصر العبيد السودان فرقة عسكرية مهمتها استقبال الضيوف، وكان ذلك واضحاً عند استقبال الموحدين للوفود المقاتلة العربية القادمة من إفريقية ســـنة 566هـــ/1170م [235]، كما نجد أن أمراء الموحدين يؤسسون فرقة الحرس الخاص

231 - أبيدق ، المصدر السابق، ص 197.
232 - أبيدق ، المصدر السابق، ص 70.
233 - المصدر نفسه ، ص 102.
234 - المصدر نفسه ، ص 117.
235 - ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 343.

التـــي كانت من العبيد السودان ومهمتها هنا حماية أمير المؤمنين ومرافقته في جولاته داخل وخارج البلاد[236]، وهذه الفرقة ليست غريبة علينا فقد سبق وأن لاحظناها عند المرابطين .أما بالنسبة لزيهم العسكري فلقد تمثل في ثيابا عسكرية ذات ألوان مزركشة[237]،وذلك تمييزا لهم عن باقي العناصر المقاتلة.

وهكـــذا نلاحـــظ أن عناصـــر العبـــيد السودان لم يكن دخولها للمغرب في عهد دولة الموحدين، بل كان الفضل في ذلك إلى دولة المرابطين ، غير أن الجديد هو إسناد مهام جديدة لعناصـــر العبـــيد السودان مثل استخدامهم كفرق تصفية للمارقين إضافة إلى استخدامهم لردم خـــنادق المـــدن المحاصرة أو قيامهم بهدم أسوارها بعد فتحها [238]وفي هذا دليل على تطور العقلـــية العســـكرية لدى الموحدين، التي انعكست على الجيش عندهم ،وأخيرا بعد تناول هذا العنصر سوف يتم لاحقا تناول قبائل زناته وكيفية إخضاع الموحدين لها.

د.قبائل زناتة:

ســـكنت قـــبائل زناتـــة المغرب وإفريقية [239]،وكانت تتكون من قبائل متعددة منها: مغـــراوة، وبنـــي يفرن، وجراوة، وبني يرتبان ،ووجديجن ،وغمرة ،وبني، ويجفس،واسينن ،وبني تيفرست ،وبني مرين ،وتوجين ،وبني عبدالواد ،وبني راشد ،وبني برزال ،وبني ورنيد ،وبنـــي زناك[240]، ولقد عُرفت هذه القبائل بشجاعتها وخبرتها القتالية وإجادة رجالها لركوب الخيل، وهذا ماجعل الموحدين يضمون إليهم قبائل زناتة ويستفيدون من خبراتهم العسكرية في الجيش.

ولقـــد بـــدأت قـــبائل زناتـــة فـــي الدخول للجيش الموحدي، منذ عهد أمير المؤمنين عـــبدالمؤمن بن علي الكومي ،وجاء ذلك على صنفين إجبارية وطواعية ومن القبائل التي تم ضـــمها بقـــوة السيف قبيلة مديونة [241]، وبني عبدالواد، حيث زحف عليهم جيش الموحدين بقيادة الشيخ أبي حفص بن عبدالمؤمن [242]. وهكذا دخلت قبائل زناتة ضمن الجيش الموحدي

236 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 240.
237 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 213.
238 – عزالدين عمر موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، دار الغرب الإسلامي، 1991م، بيروت، لبنان، ص 230.
239 – ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 3 .
240 – المصدر نفسه ، ج7، ص 9 .
241 – المصدر نفسه ، ج7، ص271.
242 – المصدر نفسه ، ج7، ص84 .

وأصبحت تشكل عنصراً من عناصر تركيبته الاجتماعية وأسندت لهم مهاما داخل الجيش الموحدي.

ونتيجة لقيام الموحدين بتطوير جيشهم تم تشكيل فرق دفاعية كانت قبائل زناته تشكل جزءا منها مهمتها حماية المدن الأندلسية والحفاظ على الأمن داخلها [243]،إضافة إلى القضاء على الثورات التي قد تظهر في المغرب وتهدد أمن الموحدين مثل ثورة عبدالله الجزولي ببلاد السوس سنة (597هـ/1200م) [244].

ولقد كان دور الزناتيين في الجيش الموحدي كبيراً جداً وخير دليل وقوف هذه القبائل ضد غيرها من أبناء عمومتها ،مثل: قبائل بني ومانوا ،وبني توجين الذين لقوا الهلاك على يد الزناتيين المناصرين للموحدين لقاء ما قاموا به من قلاقل داخل الدولة الموحدية[245]. كما نجد قبائل بني عبدالواد الزناتين يقفون ضد أطماع قبائل بني مرين الزناتين في أملاك الدولة الموحدية [246]. وما كان على الموحدين لقاء هذه الخدمة إلا الجزاء بالإحسان حيث قام أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي بمنح بني عبد الواد أرضي بلاد بني يلوس وبني مانوا [247]، كما قام بمنح قيادة إقليم تلمسان إلى أحد القادة الزناتين وهو سليمان بن وأنودين[248].

وهكذا ونتيجة للسياسة العسكرية للموحدين تجاه قبائل زناته تمكنوا من الاستفادة من خبراتهم العسكرية ومعرفة كيفية الاستفادة مما بين هذه القبائل من نزاعات مع المحافظة على وحدتهم داخل نطاق الجيش الموحدي . ومن المؤكد أن قبائل زناتة وقفت مكتوفة اليدين وعجزت في فترة قوة الموحدين عن تشكيل جبهة معارضة لهم وذلك لأن الزناتين لم يمروا بمثل هذه السياسة العسكرية الممزوجة بالدهاء والحيلة في فترة حكم المرابطين وهذا يقودنا إلى القول: إن الموحدين أثبتوا تطورهم في هذا الجانب عما عرفه المرابطون.

243 - المراكشي ، المصدر السابق، ص 189.
244 - المصدر نفسه، ص 281.
245 - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ص 20.
246 - ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص198.
247 - المصدر نفسه ، ج7، ص86.
248 - ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 91.

وبالتالي بعد انتهاء الموحدين من ضم أغلب أقاليم المغرب إليهم توجهت أنظارهم إلى بـــلاد إفريقية موطن استقرار القبائل العربية ،الأمر الذي سيؤدي إلى إدخال العناصر العربية ضمن التركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي والتي سوف يتم تناولها في العنصر التالي.

هـــ.قبائل العرب:

ســـكنت قبائل العرب بلاد إفريقية وتكونت من العديد من القبائل منها: بنو سليم [249]، وجشـــم ،والأثـــبج وزغبة، ورياح ،وربيعة ،وعدي [250] ،ورواحة ،وناصرة وغمرة ،ودياب ،وعـــوف [251] ،وهلال ،والمعقل ،وقرة،والخلط، وسفيان [252] ،وبنو كثير ،وبنو عطية ،وبنو ثور،وفزارة،وأشـــجع[253]، ولقد تميزت هذه القبائل العربية بشجاعتها وقدرتها القتالية، الأمر الذي لفت إليهم أنظار أمراء الموحدين.

فـــدخل بذلك الموحدون بلاد إفريقية موطن القبائل العربية في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومـــــي ، ولقد ساعدهم على ذلك عوامل منها:

النـــزاع القائم بين ملوك بني زيري بن مناد الصنهاجين ،واستطالة قبائل العرب [254] علـــى هؤلاء الملوك إضافة إلى تهديد نصارى صقلية للمهدية، وبالتالي جهز الموحدون جيشا فـــي ســـنة (547هـــ/1152م) وتوجه إلى بلاد إفريقية وتمـــكن من السيطرة على بعض أجـــزائها [255]. وفي سنة (553هـــ/1158م) خرج جيش موحدي تجاه بلاد إفريقية وتمكن مـــن استكمال فتحها [256]. وهكذا سيطر الموحدون على أملاك القبائل العربية ببلاد إفريقية وأصبحوا يشكلون عنصراً هاماً في التركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي.

وكـــان دخـــول قبائل العرب ضمن الجيش الموحدي في بداية الأمر من تلك العناصر العربية التي أسرها الموحدين عند دخولهم بلاد إفريقية والاستيلاء عليها، حيث استجلب أمير المؤمنين ما لا يحصى عدده من العرب [257]،وأدخلهم ضمن الجيش،وبعد أن شاهد الموحدون

---

249 - ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6 ، ص 15.
250 - المصدر نفسه، ج6 ، ص 17.
251 - المصدر نفسه،ج6، ص 18
252 - المصدر نفسه،ج6، ص19
253 - المصدر نفسه،ج6، ص 20.
254 - الناصري ،المصدر السابق، ص 120.
255 - البيذق ، المصدر السابق، ص 156.
256 - المراكشي ، المصدر السابق، ص 192.

257 - ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق،ج خاص بالموحدين، ص 67.

دور قبائل العرب المهم داخل جيشهم أرادوا الاستكثار من هذه العناصر غير أن طريقة جلبها اختلفت عن سابقتها وذلك لرقي مكانة العناصر العربية لدى الموحدين، حيث قام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي وذلك عقب هزيمة جيوشه أمام النصارى في معركة زغبولة غرب إشبيلية سنة (552هـ/1157م) بجلب العناصر العربية لحماية الأندلس من خطر النصارى [258]. وتم ذلك عن طريق طلب المساعدة من قبائل عرب بني سليم [259]، وقبائل عرب بني هلال [260]. وجاءت إليه المساعدات وأدخلهم ضمن قوات الجيش الموحدى. وعاهدت القبائل العربية أمير المؤمنين على أن يكونوا رعيته وجنده [261]. ولم تكفي هذه القبائل حاجة الموحدين العسكرية منها بل نجد مرة ثانية يطلب أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي المساعدة من القبائل العربية لصد خطر ابن مردنيش وابن همشك على الأندلس وفي هذه المرة أرسل لهم أحد رجاله وهو يوسف بن سليمان وهو أحد العشرة من أهل الجماعة حيث قال له ((اركب لي العرب ، ركب منهم أربعة عشر ألف وأعطيك البشارة)) [262]،وبالفعل جاءت المساعدات العربية وتم القضاء على خطر ابن همشك وابن مردنيش الأمر الذي أثار إعجاب أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي فأنشد فيهم هذا البيت[263]:

ويصحبنا من خالص العرب معشراً

أنابوا فما ردوا وقاموا فمارتدوا

ولقد سار خلفاء أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي على سياسته في طلب المساعدة من القبائل العربية وإدخالهم ضمن الجيش الموحدي، فلقد قام أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بإنشاد القصائد التي تشيد بالقبائل العربية وتحثهم على الجهاد بالوقوف إلى جانب الموحدين ضد النصارى ، وبالفعل أرسلت القبائل العربية مساعداتها التي بلغت حوالي أربع آلاف فرسٍ إضافة إلى مائتين وخمسين جملاً تحمل الأموال، الأمر الذي جعل الموحدين يقيمون لهم الولائم الكبيرة [264]، إضافة إلى تجهيز مواكب خاصة لاستقبالهم[265]. وهكذا

---

258 – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج خاص بالموحدين، ص 61.
259 – المصدر نفسه ، ج خاص بالموحدين، ص 62.
260 – المراكشي،المصدر السابق،ص 184.
261 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 111 .
262 – البيذق ، المصدر السابق، ص 150.
263 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 81 .
264 – المصدر نفسه ، ص 343 .
265 – المصدر نفسه ، ص179 وما بعدها

دخلـت العناصـر العربية ضمن فرق الجيش الموحدي وخاضت الحروب في الأندلس والتي كللت بالنجاح [266].

وهذه بعض الأبيات[267] التي أنشدها أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن وامتدح فيها العناصر العربية وحثهم على الجهاد:

أقيموا صدور الخيل نحو المغـار لغزو الأعادي واقتناء الرغائـب
ولا يبلغ الغايات إلا مصمـم على الهول ركاب ظهـور المصاعب
ألا فابعثوها همة عـربيـة تخف بأطراف القـنا والقواضـب
أفرسان قيس من هلال بن عامر وما جمعت مـن طـاعن ومضـارب
وقد جعل الله النبي وآلـه ومهديه منـكم بلا عيب عائـب
وما خلق الأعـراب إخلاف موعد ولكن صدق الوعد خلق الأعـارب

ومـن هنا نرى أن القبائل العربية لم تنقصها الشجاعة والخبرات القتالية وما ينقصها استكمله المـوحدون حـيث قاموا بتوحيدهم وتنظيمهم حيث أدخلوهم ضمن الفرق العسكرية للجيش كما نجدهم يشكلون من هذه العناصر فرقا دفاعية للمحافظة على أمن المدن خصوصا في الأندلس والدفاع عنها [268]، مثل ما حدث في قرطبة وإشبيلية [269]، وبلنسية [270]، إضافة إلـى ذلك فإنه في عهد أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن شكل العرب فرقتين داخل الجيش الموحدي هما: فرقة للجند النظامية ،وفرقة للجند المتطوعة[271]، حيث كانوا قبل ذلـك يشـكلون فرقة واحدة وهي الفرقة النظامية، ولقد كان لكل فرقة قائد عربي خاص بها، وهذا في حد ذاته تطورٌ في الجيش الموحدي.

وهكـذا شاركت القبائل العربية ضمن الجيش الموحدي في حروبه سواء كان ذلك في المغـرب ،عـند ظهور الأطماع الزناتية في أملاك دولة الموحدين والتي تزعمتها قبيلة بني مـرين فـي مكـناس ،والحفصيين في تونس ،وبني عبدالواد بتلمسان ، وذلك في عهد أمير

266 - المصدر نفسه ، ص325.
267 ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص325.
268 - المراكشي ، المصدر السابق، ص 81.
269 - المصدر نفسه ، ص190.
270 - البيذق، المصدر السابق، ص 167.
271 - ابن أبي الزرع ، المصدر السابق، ص 222 .

المؤمنين السعيد بن المأمون بن يعقوب بن يوسف (640-646هـ/1242-1248م) وتحديدا سنة (645هـ/1274م) [272]،أو في حروب الموحدين في الأندلس في موقعة الأرك وموقعة العقاب سنة [273].

وأخيراً لاحظنا أن العناصر العربية قد ساهمت في تطور الجيش الموحدي وذلك في المساهمة في تأسيس تركيبته الاجتماعية، إضافة إلى ما قدموه من خبرات ومهارات عسكرية فائقة والدليل على ذلك الاحترام والتقدير الذي تلقاه العرب من أمراء الموحدين وتلك الاستعانات بالعناصر العربية وتلك الحفلات والولائم الكبيرة التي تحتفل بقدوم العناصر العربية والتي لم يحظ بها أي عنصر في الجيش الموحدي بداية بقبائل المصامده .

ولقد أتاح دخول الموحدين إلى بلاد إفريقية الطريق للاستفادة من العناصر العربية بالدرجة الأولى أما بالدرجة الثانية فقد تعرف الموحدون على عناصر الغز والتي سيتم دراستها لاحقا.

و.عناصر الغز:

الغز من مماليك مصر الذين عاشوا فيها في عهد الدولة الأيوبية ، ولقد اشتغل هؤلاء كخدم في هذه الدولة ، حيث أخذوا في التدرج في مناصبها ، ولقد تولوا شؤون مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي وترأسهم في ذلك الوقت أحد رجالاتهم وهو أبو سعيد قراقوش بن عبدالله الأسدي ، الملقب ببهاء الدين الذي كرس عمره لخدمة أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن بعده خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي [274].

وانتقل الغز إلى المغرب في عهد أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن [275]،وربما سبب هذا الانتقال راجع إلى البحث عن سبل العيش، وسكن الغز داخل حدود دولة الموحدين وتميزوا بحسن معاملتهم للموحدين، الأمر الذي جعل أمراء الموحدين يقدرونهم أكثر من الموحدين ويعطوهم منحا مالية أكثر من تلك التي يأخذها الموحدون [276]، وبالتدريج قام الموحدون بإدخال الغز ضمن عناصر جيشهم ومن المؤكد أن

272 – ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7 ، ص 203
273 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 334.
274 – ابن خلكان ، المصدر السابق،ج2، ص 91 .
275 – المراكشي ، المصدر السابق ، ص 214.
276 – المصدر نفسه ، ص 238 .

الغُـز قـد تميزوا بخبراتهم العسكرية التي اكتسبوها من الدولة الأيوبية بالمشرق. ولقد استفاد المـوحدون بهذه الطريقة من خبرات الغُز العسكرية وخصوصاً أن مثل هذا العنصر لم يظهر فـي الدولة المرابطية ،وهذا بدوره ساهم في إضافة عنصر جديد للتركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي الأمر الذي بلا شك ساهم في تطور الجيش الموحدي.

ولقد شارك الغُز ضمن عناصر الجيش الموحدي في حروبه سواء في المغرب أم في الأنـدلس ففي عهد أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وتحديداً سنة 580هـ/ 1184م عبـر الجيش الموحدي إلى الأندلس لتخليصها من خطر النصارى [277]، وكان الغُز ضـمن عناصـره، وكـذلك شاركوا في موقعة العقاب [278].كما ساهم الغُز في القضاء على الـثورات الداخلية التي قامت ضد الموحدين مثل القضاء على ثورة عبدالرحمن جزولى سنة 597هـ/1200م [279].

وبـذلك دخـل الغُز ضمن الجيش الموحدي، وعند بلاد إفريقية أنهت دولة الموحدين امـتداد حدودها في المغرب وبلاد إفريقية ، وبانتهاء ذلك كان الغُز يمثلون آخر عنصرا دخل الجـيش المـوحدي من بيئة بلاد المغرب وإفريقية وبعد ذلك سوف ننتقل إلى البيئة الأندلسية والتـي سـتمدنا بعناصـر جديـدة ساهمت في بناء تركيبة الجيش الموحدي وهم النصارى والأندلسيون.

ز.النصارى المرتزقة:

كـان دخول الجند النصارى المرتزقة ضمن الجيش الموحدي مبكراً فبعد سقوط دولة المـرابطين بدأ العديد من النصارى المرتزقة ينتظمون إلى جانب الموحدين، وذلك بحثاً عن معيشـة آمـنة، غيـر أن تلـك الفـئات كانت قليلة العدد وكان ذلك منذ عهد أمير المؤمنين عـبدالمؤمن بن علي وتحديداً سنة 524هـ/1147م عند مشاركتهم في القضاء على الداعية محمـد بن عبدالله بن هود ببلاد السوس الأقصى [280]، ومن الواضح أن تلك الأعداد لم تكن كافـية مما جعل باقي أمراء الموحدين يحرصون على استجلاب العناصر النصرانية المرتزقة

277 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 213.
278 – المصدر نفسه ، ص 240 .
279 – المراكشي ، المصدر السابق، ص 261

280 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 146.

بشـــتى الطرق ففي عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وتحديداً سنة 561هـ/1165م قام الموحدون بأسر مئة فارس وعدد من النصارى المرتزقة، وذلك عند دفاعهم على طلياطة فـــي الأنـــدلس [281]، وتم إدخالهم ضمن فرق الجيش حيث كونوا فرقة نظامية من النصارى المرتزقة.

كما أسر الموحدون ثلاثة وخمسين نصرانيا وتحديداً سنة 563هـ/1167م، وذلك عند لقاء جيش الموحدين مع جيش Geraldo (جراندة (حاكم النصارى في المنطقة الواقعة بين وادي آش وغـرناطة [282]، حـيث ضـُمُّوا إلى عناصر الجيش الموحدي، كما نجد العلاقات الحسـنة بـين الموحدين و Fernando (فرناندو) حاكم مدينة ترجالة [283]، تجعل الأخير يبعث بعناصر متطوعة من النصارى المرتزقة لمساعدة الموحدين[284] في التغلب على الأ أين الرنك [285]، صاحب قلمرية سنة 564هـ/1168م الذي هدد مدينة بطليوس التابعة للموحدين، وبالطـبع هـذا يقودنا إلى أن الجيش الموحدي تكونت به فرقة جديدة من النصارى المرتزقة وهي فرقة المتطوعة أي إنها فرقة غير نظامية.

كمـا قـام أميـر المؤمنين المأمون يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بالاستكثار من عناصر النصارى المرتزقة المتطوعة حيث جلب معه فرقة كبيرة من النصارى المرتزقة بلغ عـددها اثنـي عشر ألف فارس نصراني من الحاكم Fernando III (فرناندو الثالث) مقابـل شـروط قاسية على الموحدين ، هي أخذ عشرة حصون من الموحدين تكون مجاورة لبلاده،والسماح للنصارى المرتزقة ببناء كنيسة خاصة بهم يمارسون بها ديانتهم [286].

وهكذا نجد النصارى المرتزقة يدخلون ضمن عناصر الجيش الموحدي ويساهمون في بـناء تـركيبته الاجتماعية، كما أنهم ساهموا في تنوع فرقه حيث ظهرت فرق نظامية وفرق مـتطوعة إضـافة إلى تقسيمهم إلى فرقة فرسان ثقيلة وفرقة فرسان خفيفة، ونلاحظ هنا أن المـوحدين بذلوا الغالي والرخيص في سبيل إدخال النصارى المرتزقة في جيوشهم، وبالتأكيد

281 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 219.
282 – المصدر نفسه ، ص 273.
283 – ترجالة : مدينة تقع غرب مدينة طلياطة من الشمال الشرقي مع بطليوس في الجنوب الشرقي من قلمرش، الحميري ،ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق د احسان عباس،ط2،مكتبة لبنان بيروت،1989م ، ص 63.
284 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 295.
285 – ابن الرنك: هو الفونسو هنريكيز وتسميه بعض المصادر بن الريق أو صاحب قلمرية علمسة البرتغال، هامش ، المصدر نفسه ، ص 29.
286 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 250.

إن ذلـك سـاهم فـي تطـور الجـيش المـوحدي واخـتلف عما كان موجودا عليه الجيش المرابطـي.وبعد الانتهاء من النصارى المرتزقة سوف نتناول الأندلسيين ودورهم في الجيش الموحدي.

م.الأندلسيون:

تميز الأندلسيون بخبرتهم الواسعة في المجال العسكري، ويرجع ذلك للتجارب المريرة التـي مرت بها الأندلس وأهلها من حروب وحضارات، الأمر الذي جعل المؤسسة العسكرية متطورة لديهم وهذا ينعكس بدوره على تطور الجانب العسكري لدا الموحدين.

وبدخـول الموحدين الأندلس سيطروا على أجزاء عديدة منها وخاصة تلك القريبة من بلاد المغرب حيث سيطروا على الجزيرة الخضراء ،ورندة ،وإشبيلية ،وقرطبة، غرناطة [287] ،وبلنسـية [288]، وهكـذا بـدأت العناصر الأندلسية في الانضمام إلى الجيوش الموحدية حتى أصـبحوا يشـكلون جزءا هاما في التركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي الأمر الذي ساهم في تطوره.

وجاء انضمام الأندلسيين للجيش الموحدي بعدة طرق منها ما جاء طواعية وعن طيب خاطـر ،ومـنها ما تم بحد السيف مثل ما حدث في عهد أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي عند مجيء وفد أندلسي من إشبيلية إلى مراكش سنة 541هـ/1146م وأعلن بيعته للمـوحدين [289]. كما نجد أولئك الأسرى الذين أطلق سراحهم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المـؤمن مـن قبضـة ابـن مردنيش سنة 560هـ/1169م يعلنون انضمامهم إلى الجيش الموحدي [290].

وهكذا انضمت العديد من العناصر الأندلسية إلى الدولة الموحدية وشاركت في تطور التـركيبة الاجتماعية للجيش، كما نجد الموحدين يستغلوا هذه العناصر حيث شكلوا منها فرقا خاصـة منها النظامي ومن التطوعي، كما أنهم كونوا منها فرق دفاعية ووزعوها على المدن

287 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص175.
288 - المصدر نفسه ، ص 167
289 - ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق ، ص 53.
290 - ابن صاحب الصلاة ،المصدر السابق ، ص 210.

من الموحدين [291]، والسبب في ذلك راجع إلى خوف الموحدين من انقلاب الأندلسيين عليهم، كما تم إسكان فرق أخرى دفاعية في بعض المدن ببلاد المغرب مثل مراكش لحمايتها والدفاع عنها [292]، ولقد حرص الموحدون على العناية بهذه الفرق الأندلسية وإحسان تدريبها حتى تزيد مهاراتها العسكرية [293]، وتساهم في تطور الجيش الموحدي.

ومن هنا نلاحظ أن الموحدين قد بسطوا نفوذهم على أجزاء عديدة من بلاد المغرب وإفريقية والأندلس وهي لا تبعد كثيرا عن الرقعة التي بسط المرابطون من قبل نفوذهم عليها، وبالتالي فإن نفس العناصر التي شكلت التركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي هي نفسها التي شكلت التركيبة الاجتماعية للجيش المرابطي سابقا مع الاختلاف في بعض العناصر ،مثل: الغز الذي ظهر ذكرهم في جيوش الموحدين، أما الفرق وأوجه التطور بين تلك العناصر في الدولتين فهذا واضح وجلي ويكمن في عدة زوايا منها: أن العقلية العسكرية التي وجد بها الموحدون العناصر العسكرية سواء من قبائل المغرب أم غيرها ليست مثل العقلية العسكرية التي وجدها المرابطون عند تلك العناصر فهي أكثر تطورا والسبب راجع فنها للمرابطين؛ لأن المرابطين لم يجدوا من يهيئ لهم هذه العقلية لتلك العناصر، ومن ناحية أخرى فإن الموحدين كانوا على دراية بنظم المرابطين العسكرية داخل الجيش،اضافة الي تدريبهم الجيد للجند، وعند دراسة نظم وفرق الجيش الموحدي يتضح لنا ذلك.وهذا ما يقودنا لدراسة الفرق العسكرية في الجيش الموحدي

291 - المصدر نفسه ، ص 24.
292 - المصدر نفسه ، ص 313.
293 - المصدر نفسه ، ص 313.

المبحث الثاني.الفرق العسكرية بالجيش الموحدي:

اجـتمعت للدولة الموحدية العديد من العناصر المقاتلة التي شكلت التركيبة الاجتماعية للجيش الموحدي ، حيث شكل الموحدون من تلك العناصر فرقا عسكرية داخل الجيش وأصبح لكـل فرقة مهامها الخاصة بها، غير أن هذه الفرق أصبح عليها أن تتكاثف جهودها في سبيل تحقـيق نـتائج إيجابية للجيش، ولكي يتم ذلك حرص الموحدون على تطوير هذه الفرق بقدر الإمكـان عمـا كانـت موجودة عليه عند المرابطين ، ومن هذه الفرق :فرقة المشاة، وفرقة الفرسان ،وفرقة الرماة .وسوف يتم تناولهم فيما يلي :

أ- فرقة المشاة :

تعتبر فرقة المشاة من الفرق المهمة التي ارتكز عليها الجيش في دولة الموحدين وكان ذلـك منذ عهد المهدي محمد بن تومرت ، ورغم أن الدولة الموحدية قامت على أرض قبائل المصـامدة المعروفة بتربيتها الخيول إلا أن جيوش الموحدين في بداية عهد المهدي محمد بن تومـرت شـكلت غالبيـتها فرقة المشاة [294]، وقد يرجع هذا إلى أن فرقة المشاة كان أمر تجهيزها سهلاً وميسوراوفي عهد باقي أمراء الموحدين زاد الاهتمام بهذه الفرقة وتطويرها .

ولقـد حملـت هـذه الفـرقة أسلحة متنوعة، مثل: القنا الطويلة، والسيوف ،والدرق ،والحـراب ،والمخالـي التي تحمل فيها الحجارة لرمي الأعداء بها [295]، والمخالي هنا تُعدُّ سلاحاً جديداً لم نلاحظه عند المرابطين وهذا يبين لنا جانب التطور على هذه الفرقة بالجيش الموحدي.

ومـن الـتطورات التي أدخلت على هذه الفرقة بالجيش الموحدي أنه تم تقسيمها إلى صـنفين حسـب حامل السلاح: الصنف الأول ويسمى الراجل الكامل، وهذا يحمل أكثر من سلاح وله نصيب من العطاءات التي يمنحها الموحدون يبلغ خمسة دنانير. أما الصنف الثاني: يسـمى الـراجل غيـر الكامـل ويحمـل نـوعاً واحداً من السلاح وله من العطاءات ثلاثة دنانيـر [296]،وهذا يقودنا إلى أن الاختلاف بين العطاءات يؤكد أن المهمة التي يتم إسنادها إلى الصـنف الأول أكثـر وأصـعب من تلك التي تسند إلى الصنف الثاني . والمهم هنا أن فرقة المشاة بالجيش الموحدي تعددت مهامها وتنوع جندها وهذا لا نجده عند المرابطين.

---

294 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 114.
295 - المصدر نفسه ، ص 132 .
296 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 348.

ولقـد كان موقع هذه الفرقة في مقدمة الجيش [297]،ولا يختلف هذا عما كان موجودا عند المرابطين ، وبالنسبة لكيفية تجنيد مقاتليها فكان في بداية الدعوة الموحدية طواعية ، أما بعـد اتسـاع الدولـة الموحدية بدأ يفرض على كل قبيلة في المغرب إعطاء عدد من رجالها لتجنـيدهم في الجيش [298]، ومن المؤكد أنه كانت توضع شروط ومواصفات للداخل في هذه الفرقة من الطول وقوة الجسم والقدرة على تحمل المشي ، ومن بعد يتم تدريبهم وتسليحهم .

وهكـذا بدأت تظهر مشاركات هذه الفرقة في الحروب التي خاضها الجيش الموحدي، ومـنها حصـار وفـتح مدينة مراكش عاصمة المرابطين [299]،والقضاء على ثورة أبي بكر الصـحراوي وقتال قبيلة دكالة الصنهاجية [300]،إضافة إلى المعارك على أرض الأندلس مثل موقعة الأرك الكبرى، وبالطبع هذه المشاركات كانت نتيجة لتعاون هذه الفرقة مع باقي الفرق في الجيش الموحدي، مثل: فرقة الرماة ،وفرقة الفرسان اللذان سوف يتم تناولهما لاحقا.

ب.فرقة الرماة:

ظهـرت هـذه الفـرقة ضمن الجيش الموحدي منذ عهد المهدي محمد بن تومرت ، ويظهـر ذلـك خلال تصنيفه لأتباعه حيث صنفها في الصنف الثالث عشر [301]، ولقد حرص أميـر المؤمنـين عـبد المؤمن بن علي الكومي على تطويرها حيث وضعها بالنسبة لمراسم الجـيش في المقدمة [302]، وسلحها بأسلحة القوس والنشاب [303]، كما لا نستبعد أنهم حملوا أسلحة خفيفة أخرى مثل الخناجر والسيوف.

ومـن خـلال الأسلحة التي يحملها الجند في هذه الفرقة نلاحظ أن مهمتهم في ميادين القتال تكون قبل الاشتباك مع العدو أي يقومون برمي العدو بالنبال ،والقوس، والنشاب وبالتالي يكون دورهم في المعركة ذا أهمية كبيرة؛ لأنه يحدث نوعا من الخلخلة في صفوف العدو.

297 – المصدر نفسه ، ص 419.
298 – ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 239 .
299 – الناصري، المصدر السابق، ص 89.
300 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 147.
301 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 108.
302 – البيذق، المصدر السابق، ص 414.
303 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 147.

ومثل ذلك ما حدث عند قتال الموحدين قبيلة دكالة الصنهاجية[304]، إضافة إلى مساهمتهم في القضاء على ثورة الداعي السوسي محمد بن عبدالله بن هود الماسي[305]، والمشاركة في موقعة الأرك [306].

وهكذا نلاحظ أن الموحدين طوروا جيشهم بإحداث فرقة تعادل فرقة الفرسان والمشاة في العدد،في الوقت الذي لا نجدها عند المرابطين ،وبالتأكيد إنها إضافة ميزات جديدة على الجيش الموحدي لا يمكن إيجادها في جيش المرابطين.

ج.فرقة الفرسان:

أدخلت هذه الفرقة بالجيش الموحدي منذ عهد المهدي محمد بن تومرت غير أن استخدامها كان بأعداد قليلة[307]، ونتيجة للدور الكبير الذي تؤديه هذه الفرقة وحاجة الموحدين لها،جعلهم يحرصون على الاهتمام بها وتطويرها، وكان ذلك بقيام المهدي محمد بن تومرت ببناء عددٍ كبير من حظائر الخيول [308]، حيث قام بتجهيزها تجهيزاً جيداً بحيث تقي الخيول من برد الشتاء وحر الصيف كما وفر بها الأعلاف، وخصص أناساً للإشراف على هذه الحظائر سواء من ناحية تنظيفها أم تقديم الأعلاف، وهكذا تمكن المهدي محمد بن تومرت من توفير خيول جيدة وقوية ساهمت في توسيع استخدام هذه الفرقة وتطورها ، ومن المؤكد أنه تم في عهده الاهتمام بالفرسان، وذلك بتدريبهم على ركوب الخيل وفن القتال عليها، وبالطبع هذا ما سار عليه خلفاؤه.

فلقد اهتم أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بتطوير فرقة الفرسان داخل الجيش وذلك بزيادة عددها عن طريق شراء عددٍ كبير من الخيول ذات السلالات العربية الجيدة من بلاد إفريقية[309]، وذلك قبل بسط نفوذه عليها ، وهذا ساهم في إظهار الخيول في هذه الفرقة بمظهر القوة، كما أنه جهز عدداً كبيراً من المعسكرات الخاصة بتدريب الفرسان التي يتلقون فيها فنون ركوب الخيل والقتال عليها، وهكذا تطورت فرقة الفرسان وزاد عددها حيث بلغ

304 – المصدر نفسه ، ص 146.
305 – المصدر نفسه ، ص146.
306 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 226.
307 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 119 .
308 – البيذق، المصدر السابق ، ص 63.
309 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 148.

حوالي خمساً وسبعين ألف فارس [310]، وهذا عددٌ ضخمٌ إذا ما قورن بعدد هذه الفرقة في عهد المهـدي محمد بن تومرت وهكذا نلاحظ أن فرقة الفرسان أصبحت تمثل أحد أهم الفرق في الجيش الموحدي ، الأمر الذي استوجب إحداث تطوير على هيكليتها.

ومـن مظاهر ذلك التطوير تم تقسيم الفرسان إلى صنفين حسب ما يحمله الفارس من عدد الأسلحة ، أما الفارس الكامل فهو يحمل أسلحة متعددة ومتنوعة وهذا تكون مهامه كثيرة وشـاقة فـي الحرب ،أما الفارس غير الكامل فهو الذي يحمل أسلحة أقل من أسلحة الفارس الكامـل ويكون أقل تجهيزاً ومهامه في الحرب بسيطة، ولقد انعكس هذا التقسيم للفرسان على أعطـياتهم، فالفـارس الكامل يأخذ أعطيه أكثر من التي يأخذها الفارس غير الكامل، واللافت للنظـر أن الفـارس الكامـل من قبائل العرب يأخذ أعطية أكثر من تلك التي يأخذها الفارس الكامـل مـن المـوحدين ، حـيث وصـلت أعطية الفارس العربي الكامل إلى خمسة عشر ديـناراً[311]، وربمـا يرجع ذلك إلى الدور القتالي الكبير لفرسان قبائل العرب ، إضافة إلى تـرغيبهم فـي الـبقاء في الجيش الموحدي ، وهكذا نلاحظ أن هذه النظم غير موجودة عند المرابطين وذلك دليل على أن الموحدين أحدثوا تطوراً على هذه الفرقة.

وكـذلك نلاحظ أن الموحدين لم يجعلوا دور فرقة الفرسان محصوراً في حمل السلاح والقـتال، بل نجد أن حاملي الطبل في الجيش كانوا من فرقة الفرسان ، حيث يحملون الطبول فـي ميادين القتال ومثل ذلك ما حدث في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بن علي حـيث بعث جيشاً لحماية إشبيلية من خطر النـصارى وذلك سنة (560هـ/1165م) حيث كان يحتوي على فرسان يحملون الطبول [312]، وهذا يعد تطوراً في مهام هذه الفرقة .

أما عن ملابس الفرسان في هذه الفرقة فلقد كانت ملابساً موحدة في الشكل تكونت من الغفـارة [313]، والعمامة [314]، وكساء قبطية [315]، وشقة [316]، والتي سوف نتناولها بالتفصيل في عناصر قادمة.

---

310 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 152 .
311 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 348.
312 - المصدر نفسه ، ص 218.
313 - الغفارة : كساء يلبس فوق آخر ،انظر: لسان العرب،مادة(غفر).
314 - العمامة : طويلة وقليلة العرض تصنع من لكتان يجعل فوقها آخر مثلها، فوقها آخر مثلها، محمد أحمد الفقشندي،أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، شرح وتعليق ونقل نصوص : نبيل خالد الدطوب ، ج5 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1989م، ص 197.
314 - القبطية : الثوب الأبيض الرقيق من الكتان انظر ، لسان العرب،مادة (قبط)
315 - الشقة : عبارة عن ما يشق من الثوب على شكل مستطيل انظر، لسان العرب،مادة (شقق).
316 - ابن أبي زرع،المصدر نفسه،ص226.

حوالي خمساً وسبعين ألف فارس [310]، وهذا عددٌ ضخمٌ إذا ما قورن بعدد هذه الفرقة في عهد المهـدي محمد بن تومرت وهكذا نلاحظ أن فرقة الفرسان أصبحت تمثل أحد أهم الفرق في الجيش الموحدي ، الأمر الذي استوجب إحداث تطوير على هيكليتها.

ومـن مظاهر ذلك التطوير تم تقسيم الفرسان إلى صنفين حسب ما يحمله الفارس من عدد الأسلحة ، أما الفارس الكامل فهو يحمل أسلحة متعددة ومتنوعة وهذا تكون مهامه كثيرة وشـاقة فـي الحرب ،أما الفارس غير الكامل فهو الذي يحمل أسلحة أقل من أسلحة الفارس الكامـل ويكون أقل تجهيزاً ومهامه في الحرب بسيطة، ولقد انعكس هذا التقسيم للفرسان على أعطـياتهم، فالفـارس الكامل يأخذ أعطيه أكثر من التي يأخذها الفارس غير الكامل، واللافت للنظـر أن الفـارس الكامـل من قبائل العرب يأخذ أعطية أكثر من تلك التي يأخذها الفارس الكامـل مـن المـوحدين ، حـيث وصـلت أعطية الفارس العربي الكامل إلى خمسة عشر ديـناراً[311]، وربمـا يرجع ذلك إلى الدور القتالي الكبير لفرسان قبائل العرب ، إضافة إلى تـرغيبهم فـي الـبقاء في الجيش الموحدي ، وهكذا نلاحظ أن هذه النظم غير موجودة عند المرابطين وذلك دليل على أن الموحدين أحدثوا تطوراً على هذه الفرقة.

وكـذلك نلاحظ أن الموحدين لم يجعلوا دور فرقة الفرسان محصوراً في حمل السلاح والقـتال، بل نجد أن حاملي الطبل في الجيش كانوا من فرقة الفرسان ، حيث يحملون الطبول فـي ميادين القتال ومثل ذلك ما حدث في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بن علي حـيث بعث جيشاً لحماية إشبيلية من خطر النـصارى وذلك سنة (560هـ/1165م) حيث كان يحتوي على فرسان يحملون الطبول [312]، وهذا يعد تطوراً في مهام هذه الفرقة .

أما عن ملابس الفرسان في هذه الفرقة فلقد كانت ملابساً موحدة في الشكل تكونت من الغفـارة [313]، والعمامة [314]، وكساء قبطية [315]، وشقة [316]، والتي سوف نتناولها بالتفصيل في عناصر قادمة.

---

310 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 152 .
311 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 348.
312 - المصدر نفسه ، ص 218.
313 - الغفارة : كساء يلبس فوق آخر ،انظر: لسان العرب،مادة(غفر).
314 - العمامة : طويلة وقليلة العرض تصنع من لكتان يجعل فوقها آخر مثلها، فوقها آخر مثلها، محمد أحمد الفقشندي،أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، شرح وتعليق ونقل نصوص : نبيل خالد الدطوب ، ج5 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1989م، ص 197.
314 - القبطية : الثوب الأبيض الرقيق من الكتان انظر ، لسان العرب،مادة (قبط)
315 - الشقة : عبارة عن ما يشق من الثوب على شكل مستطيل انظر، لسان العرب،مادة (شقق).
316 - ابن أبي زرع،المصدر نفسه،ص226.

ولقـد كان موقع هذه الفرقة في قلب الجيش [317] بالنسبة للمراسم، وهكذا يمكن القول بـأن المـوحدين قـد بذلوا جهدهم في سبيل تطوير فرقة الفرسان ،والتي ساهمت بدورها في تطوير الجيش الموحدي، ورغم تطور فرقة الفرسان ودورها في الجيش إلا أنه لم يتم ذلك إلا بتكاثف جهودها وجهود غيرها من الفرق .

317 – ابن ابي زرع المصدر نفسه،ص226.

المبحث الثالث عدة الجيش :

توسعت الدولة الموحدية وضمت إليها المغرب، وإفريقية ،والأندلس، وترتب على ذلك تـنوع العناصر المكونة للتركيبة الاجتماعية للجيش الموحدى، وتعدد الفرق العسكرية المكون لـــه، وبالطبع سخّر الموحدون هذه العناصر لخدمتهم في الجانب العسكري ومن ذلك أخذ ما عند تلك العناصر من معدات وإدخالها في جيشهم، وهذا ساهم في تعدد وتنوع المعدات داخل الجـيش الموحدي والتي بالتأكيد ساهمت في تطويره ومثل ذلك: الأسلحة ،والزي العسكري، والرايات ،والطبول، ومن هنا سوف يتم تناول هذه المعدات بالدراسة والتفصيل وإبراز جوانب التطور فيها وذلك فيما يلي:

أ.الأسلحة تنوعها عند الجيش الموحدي:

تميـزت الأســلحة عند الجيش الموحدي بتنوعها الأمر الذي يجعلها تختلف عما كان موجوداً عند الجيش المرابطى وتكون أكثر تطوراً منها ولقد جاء هذا التنوع من تلك العناصر الجديـدة التـي ضـمها الموحدون إليهم سواء في بلاد المغرب أم في إفريقية أم في الأندلس إضـافة إلى شراء ما يمكن شراؤه من الأسلحة وصناعة ما يمكن صناعته منها، وخاصة أن أمراء الموحدين سعوا إلى إنشاء دور صناعة للأسلحة ومن ذلك ما قام به أمير المؤمنين عبد المـؤمن بن علي الكومي من إنشاء دور لصناعة الأسلحة، حيث كانت هذه الدور تصنع كما هائلاً من الأسلحة ومنها السهام حيث يتم في اليوم صناعة عشر قناطير من السهام[318]، وهكذا سوف يتم تعداد هذه الأسلحة [319]، وتناولها بالشرح والتفصيل:

1- **الخـوذة**: وهـي بالطبع توضع فوق الرأس لحمايته من الصدمات والضربات ،وهي تصنع من الحديد.

2- **الـدرع**: وهو عبارة عن قميص من حلقات حديدية متشابكة يلبسه الجندي؛ وقاية له من طعنات سلاح العدو .

3- **التـرس**: وهـو أداة يتقى بها الجندي في الحرب ، ويتم صناعته من جلد بعض الحيوانات، مثل :البقر ،أو الإبل وأحياناً يصنع من الخشب ، وفي الغالب تنقش عليه عبارات دينية لتزيد من زينته، مثل: (لا غالب إلا الله) و (لا إله إلا الله) ، ولقد كان التـرس عند الأندلسيين عبارة عن صفيحة من الفولاذ مستديرة الشكل، ويتم حمله

318 – ابن أبي زرع ، المصدر نفسه ، ص 201.
319 – تم تعريف أنواع الأسلحة من المادة العلمية الموجودة بالمعجم الوسيط ،ج1-2 .

باليد لتلقي ضربات السيوف[320]، والتروس لها عدة أشكال منها: المسطح، والمستطيل، والمخصر الوسط ،والمقبب المنحني الأطراف إلى الخارج[321].

4- **السيوف**: ومنها السيوف الهندية وهي التي تجلب من الهند ، والسيوف المشرقية التي تجلب من أرض العراق والشام واليمن.

5- **الرمح**: قناة تكون ممسونة من الرأس وتستخدم في الطعن.

6- **الدرق**: وهي عبارة عن ترس من الجلد ليس فيه خشب.

7- **السهم**: عود من الخشب يسوي في طرفه فصل يرمي به عن طريق القوس ، ومنها السهام الخطية وهي السهام الصائبة.

8- **القوس**: آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام.

9- **الحراب**: وهي آلة تصنع من الحديد وهي محددة الرأس وتستعمل في الطعن.

10- **السكاكين** : تصنع من الحديد وتستخدم في الطعن.

11- **الحجارة والمخالي** : تستخدم الحجارة في الحرب ، حيث يقذف بها الأعداء ويتم حملها في المخالي، وهي :أكياس من القماش أو غيره، ولقد استخدمت في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي [322].

12- **المنجنيق**: آلة قديمة تستخدم عند حصار الجيش للمدن حيث ترمى بها حجارة ثقيلة تستخدم لدك الأسوار في حالات تعذر الوصول إليها أو تسلقها أو اقتحامها، حيث تحدث ثقباً في الأسوار ومنها تدخل العساكر، ولقد استخدمت في عدة معارك ومن ذلك حصار الموحدين للمهدية [323]،وكذلك قام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي عند حصار قفصة بقذفها بالمنجنيق[324]،كما نجد أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن يستخدم المنجانيق في حصاره لمدينة طليطلة [325]، وكذلك نجد الموحدين سنة 608هـ/1211م ينصبون ما يقارب من أربعين منجنيقا على حصن شلبطرة [326]، وهكذا نلاحظ أن الموحدين استخدموا هذا السلاح منذ وقت مبكر أي قبل دخولهم إلى الأندلس ، وهذا يعد تطورا أدخلوه على أسلحة الجيش عندهم .

---

320 - عبدالرحمن زكي، السلاح في الإسلام ، القاهرة ، 1951م، ص 16 .
321 - المقري ،المصدر السابق ، ج2 ، ص10 وما بعدها .
322 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 132.
323 - البيذق ، المصدر السابق ، ص 228.
324 - المراكشي ، المصدر السابق ، ص 228.
325 - ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة بيروت ، ص 193.
326 - الناصري ، المصدر السابق ، ص221 .

13- **الأبـــراج والسلالم**: وهي عبارة عن آلة مرتفعة تستخدم لتسلق الأسوار، ومن ثم مباغتة العدو ومهاجمة نقاط الحراسة على تلك الأسوار ولقد استخدمها الموحدون عند حصارهم للمدن وخاصة مدن الأندلس التي تميزت بحصانتها ومن ذلك حصار مدينة إشبيلية [327].

وهكـــذا نلاحظ أن الأسلحة فعلاً كانت متنوعة ، وكلها ظهرت في وقتٍ مبكرا بالجيش المـــوحدي أي منذ عهد المهدي محمدبن تومرت و عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي ، وهذا دليلٌ على سعي الموحدين المتواصل لتطوير جيشهم، وهذا ما جعل الفرق يبدو شاسعاً بين أسلحة الجيش عند المرابطين والموحدين.

ب- الزي العسكري للجندي الموحدي:

تميـــز الـــزي العســـكري للجندي الموحدي بتنوعه وتكامله بحيث يؤدي وظائفه لهذا الجـــندي من حماية من ضربات العدو ووقايته من حرارة الشمس والطقس البارد إضافة إلى ذلـــك نجد هذا الزي متناسقاً، فعند ارتداء الجندي له يكون في غاية الترتيب والجمال، وأمّا لو نظرنا إلى الجيوش الموحدية بهذا الزي المتكامل فحتماً أنها سوف تكون ذات منظر متناسق، وهـــذا بـــدوره يفســـر لنا التطور الذي وصل إليه الموحدون في مجال الزي العسكري للجند ويمكن أن نتناول هذا الزي بالشرح المفصل:

فـــي البداية يرتدي الجندي الموحدي فوق الرأس الغفارة[328] التي تغطى العنق والقفا، وتكـــون فـــي حجمها على قدر الرأس وتلبس تحت الخوذة ،وتصنع من الديباج أو الخز [329]، وتكـــون علـــي شكل حلقات صغيرة وبذلك تقي العنق من الضربات[330]،ويتم بعد ذلك وضع الخـــوذة فوق الغفارة، وتصنع الخوذة في العادة من الحديد ووظيفتها حماية رأس الجندي من ضربات العدو ووقايته من حرارة الشمس والبرد، ثم يأخذ بعد ذلك العمامة ويلفها حول عنقه، وهي عبارة عن قطعة من الكتان طويلة ومستطيلة الشكل[331]، ومن بعد يرتدي القبطية وهي ثوب من الكتان أبيض اللون [332]، وقد يكون مبطن [333]، ليتلاءم مع برد الشتاء ، وبعد ذلك

327 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 408.
328 - المصدر نفسه ، ص 360.
329 - المقري ، المصدر السابق،ج2 ، ص 112.
330 - المصدر نفسه ،ج2، ص 70.
331 - القلقشندي ، المصدر السابق،ج5 ، ص 198.
332 - انظر لسان العرب، مادة (قبط).
333 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 360.

يأخذ الشقة التي تضع من القماش وتكون على شكل مستطيل [334]، ويتم لبسها كالحزام وذلك بلفهـــا علـــى جسمه بعد لبس القبطية ،ونلاحظ أنه في وقت استعراض الجيوش يرتدي الجند حـــزاماً مـــن الذهب أو الفضة[335]، بدلاً من القبطية ليظهر الجند أكثر جمال وأناقة، وأخيرا يلبس الجندي فوق كل ذلك غطاء يسمى البرنوس [336]، ويتم صناعته من قماش خشن، وهو يقي الجندي من برد الشتاء،وبعد ذلك يلبس الجندي في رجله الخفاف وهو الحذاء ،ويشد فوقه المهمـــاز وهـــو حديدة في مؤخرة خف الرائض [337]، ويتم توزيع هذا الزي على الجند قبل الحرب [338]، كما أنه يمنح كعطايا مع الأموال بعد الحرب ، والنصر على الأعداء [339].

غيـــر أن الملفت للانتباه أن عناصر العبيد السودان كان لهم زي يختلف في لونه على مـــا يـــرتديه باقـــي الجند الموحدي، حيث نجده ذا ألوان مزركشة ، وربما يرجع ذلك إلى أن طبـــيعة العبيد تميل إلى الألوان المتداخلة والكثيرة، وربما هذا ما جعل الموحدين يتركون لهم حرية ارتداء هذا الزي.

وهكـــذا نلاحظ من خلال الزي العسكري للجندي الموحدي مدى الأناقة والترتيب فيه، بحـــيث يجعل صورة الجندي حسنه، إضافة إلى تأديته الأغراض على أرض المعركة، ومن المـــؤكد أنـــه مـــريح ولا يسبب أي مضايقة للجندي عند ارتدائه، ومن كل ذلك يبرز التطور الملحـــوظ لهذا الزي والذي لا نلاحظه عند جند المرابطين، وحتى لو وجد فلن يكون متكاملاً بهـــذه الصورة. وأخيراً ولكي نواصل دراسة عدة الجيش سوف يتم تناول الرايات عند الجيش الموحدي فيما يلي.

ج ــ الرايات عند الجيش الموحدي:

تُعَدُّ الرايات رموزاً وشعارات للدول والإمارات والقيادات ، ومثل ما نجد تلك الرايات تعلـــو المباني ومؤسسات الدولة ، كذلك نجدها تعلو المؤسسة العسكرية بمختلف فروعها من جـــيش أو أســـطول أو منشـــآت دفاعية ، والرايات تحمل في الغالب عبارات دينية أو غيرها تعكس المبادئ والأسس التي قامت عليها الدول، والإمارات، والقيادات، ولذا حرص الموحدون

---

334 - انظر لسان العرب ، مادة(شق).
335 - القلقشندي ، المصدر السابق،ج5 ، ص 198.
336 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 148.
337 - انظر القاموس المحيط ، مادة(همز).
338 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 148.
339 - القلقشندي ، المصدر السابق،ج5، ص 198.

على اتخاذ راية لدولتهم تعكس مبدأ التوحيد الذي جاءت به دعوتهم التومرتية وأصبحت تتقدم جيوشهم.

ومـــن هنا فلقد كان بداية اتخاذ الموحدين للرايات منذ عهد المهدي محمد بن تومرت ،حيث اتخذ راية بيضاء كبيرة ووضعها في مقدمة الجيش الموحدي [340]،وكتب عليها عبارات دينـــية تفيد التوحيد وتدّعم دعوته جاء فيها: "الواحد الله محمد رسول الله، المهدي خليفة الله" ، وعلى الوجه الآخر للراية كتب عليه "وما من إله إلا الله وما توفيقي إلا بالله ، وأفوض أمري إلـــى الله" [341]، كما أنه اتخذ إلى جانب هذه الراية الكبيرة،رايات صغيرة، وكان مركز هذه الـــرايات فـــي الجيش موزعاً على القبائل التي تشكل مراسم الجيش في عهده، مثل كدميوة ، وهـــرغة ، وكنفيســـة ، وتيـــنمال، وهنتاتة، ولقد كانت هذه الرايات تحمل ألواناً مختلفة مثل: الأبيض، والأصفر،والأحمر، كما أنه خصص شخصيات معينة تولت حمل هذه الرايات مثل: عـــبدالمؤمن بـــن علي الكومي، وأبي إبراهيم، وعبدالله بن ملويه، ولياللتن ،وعمر أننتى[342]، ونلاحـــظ هـــنا أن إسناد مهمة حمل هذه الرايات لمثل هذه الشخصيات هو دليل على المكانة الدينـــية العالـــية ،والقيم المعنوية الكبيرة لهذه الرايات التي حرص المهدي محمد بن تومرت علـــى غرسها في أتباعه، وهكذا نلاحظ حرصه الدائم على أن تكون مبادئ دعوته عميقة في جذورها؛ حتى تصبح الشغل الشاغل لأتباعه، وهذا ما حدث بالفعل الأمر الذي لا نلاحظه بهذه الجدية وذاك الحرص عند المرابطين.

ولقد استمر أمراء الموحدين بعد المهدي محمد بن تومرت في اتخاذ الرايات والاهتمام بها أو التطوير فيها،ففي بداية عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بن علي ظلت الرايات عمـــا كانـــت علـــيه في بداية الدولة الموحدية، حيث كانت أربع رايات صغيرة تتقدمهم راية كبيـــرة، وتحمـــل هـــذه الـــرايات ألـــوان مخـــتلفة مثل: اللون الأبيض ،والأحمر ،والأصفر ،والخلـــــــدي [343]،وأغلب الظن أن الرايات الصغيرة حملتها قبائل معينة ،أو فرق عسكرية داخـــل الجـــيش، أما في أواخر عهده عندما بلغت الدولة الموحدية قمة اتساعها بدأ يزداد عدد الـــرايات حـــيث بلغ حوالي ست عشرة راية [344]، حملت ألواناً مختلفة، وهذا دليل على أن

340 - ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 177.
341 - محمد عبدالله عنان ،المرجع السابق ، القسم الأول، ص 196.
342 - البيذق، المصدر السابق ، ص 98.
343 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 357.
344 المصدر نفسه،ص348.

العناصر والفرق العسكرية المكونة للجيش الموحدي زادت تنوعاً بحيث ساهمت في هذا التعدد للرايات، وكذلك نجد في عهد أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف أن الموحدين أصبحوا يهملون أفكار ابن تومرت ومبادئه، ولقد ظهر ذلك واضحاً في تلك الرايات التي يحملها الجيش فلقد قام هـذا الأميـر باتخاذ راية بيضاء كبيرة تتقدم جيوشه في حروبها، وذلك بعد أن أزال ما كان يكتـبه المهدي محمد بن تومرت عليها، وكتب عليها شعار التوحيد في الإسلام فقط وهو: " لا الـه إلا الله محمـد رسـول الله لا غالب إلا الله "[345]،وهذا يعد تطوراً جديد لا على الرايات فحسـب بـل مـنعطف كبير في مبادئ الدولة الموحدية،حيث وصل أمراء الموحدين إلى أن عزتهم تأتي من تمسكهم بالقرآن وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وأخيـراً يمكـن القول أن الرايات تعددت وتنوعت عند الجيش الموحدي وذلك بتعدد عناصـر التـركيبة الاجتماعية لهذا الجيش حيث ساهم تعددها في تنوع ألوان الرايات مثل: الأبـيض ،والأحمـر ،والأصـفر ،والأخضر [346]، والخلدي ، ولقد حمل هذه الرايات أناس معينون من جانب أمير المؤمنين ويطلق عليهم أسم أصحاب العلامات [347]،وكل ذلك نتج عنه تطـور اسـتخدام الرايات عند الجيش الموحدي، وما يلفت الانتباه أن الموحدين اتخذوا اللون الأبـيض شعاراً لهم والذي يعكس باطن دعوتهم من نقاء وصفاء النية واتخاذ الطريق القويم، وهـذا بـدوره يؤثـر فـي نفسية أتباعهم مما يجعلهم أكثر تعلقاً بهم، وهذا دليل على دراية المـوحدين بالعوامل النفسية ودورها في خدمة أغراضهم العسكرية ، ويمكن أن نضيف ذلك إلـى تطور الروح العسكرية عند الموحدين. ولكي نستكمل الحديث عن عدة الجيش سوف يتم تناول الطبول عند الجيش الموحدي فيما يلي:

د ـ الطبول واستخداماتها في الجيش الموحدي:

أن الطبول بصوتها القوي تُدخل في نفوس الجند الشجاعة وتحرك همم الأبطال، وفي الوقت نفسه تزرع الرعب والخوف في قلوب جند العدو [348]، ولقد ركز الموحدون على هذا فأدخلوا الطبول ضمن جيوشهم وذلك منذ بداية عهدهم، وربما هذا اقتباس عن دولة المرابطين باعتبارها الأسبق إلى ذلك من الموحدين ،غير أن الموحدين طوروا في شكلها واستخدامها.

345 - ابن أبي زرع ، المصدر السابق السابق ، ص 228.
346 - المصدر نفسه ، ص 226.
347 - القلقشندي ، المصدر ،ج5 ، ص 135.
348 - ابن خلدون ، المصدر السابق ج1، ص 271- 272.

فلقـد اتخـذ الجيش الموحدي الطبول منذ عهد المهدي محمد بن تومرت ،ويعد هذا مبكراً إذا ما قارناه بتاريخ استخدام الجيش المرابطي للطبول، حيث كانت الطبول الموحدية في عهده ذات أشكال مربعة وكبيرة الحجـــــــــــــــم [349]،واقتصر استخدامها في ميادين القتال فقط.

وأما في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي ،فلقد تطور شكل ،واستخدام الطبول، حيث أصبح شكلها مستدير وكبير الحجم، وقد بلغ قطره خمسة أذرع وتم صناعته من الخشـب وجلـد بعـض الحيوانات مثل البقر ،والإبل، وتم طلائها باللون الأخضر وتوشيتها بالـذهب [350]، كمـا أن أعداد الطبول زادت حتى وصلت إلى حوالي مائة طبل وكلها كبيرة وضخمة [351].

وأمـا بالنسبة لتطور استخدامها فلقد بدأ ذلك منذ عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علـي الكومي ، حيث استخدمت الطبول عند رحيل الجيش إلى ميادين القتال، وتم ذلك بقرع ثلاث ضربات قوية على الطبل ،وبهذه الكيفية يرحل الجيش [352]،وهي بمثابة توديع له،كما تم اسـتخدام الطـبول عند السرور ،أوالابتهاج برجوع الجيش الموحدي من ميادين القتال [353]، ومـن المـؤكد أنه كانت هناك ضربات خاصة على الطبول بهذه المناسبة،وليس هذا فقط فلقد اسـتخدمت الطـبول ككلمـة سر في الحرب، ومن ذلك ما حدث في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن أبن علي الكومي وذلك عند انقضاضه على قبيلة جزولة الصنهاجية ،قام بإصدار أمر دق الطـبل فاندفعت عناصر العبيد السودان على خيولها وبأيديها السيوف وقاموا بتصفية تلك القبـيلة [354]، وحـدث نفس هذا الاستخدام الأخير عند حصار الموحدين لمدينة مراكش حيث نصـبوا كميـناً لأهالي المدينة، فعند خروج الأهالي من المدينة دقت الطبول فخرجت الكمائن علـى الأهالي وأوقعوا بهم[355]،كما استخدمت الطبول عند النصر على الأعداء ،ومن ذلك ما حـدث فـي عهـد أمير المؤمنين يوسف بن علي عند فتحة للمهدية، حيث أمر بدق الطبول وإطعام الموحدين والناس كافة، واستمر قرع الطبول بشكل متصل[356]،كما استخدم هذا الأمير

349 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 132.
349 - المراكشي ، المصدر ، المصدر السابق، ص 342.
350 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 132.
351 - المراكشي ، المصدر ، السابق ص 195.
352 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 152 .
353 - البرذق، المصدر السابق ، ص 103 .
354 - المصدر نفسه ، ص 103 .
355 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 137.
356 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 75.

الطبول عند تنصيب والٍ جديد وهذا ما حدث بإشبيلية عند تنصيب أبي عبدالله بن إبراهيم والياً عليها حيث أمر هذا الوالي بأربعة طبول يحملها أربعة فرسان يدقون تلك الطبول إعلاماً برفعته عندهم [357].

ولقد تولى مهمة الحمل والدق على الطبل بالجيش الموحدي أفراد معينون ،يسمى الواحد منهم أمر دق الطبل، ولقد كان مكانه في الجيش في المقدمة [358]،وكان في الغالب من فرقة الفرسان.

وهكذا وبدراسة عدة الجيش الموحدي نلاحظ أنها شهدت تطوراً ملحوظاً جعلها تختلف عما كان موجوداً عند جيش المرابطين، ونقصد بذلك الأسلحة ،والرايات ،والطبول، سواء بسعي الموحدين إلى تطوير هذه المعدات أم تطوير استخدامها، غير أن دراسة الجيش الموحدي وتطوره لا تتم بذلك فقط، الأمر الذي يوجب علينا دراسة النظم والمناصب العسكرية الخاصة به،وهذا ما سيتم تناوله فيما يلي من مباحث

357 - المصدر نفسه ، ص 218.
358 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 153.

المبحث الرابع:_ النظم العسكرية في الجيش الموحدي:

بعـد دراسـة عناصر وفرق وعدة الجيش الموحدي وتطورها، أصبح من المفروض دراسـة النظم العسكرية لهذا الجيش وتطورها، تلك النظم التي يمكن أن نحصرها في مراسم، وتمييز ،وإقامة للخطط العسكرية ،وإنشاء القواعد العسكرية عند الجيش الموحدي، ولا شك في أن هذه الجوانب شهدت تطوراً ملحوظاً اختلف عما كان موجوداً عند الجيش المرابطي.

1- مراسم الجيش الموحدي:

نقصـد بالمراسـم توزيـع العناصـر والفرق وغيرها في داخل الجيش في مختلف الظـروف، ولقد أعطى أمراء الموحدين أهمية كبيرة لمراسم الجيش عندهم، الأمر الذي ساهم فـي تـنوعها حتـى أخذت طابع التطور واختلفت عن تلك التي كانت عند الجيش في دولة المرابطين، ومن مظاهر التنوع أن كانت هناك مراسم للجيش عند تشكيل موكب خاص بأمير المؤمنين، ومراسم عند سير الجيش إلى أرض المعركة،ومراسم للجيش على ساحة المعركة.

فبالنسبة لمراسم الجيش على ساحة المعركة فهي لا تختلف كثيراً عما كان عند الجيش المرابطـي ،فلقد اعتمد أمراء الموحدين على النظام الخماسي القائم على أساس تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام وهي: المقدمة ،والجناحان، والقلب ،والمؤخرة، حيث كان يعسكر في المقدمة فـرقة المشـاة ،والـرماة [359]،أمـا الجـناحان فأغلب الظن أنه يعسكر فيهما قبائل زناته ،والمصـامدة ،والعرب ،وسائر قبائل المغرب، أما قلب الجيش فكان يتمركز به أمير المؤمنين ،وتحـيط به قبيلة هنتاتة [360]، ومن المحتمل أن عناصر العبيد السودان كانوا يتمركزون في القلب على اعتبارهم ضمن الحرس الخاص لأمير المؤمنين، أما بقية عناصر الجيش فقد كانت موزعة على أقسام الجيش في المؤخرة، والجناحين والمقدمة .

أمـا بالنسـبة لمراسم الجيش في الموكب الخاص بأمير المؤمنين ، فإننا لانجدها عند الجيش في دولة المرابطين، وهذا يعد تطوراً في الجيش الموحدي ،وهي تقوم على أساس أن تشـكل فرق الفرسان ،والمشاة ،والرماة صفوفاً مرتبة ومن بعد يأتي حاملو الرايات والطبالة يـتقدمون أمام أمير المؤمنين ،ويستمر الطبالة في قرع الطبول من بداية النهار حتى منتصف اليوم [361].

---

359 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 414.
360 - ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص 226.
361 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 195.

وأمـــا مراسم الجيش الموحدي عند المسير إلى أرض المعركة، فهي أكثر تطورا عما كـــان موجوداً عند الجيش المرابطي، فهي تبدأ باجتماع الناس والقيام بالدعاء لأمير المؤمنين، ويقـــوم الناس بتوديعه [362]،ثم يخرج أمير المؤمنين على رأس الجيش ويسير أمامهم ثم تتقدم الجـــيش الـــراية البيضاء مع فرقة المشاة، ويتقدم الجيش كذلك مصحف القرآن الكريم، حيث يوضع على حمل مرتفع و إلى جانبه كتاب المهدي محمد بن تومرت [363]، ويسير خلف أمير المؤمنـــين قبائل العرب والمغرب [364]،وغيرهم من الأجناد، وتأتي فيما بعد الرايات والطبول الضخمة من الخلف[365]وعند المسير كان يحرص الجيش على عدم إيذاء الأراضي المزروعة ،كما نجد الجند في هذه المراسم يصلون الصلوات الخمس خلف أمير المؤمنين، وخلال عملية المسير تتقدم الجيش فرقة خاصة مهمتها أن تسبق الجيش في طريق مسيره وتقوم بتأمين المياه لـــه، وذلـــك عـــن طـــريق حفر الآبار، ونلاحظ أنه لولا هذه السياسة المتطورة لما استطاع الموحدون عبور تلك المسافات من المغرب إلى بلاد إفريقية بهذه الجيوش العظيمة[366]،وعندما يقترب الجيش من مكان نزوله تتغير تشكيلته ،حيث يتقدم الطبالة وحاملو الرايات أمام الجيش مع مصحف القرآن الكريم وكتاب المهدي محمد بن تومرت وذلك بخلاف عادة السير [367].

وهكـــذا نلاحظ التطور الملحوظ في مراسم الجيش الموحدي والتي إن دلت علي شئ فإنما تدل على دقة التنظيم الذي سار عليه أمراء الموحدون.

2ـ تمييز (إستعراض) الجيش الموحدي:

التمييـــز للجـــيش:هـــو الاســـتعراض العســـكري للجند بسلاحهم المتكامل أمام أمير المؤمنين[368]،ولقد اتبع أمراء الموحدين تمييز الجيش منذ أيام دولتهم الأولى في عهد المهدي محمـــد بـــن تومرت ، حيث كان هدفه من تمييز الجيش تطهير الجيش من الخونة والمنافقين الـــذين يشكلون خطراً على أمن الموحدين [369]، أما في عهد باقي أمراء الموحدين فلقد تغير

362 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 153 .
363 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 351.
364 - المصدر نفسه ، ص 357.

365 - مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص 153.
366 - التجاني ،المصدر السابق ص 396.
367 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 357.
368 - المراكشي ، المصدر السابق ، ص 172.
369 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 52 وما بعدها

الغـرض مـن التمييز، وذلك بعد نشر الأمن والاستقرار داخل الدولة الموحدية حيث أصبح الهدف منه التأكد من معدات الجيش وبدء استعداد الجيش لخوض المعارك.

وكـان يتم تمييز الجيش قبل خوض المعركة، وتكون البداية بالعناصر السابقة لطاعة الموحدين ومن ذلك ما حدث سنة 560هـ/ 1164م قبل دخول المعركة ضد ابن مردنيش، حيث بدأ التمييز بقبائل الموحدين من أهل هرغة وأهل تينملل وهنتاتة وكدميوة وكنفسية وجميع القـبائل حسب التوحيد ، ثم القبائل العربية بداية بالهلاليين ، ورباح وجشم وزغبة ، ثم يأتي دور العبيد[370].

كمـا تـم تمييز الجيش الموحدي عند وفود عناصر مقاتلة جديدة عليه، ومن ذلك ما حـدث في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بن علي [371]،عند وفود القبائل العربية علـيه، وكان هذا التمييز للقبائل العربية يقوم على أساس ترتيبهم حسب السابق في الانضمام للموحدين ، ولقد استمر تمييز هذه القبائل خمسة عشر يوما من الغدوة حتى الظهر ومن الظهر حتـى آخـر الـنهار [372]،الأمر الذي يشير إلى ضخامة الأعداد العربية التي دخلت الجيش الموحدي.

ولقـد قام أمراء الموحدين بإنشاء ديوان خاص بالتمييز يسمى (ديوان التمييز) تحصر فـيه أسماء جميع عساكر الجيش الموحدي، فعن طريقه تم تنظيم الجيش وسهل عملية توزيع الأعطيات عليه[373].

وهكـذا نلاحـظ حرص أمراء الموحدين على تطوير جيشهم، بإدخال مثل هذا النظام علـى جيشـهم والذي كان ذا أهمية كبيرة في تنظيم، وحصر أعداد عناصره، وتسهيل عملية صرف المرتبات والمكافآت إليهم، هذا النظام الذي نلاحظ أنه دليل على تقدم الجيش الموحدي علـى الجيش المرابطي في هذا المجال، وهذا التطور سوف نلاحظه أكثر لاحقا في إبداعات الجيش الموحدي في مجال الخطط العسكرية.

370 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 199.
371 – المصدر نفسه ، ص 346.
372 – المصدر نفسه ، ص 346.
373 – المصدر نفسه ، ص 347.

3 ـ الخطط العسكرية عند الجيش الموحدي:

اعتمد الموحدون على عنصري المباغتة والمفاجأة في حروبهم مع الأعداء وظهر ذلك بوضوح في الخطط العسكرية التي استخدمها أمراء الموحدين، خصوصاً في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي ، ومن تلك الخطط العسكرية تصنع الفرار [374]، ونصب الكمائن [375]،واختلاق الرسائل [376]، وغيرها، ولقد ظهرت الخطط العسكرية عند الجيش الموحدي منذ ظهورهم على دولة المرابطين، ففي البداية استخدم الموحدون خطط استخدمها المرابطون في عهد دولتهم، أي أنهم اقتبسوها منهم، ومن بعد بدأ يظهر التطور في الخطط العسكرية لدى الموحدين.

فمن تلك الخطط العسكرية التي استخدمها الجيش الموحدي تصنع الفرار، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي عند حصاره لمدينة مراكش عاصمة المرابطين، حيث نصب الكمائن لأهالي المدينة وادعى الجيش الموحدي الهزيمة والفرار أمام سكان المدينة، وفي هذه الأثناء كان الغرض جر الأهالي إلى الكمائن، وعند فرار جيش الموحدين لحق به أهالي المدينة، فدق الطبالة بالجيش الموحدي الطبول، فخرجت الكمائن على أهالي المدينة مما أدى إلى هلاك الكثير منهم، واستمر الجيش الموحدي في حصار مدينة مراكش حتى ضعفت عزيمة سكانها[377]، ونلاحظ مثل هذه الخطة استخدمها المرابطون من قبل .

كما استخدم الجيش الموحدي خطة قائمة على عنصر المفاجئة وذلك عند افتتاحه مدينة مراكش ،وذلك باستخدامه السلالم للصعود لأسوار المدينة، حيث قسمت أسوار وأبواب المدينة على عناصر الجيش الموحدي، فتولت هنتاتة ،وتينملل جهة باب دكالة ،وتولت صنهاجة، والعبيد السودان باب الدباغين ،وتولت قبيلة هسكورة وغيرها جهة باب أغمار ، وبهذه الطريقة تم فتح مدينة مراكش في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي (524-558هـ/1129-1162م) [378]، وهكذا نلاحظ براعة الموحدين في التدرج في الخطط العسكرية لتسهيل عملية فتح المدن ،وهذا يعد تطوراً للجيش الموحدي في هذا المجال.

---

374 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 137.
375 - المصدر نفسه ، ص 132.
376 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 67 وما بعدها.
377 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 137.
378 - المصدر نفسه ، ص 138.

ومـــن الخطـــط العسكرية للجيش الموحدي تلك المرتكزة على نصب الكمائن للأعداء والتـــي قـــام فـــيها أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي (524-558هـــ/ 1129-1162م) عـــند حصـــاره لمدينـــة فاس سنة 540 هـــ/1145م ،بقطع مياه النهر التي تمر بالمدينة وحجبها عن طريق وضع الأخشاب والحجارة والطين في مجرى النهر، حتى تجمعت المـــياه وارتفع مستواها ،ومن بعد أطلقت تلك المياه المتجمعة على أسوار المدينة دفعة واحدة، الأمـــر الـــذي تسبب في هدم أسوارها ودورها، وإهلاك عددٍ كبيرٍ من أهلها، وبهذه الطريقة فتحت مدينة فاس [379].

كما تم حصار مدينة مكناسة وفتحها عن طريق خطة عسكرية قائمة على أساس حفر الجـــيش المـــوحدي لخـــندق حـــول أسوار المدينة، الأمر الذي جعل سكانها كأنهم سجناء لا يستطيعون الخروج من المدينة، كما تم إدارة سور حول المدينة وتركوا به أبوابا يدخلون منها لقتال الجيش المرابطي بالمدينة [380].

كمـــا نجد الموحدين لم يستخدموا الخطط العسكرية في حالات حصارهم للأعداء، بل استخدمت الخطط العسكرية كذلك لأبعاد الخطر عليهم، وتمثل ذلك باختلاق الرسائل، ومن ذلك مـــا حدث عند حصار ابن مردنيش لمدينة قرطبة، حيث لم يجد الموحدون طريقة لإبعاده عن المديـــنة، إلا باســـتخدام خطط عسكرية قائمة على أساس اختلاق الرسائل ،ولذا قام والي هذه المدينة وهو أبو زيد عبدالرحمن بن تيجيت بمساعده قاضيه أخيل بن أدريس بكتابه رسالة على لســـان سيدراي بن وزير المقيم بإشبيلية ،ودفعا الرسالة إلى رجل زيات على ثيابه أثر الزيت حتى يظن ابن مردنيش بأنه من أهل إشبيلية[381]، وسار الرجل بالكتاب إلى ابن مردنيش في معسكره وأعطاه اياه وبالطبع كان مكتوبٌ على الكتاب من ابن وزير ... إلخ، والمقصود هنا جعل ابن مردنيش يقلع عن قرطبة ويتجه نحو إشبيلية، لأنه ضامن له دخولها، وحين قرأ ابن مـــردنيش الكـــتاب، أمـــر جيشه بأن يفك الحصار على قرطبة، وذهب إلى إشبيلية،وبقى أمام أبـــوابها ثلاثة أيام فلم يرَ أي بوادر على دخوله إلى هذه المدينة، وبعد فوات الأوان واستدراك الموحدين لمدينتهم قرطبة عرف ابن مردنيش أنها خدعة ورجع خاسراً [382].

379 - ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 189.
380 - مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص 136.
381 - لأن مدينة إشبيلية اشتهرت بكثرة الزيتون واشتهر أهلها بممارسة حرفة عصر الزيتون.
382 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ، ص 67 – 68.

وأخيراً يمكن تناول عملية نصب الكمائن التي استخدمها الجيش الموحدي على ساحة المعـركة والتـي توحي لنا بتطور العقلية العسكرية للقيادة الموحدية، ومنها ما حدث في عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي حيث قام بتشكيل مربع على الأرض من الأجناد، جعـل في أضلاعه الأربعة صفاً من المشاة يحملون بأيديهم القنا الطويلة والطوارق ، وياتي خلفهـم حاملو الدرق والحراب، ويشكلون صفاً ثانياً، وخلف هؤلاء أصحاب المخالي التي يتم تعبئتها بالحجارة، ليقذفوا بها الأعداء، وخلف هؤلاء يوجد الرماة بأقواسهم الفتاكة، وفي وسط هـذا المربع تعسكر الخيل، فإذا هجمت خيل العدو فلا نجد إلا الرماح ،والحراب ،والحجارة، والسـهام وعندما تولى من الهجوم وتدبر تخرج خيل الموحدين من فتحه في المربع، تركوها لها، وتهجم على الأعداء، فإذا كر العدو عليهم رجعت الخيل إلى مكانهم داخل المربع[383].

وهكـذا نلاحظ التطور الذي بلغه الجيش الموحدي في مجال الخطط العسكرية والذي يخـتلف كمـاً وكيفاً عما كان موجوداً لدى الجيش المرابطي ، وبالتأكيد هذا يرجع إلى تطور القيادة العسكرية للجيش الموحدي ، وأخيراً لكي نستكمل النظم العسكرية لدى الجيش الموحدي سوف يتم تناول القواعد العسكريةلاحقا.

4ـ القواعد العسكرية للجيش الموحدي:

بعـد أن توسـعت الدولـة المـوحدية كثرت جيوشها الأمر الذي تطلب إقامة قواعد عسكرية، ولذا جاء اهتمام أمراء الموحدين الكبير بإقامة هذه القواعد وكان ذلك بشكل واضح فـي عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي ، حيث برز الاهتمام بالعديد من المدن المغـربية والأندلسية ذات المواقع الجيدة والتي تصلح إلى أن تكون قاعدة عسكرية، ومن ذلك اختيار قرطبة كقاعدة عسكرية للجيوش في الأندلس [384]، وذلك لتوسطها بلاد الأندلس ،وبناء مدينة بجبل طارق حتى تكون قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش إلى الأندلس ، وتم ذلك في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بن علي [385].

ويـتم فـي القواعد العسكرية بناء قصورها وإعادة عمارتها وإصلاح ثغورها، وذلك بجلـب البنائـين والعـرفاء والفعّلة للقيام بتلك المهام، وكان من أشهر من ساهم في ذلك من

383 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ص 132.
384 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 140.
385 – المصدر نفسه ، ص 84.

البنائين أحمد بن بايسة، حيث أسندت إليه مهمة صيانة وإصلاح بعض القواعد العسكرية [386]، كما تم بعد ذلك جلب الأجناد إليها وإكثار السكان بها، مثل ما تم عند جلب قبائل المغرب [387]، وإسكانها بمدن الأندلس كما تم تجهيزها بالمخازن وشحنها بالمؤن[388]، مثل: القمح،والشعير، والملح، إضافة إلى الأسلحة[389].

وعن طريق هذه السياسة تمكن الموحدون من تأسيس قواعد عسكرية لعساكرهم بالمغرب والأندلس الأمر الذي دعم من قوة الجيش الموحدي، وهكذا لاحظنا الاهتمام الكبير للموحدين بالقواعد العسكرية وإدراكهم للدور الكبير الذي تؤديه للجيش وهذا بدوره انعكس على تطور المؤسسة العسكرية.

386 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 140.
387 - المصدر نفسه ، ص 141.
388 - المصدر نفسه ، ص 134.
389 - المصدر نفسه ، ص 137.

المبحث الخامس: المناصب الإدارية في الجيش الموحدي :

لقـد تعـددت وتنوعت المناصب الإدارية في الجيش الموحدي، ويرجع ذلك إلى تعدد عناصـره وفرقه العسكرية، وبالتالي أدى ذلك إلى تطور الجيش الموحدي، ومن الملاحظ أن مـعظم بعض هذه المناصب لم تنل حظها عند الجيش المرابطي، والتي سوف يتم تحديدها عند الحديث عنها.

1.القيادة العسكرية للجيش:

لقـد تعددت وتنوعت القيادة العسكرية للجيش الموحدي، وجاء تعددها بتعدد العناصر والفـرق العسـكرية فـي الجيش،إضافة إلى أن توسع الدولة الموحدية ساهم في هذا التنوع، وبالتالي انعكس على تطورها، ومن هذه القيادات:

أ- القيادة العامة للجيش:

يتولـى هذه القيادة أمير المؤمنين نفسه، حيث قاد أمراء الموحدين العديد من الجيوش، وخاضـوا بها الحروب في إفريقية والأندلس [390]، وفي بعض الأحيان يكلف أمير المؤمنين أحد الرجال الموثوق بهم لقيادة الجيوش، ونلاحظ في عهد المهدي محمد بن تومرت أنه أسند قيادة الجيش العامة إلى أهل الجماعة [391].

ب.قيادة الولاية:

ونقصـد بهـذا أن قـيادة الجـيش داخل الولاية، كان يتكفل بها الوالي داخل الولاية ويشاركه الطلبة[392] في ذلك[393].

390 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 200 .
391 – البيذق ، المصدر السابق ، ص 98.
-أهل الجماعة هيئة أسسها المهدي محمد بن تومرت ، ولقد تميز أفرادها بالسفرة على القيادة والتضحية وبذل الغالي والرخيص – عز الدين عمر موسى ، الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص 64.
392 – الطلبة : هيئة ابتكرها المهدي محمد بن تومرت ، ومهمتهم دعوة القبائل إلى الدعوة التومرتية ، عز الدين عمر موسى ، المرجع نفسه ، ص 66.
393 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 93.

5ـ صاحب البريد:

كان يسمى صاحب البريد قديماً "الرقاص" [402]، ولقد كانت مهمته حمل جميع الرسائل بمـا يخص أمور الدولة، ومن بعد أصبح هناك بريد يختص بالشؤون العسكرية للدولة، ولقد كان يسند إلى رجال أقوياء يتم تدريبهم على الركض، ويستخدم صاحب البريد الخيل في أداء مهمـته،وكانت لـه محطات ينزل بها وعند هذه المحطات يجد حصاناً بكامل تجهيزاته يركبه لاسـتكمال مهمته، ولقد حدد الموحدون مهام صاحب البريد، وذلك في رسالة لأمير المؤمنين عـبد المؤمن بن علي بهذا الشأن يقول فيها: "... وتخيروا لرسائلكم إرسالا وأنتقوا من أهل المقـدرة على ذلك والثقة رجالاً وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف، وتقطع شـأنهم فـي التكليف والإلحاق وارسموا لهم أياماً معروفة العدد، معلومة الأمد ينتهوا بها إلى مواقـف رسائلهم ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة"[403].

وكـان صاحب البريد يسير ليلاً نهاراً [404]، ويقطع المسافة من المهدية إلى غرناطة فـي أربعـين يـوماً [405]، ولقـد استخدم الموحدون صاحب البريد لطلب النجدة والاستعانة بالجـيوش [406]، ومـن هنا نلاحظ أن منصب صاحب البريد منصباً هامّ جدا داخل الجيش المـوحدي، وذلـك نتـيجة للدور الكبير الذي يقوم به، والدليل على ذلك الاهتمام الكبير الذي أعطاه أمراء الموحدين له، والذي ساهم بدوره في تطوره.

مما سبق دراسته يتضح أن الموحدين قد قاموا بتأسيس جيشا قويا وذلك من خلال ما ورثـوه عن المرابطين ،غير أن هذا لا يعنى بأنه لا يوجد دورا لهم في ذلك،ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية ،التي من خلالها تبرز جوانب التطور بالجيش الموحدى:

1.اعـتماد المـوحدين فـي تأسيس نواة جيشهم علي قبائل المصامدة والتي علي صلة قرابة بهم،والتي رأوا أنها أكثر أمانا من غيرها من قبائل المغرب.

402 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 77
403 – المصدر نفسه ، هامش ص 77
404 – المصدر نفسه ، ص 78
405 – ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج خاص بالموحدين ص42.
406 – بن صاحب الصلاة، المصدر السابق ، ص77.

2.إقامـــة المهـــدى محمد بن تومـــــــرت هيئات من أتباعه ساهمت إلي حد كبير في تنظيم الجيش وتسيير شؤونه.

3.قيام الموحدين بتعيين أدلاء للجيش.

4.إسناد مهام جديدة إلى فرقة العبيد السودان مثل:القيام أ_ بتصفية المارقين.

ب _ استقبال الضيوف.

ج _ ردم خنادق المدن المحاصرة.

5.إدخال عناصر جديدة بالجيش الموحدى مثل عناصر الغز والأندلسيون.

6.إدخال أسلحة جديدة علي الجيش مثل المخالي المملوءة بالحجارة وأسلحة المجانيق.

7.تشكيل فرقة جديدة مثل فرقة الرماة.

8.تعدد وتنوع الرايات التي يحملها الجيش.

9.تطور شكل الطبل الذي يستخدمه الجيش وتنوع المناسبات العسكرية التي يستخدم فيها.

10.تعـــدد وتـــنوع مراســـم الجيش ،بحيث أصبحت له مراسم عند القتال،وأثناء الاحتفالات العسكرية،وأثناء المسير إلى أرض المعركة.

11.إدخال الموحدين نظام التمييز (الاستعراض)علي الجيش.

12.تنوع الخطط العسكرية للجيش،ومن ذلك تصنع الفرار،ونصب الكمائن،واختلاق الرسائل.

13.إقامة الموحدين للعديد من المناصب العسكرية،مثلاً:

أ.القيادة العامة للجيش،والتي في الغالب يكون لأهل الجماعة دورا فيها.

ب.قيادة الولاية،ويكون لهيئة الطلبة دورافيها.

ج.قيادة الوحدات العسكرية،من عناصر وفرق.

د.الكاتب العسكري.

هـــ.صاحب العلامات.

و.صاحب البريد.

الفصل الرابع:تطور الأسطـــول ومنشـــــآتــه الدفـــاعية:

المبحث الأول:تطور الأسطول في دولة الموحدين:

1.نشأة الأسطول الموحدي.

2.القيادة العسكرية للأسطول الموحدي.

3.القواعد العسكرية ودور الصناعة.

4.أنواع السفن في الأسطول الموحدي.

5.النشاط العسكري للأسطول الموحدي.

المبحث الثاني:تطور المنشآت الدفاعية الموحدية.

1.الحصون.

2.الأبراج.

3.الأسوار.

المبحث الأول:تطور الأسطول في دولة الموحدين :

يُعَـدُّ الأسطول عنصرا أساسيا داخل المؤسسة العسكرية في دولة الموحدين، ونتيجة لذلك وبمجرد القضاء على دولة المرابطين حرص أمراء الموحدين على بناء أسطول عسكري لدولـتهم، ولـم يقفوا عند هذا الحد بل قاموا بتطويره،مما جعله يختلف عما كان موجودا عند المـرابطين، وبفضـل هذا الأسطول المتطور تمكن الموحدون من الزحف على بلاد إفريقية والأنـدلس ، ومـن هـنا أصبح يستوجب الأمر علينا دراسة هذا التطور للأسطول من نشأته والقيادة العسكرية به والقواعد العسكرية المكونة له حتى نصل إلى نشاطاته العسكرية.

1. نشأة الأسطول الموحدي:

انحصـر نشاط الموحدين في بداية دعوتهم في الجانب البري، وتمثل ذلك في قتالهم للمـرابطين بواسـطة الجيش، حيث لم يستدع الأمر في تلك الفترة إنشاء أسطول، وحتى بعد سيطرة الموحدين على أملاك المرابطين في السواحل الشمالية للمغرب، لم يتطلب الأمر إنشاء أسـطول للمـوحدين والسـبب فـي ذلك أن المرابطين لم يستخدموا في قتالهم مع الموحدين الأسـاطيل،والمرة الوحـيدة التـي استخدم فيها المرابطون الأسطول،كانت عند محاولة أمير المسـلمين تاشـفين بـن علـي(537-540هـ/1142-1145م) الفـرار مـن قبضة المـوحدين[407]،حـيث جهـز عـدداً مـن السفن لمساعدته على الفرار، وكان ذلك بمرسى وهـران [408].

فعند قضاء الموحدين على المرابطين، أصبح من الضروري أن يرثوا ممتلكاتهم، ومن تلـك الممتلكات، القواعد العسكرية ودور الصناعة والأساطيل المرابطية، كل ذلك ساهم في تشـكيل النواة الأسطول الموحدي، وهذا بالطبع جعل مهمة تطوير الأسطول أمرا سهلاً على المـوحدين، وهـنا نلاحـظ الفرق الشاسع بين تلك الظروف الصعبة التي وجدها المرابطون والمعانـاة التي لقوها في سبيل بناء أساطيل عسكرية لهم إضافة إلى إعادة الحياة إلى القواعد العسكرية ودور الصناعة، وبين تلك الظروف المساعدة للموحدين في بناء وتطوير أساطيلهم، ولعـل هـذه هي أسباب النشاط الكبير الذي قام به أمراء الموحدين المجال البحري سواء في المغرب ،أم في إفريقية ،أم في الأندلس.

---

407 – مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص 132.

408 – وهران: مدينة بالمغرب تقع على ساحل البحر، وهي مدينة كثيرة البساتين والثمار، تكثر بها العيون المائية، ويوجد بها مرسى كبير للسفن، ويحيط بالمدينة سور ترابي ، وتنتشر بها العيون المائية ، ويوجد بها مرسى كبير للسفن، ويحيط بالمدينة سور قرمي، وتكثر بها الأسواق. الحميري،المصدر السابق ، ص 612.

فقد قام أمراء الموحدين ،وعلى رأسهم أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي في المغرب ببناء الأساطيل في نواح مختلفة من سواحل المغرب، ففي المعمورة تم إنشاء أسطول بلغ تعداد سفنه حوالي أربعمائة سفينة، وفي طنجة، وسبته ،وبادس [409]، ومراسي الريف ما يقارب مئة سفينة[410]،وببلاد إفريقية ،ووهران ،ومرسي هنين [411]، حوالي مائة قطعة بحرية.

أمـــا بالنســـبة لإفريقية فلقد ساهمت بشكل كبير في تطوير الأسطول الموحدي، وذلك باســـتيلاء المـــوحدين على عدد كبير من المدن الساحلية هناك، والتي اشتملت على العديد من القواعد البحرية ودور الصناعة، ومن أهمها: مدينة المهدية التي تم طرد نصارى صقلية منها، والاســـتحواذ على ممتلكاتهم من سفن وغيرها، وخاصة بعد إعلان قائد نصارى صقلية هناك انضمامه بأعداد من سفنه وجنوده إلى الموحدين [412]، وهذا بالطبع ساهم في زيادة عدة القوى البحرية الموحدية، إضافة إلى الاستعانة بخبرة نصارى صقلية في مجال الأسطول وتسليحه.

أمـــا عـــن الأنـــدلس فبعد سيطرة الموحدين عليها، فلقد استفادوا منها كثيراً في مجال تطـــور الأســـطول وكـــان ذلـــك بانضمام عناصر أندلسية ذات خبرة طويلة في البحر، إلى المـــوحدين ومـــنهم عدة شخصيات من أسرة بني ميمون، ومن ذلك عـــــلي بن عيسى بن مـــيمون [413]، ولـــب بـــن ميمون [414]، وكذلك استفاد الموحدون من امتلاكهم إلى ما كانت تســـيطر علـــيه أســـرة بني ميمون بالأندلس من قواعد بحرية وذلك بعد ضعف وانهيار دولة المـــرابطين [415]، ومـــن ذلـــك جزيرة قادس[416]، وخصوصا بعد إعلان بني ميمون ولاءهم للموحدين وكان ذلك واضحاً في الرسالة التي بعثها ابن ميمون لأمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي ، والتي جاء فـــــيها: " إن أنت استفتحت المغرب فتجيء إلى المشرق تصيبه مفتوحاً وأنا قائده "[417]، وكذلك نجد أهالي إشبيلية يعلنون ولاءهم وبيعتهم للموحدين ويسلمون لهم مدينتهم [418]، التي تُعد من أهم القواعد البحرية في الأندلس ، وما قام به الموحدون اتجاه هـــذه المدينة هو توظيفها في تطوير أسطولهم الأمر الذي جعلهم يقومون بإنشاء دار لصناعة

---

409 – بادس : مدينة بالمغرب بها أسواق ومزارع ، ومنها تتفرع الطرق إلى بلاد السودان وطرابلس والقيروان وقفصة وهي آخر بلاد الزاب ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 75.
410 – ابن أبي زرع،المصدر السابق ، ص 201.
411 – هنين: مدينة بالمغرب، تقع على البحر، تجاورها من الشمال تلمسان ، وهي بقرب تدرومة، الحميري ، المصدر السابق، ص 597.
412 – البيذق،المصدر السابق ، ص 147
413 – ابن خلدون،المصدر السابق ، ج6، ص 276.
414 – المصدر نفسه ،ج6، ص 287.
415 – المصدر نفسه ،ج6، ص 276.
416 – قادس: جزيرة بالأندلس تكثر بها الأشجار مثل المستورد، الحميري ، المصدر نفسه ، ص 448.
417 – البيذق، المصدر السابق ، ص 106.
418 – ابن عذاري المراكشي،المصدر السابق ، ج3، ص 53.

عـن المـرابطين هـنا أن الموحدين أخذوا الخبرات في مجال قيادة الأساطيل من العناصر الأجنبية، ولقد بدأ يظهر أثر ذلك في عهد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن .

وفـي عهد أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بدأ يظهر تطور علـى القيادة العسكرية للأسطول الموحدي، وتمثل ذلك في سيطرة أشياخ الموحدين على هذا الجانب، وتقليص دور العناصر الأجنبية ، حتى بدأت فيما بعد خالصة بأيدي الموحدين، ومن هـؤلاء الأشياخ محمد بن إبراهيم بن جامع الذي قاد أساطيل الموحدين عند إخماد خطر بني غانـية [433]، وأبو العلي بن جامع ويحي بن الشيخ أبي إبراهيم الهزرجي اللذان قادا أسطول المـوحدين للهجوم على جزيرة ميورقة سنة 583هـ/1187م [434]، ونلاحظ فيما بعد أن دور أشياخ الموحدين بدأ يتضاءل في قيادة الأسطول، والسبب في ذلك سيطرة فئة أكثر قرابة للموحدين من هؤلاء الأشياخ وهم السادة وهو لقب أطلق على بني أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي.

بـدأ في عهد أمير المؤمنين محمد الناصر بن يعقوب المنصور يتضاءل دور الأشياخ ويبرز دور السادة في قيادة الأساطيل الموحدية، فعندما بعث هذا الأمير أسطولاً عسكرياً لغزو إفـريقية ومـيورقة، كان يتولى قيادته عمه السيد أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبدالمؤمن [435]، كمـا تولـى قـيادة أسطول الموحدين الذي نازل الثائر عبدالكريم الركراكي في مدينة المهدية، السيد أبو الحسن بن أبي حفص بن عبدالمؤمن[436]، وفي بعض الأحيان يتم تولية أحد الأشـياخ الموحدين على قيادة الأساطيل، ومن ذلك الشيخ أبا سعيد بن حفص [437]، ويحي بن أبي يحي بن أبي زكريا الهزرجي وعبدالله بن طاع الله الكومي [438].

وهكذا نلاحظ التطور الذي طرأ على قيادة الأسطول عند الموحدين فهي مرت بمراحل تتمشـي مـع بناء الأسطول لتصل إلى فترة تطوره، ونلاحظ أن العقلية الموحدية كانت أكثر تطـوراً من العقلية المرابطية، فالموحدون استغلوا العناصر الأجنبية في الأسطول وهذا الأمر

---

433 - بني غانية : لقد اتفق أنه نشأ بمعض رجالات لمتونة في ملاحاة وقعت بينهم فتشوز أحدهن، وفر القاتل إلى لمصحراء، فغدره يوسف بن تاشفين، واسترجع عليا من مقره لمتين من مقربه وأذكحه بمراة من أهل بيته تسمى غانية بمعهد أهيها إليه، في ذلك قوادت منه محمدا ويحي ونشأ في ظل يوسف بن تاشفين وقد رعى يوسف زمام هذه الأوصر، وعقد ليحي على غرب الأندلس وتازله قرطبة، وعقد لمحمد على الجزر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة ، والتفرض فيما بعد أمر المرابطين ، وفيما بعد شكل بني غانية دولة معارضة للموحدين ، المصدر نفسه، ج6، ص 225.

434 - المصدر نفسه ، ج6 ، ص 292.

435 - الناصري ، المصدر السابق ، ص 217.

436 - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 263.

437 - المصدر نفسه ، ج6 ، ص 262.

438 - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 262.

نفســه عــند المــرابطين، غير أن الموحدين انفردوا بتلك القيادة، وربما هذا جعل الأسطول المــوحدي أكثــر صمودا وتوسعا عما كان في الأسطول المرابطي، وكل ذلك بلا شك راجعٌ للقيادة العسكرية للأسطول.

3. القواعد العسكرية ودور الصناعة:

تمكــن الموحدون من السيطرة على العديد من القواعد العسكرية ودور الصناعة التي ساهمت في بناء وتطور أسطولهم، وكان ذلك في المغرب ،وإفريقية ،والأندلس، والصحيح أن المــوحدين اســتولوا على العديد من سفن الأعداء والتي قد تمكنهم من إنشاء أسطول بسيطٍ، سواء كان ذلك مما استولوا عليه من المرابطين أم نصارى الأندلس [439]، غير أن تلك السفن من المؤكد أنها تحتاج إلى صيانة ،إضافة إلى أن توسع الدولة الموحدية يقابله توسع في سفن الأســطول، وبالطبع هذا لا يتم إلا بالسيطرة على القواعد العسكرية ودور الصناعة وتوظيفها في بناء وتطور الأسطول.

ففي بداية تفكير أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي في غزو الأندلس، أصبح يركــز كــل اهتمامه على بناء الأسطول وتطويره، الأمر الذي جعله يقوم بإعادة إعمار دور الصناعة الموجودة على سواحل بلاد المغرب ، وتحديدا بلاد المعمورة ، ومدينة طنجة [440]، وكــذلك تــم فــي عهد ابنه أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن الاهتمام الواضح بإعادة بناء وصــيانة دار صناعة السفن بمدينة سبته[441]، الأمر الذي جعلها ذات أهمية كبيرة سواء من ناحــية صــناعة السفن أم من ناحية أنها قاعدة عسكرية، وكذلك لقيت كل من بادس ومراسي الــريف وعــددٍ كبيــر من مدن الأندلس اهتماما كبيرا [442]، وليس ذلك فحسب بل لقيت بلاد إفريقية اهتماما كبيراً بقواعد عسكرية ودور الصناعة بها، ففي عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بــن علــي الكومي تم بناء دار لصناعة السفن بالمهدية [443]، كما تم في عهد أمير المؤمنين يعقــوب المنصور بن يوسف الاهتمام بمدينة قابس، وجعل منها قاعدة بحرية وأنشأ فيها دارا لصناعة السفن [444]، وفي الوقت نفسه استغل الموحدون ما وجد بتلك القواعد العسكرية التي

439 – التجاني ، المصدر السابق ، ص 549.
440 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 201.
441 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 458
442 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 201.
443 – البيذق، المصدر السابق ص 154

444 – المصدر نفسه ، ص 157

سيطروا عليها سواء من ناحية الموارد البشرية، أو الموارد الطبيعية اللازمة لصناعة السفن ، وبهـذه الكيفية تمكن الموحدون من بناء أسطول ضخم، ومن بعد قاموا بتطويره حتى أصبح أكثر حداثة مما وجد عند المرابطين، ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الموحدين قد ملكوا قواعد عسـكرية ودور لصناعة السفن، لم يصل إليها المرابطون وخير دليل على ذلك بلاد إفريقية، ويمكـن أن نشـير فـيما يلـي إلى أهم القواعد العسكرية ودور الصناعة التي سيطر عليها الموحدون.

1ـ قصر مصمودة:

وهو حصن كبير يقع على البحر بالمغرب بينه وبين مدينة سبته اثنا عشر ميلاً ،ويتم فيها صناعة السفن التي جزء منها يستخدم لنقل الجند والبضائع إلى الأندلس، وهو على رأس المجاز ،والأقرب إلى ديار الأندلس والمسافة التي بينه وبين طنجة عشرون ميلاً [445]، ولقد تم تأسـيس هـذا القصر في عهد ولاية طارق بن زياد وذلك عندما أسسه أمير قبيلة مصمودة ، ويسمى أحياناً القصر الصغير [446].

2- طنجة:

وهي مدينة بالمغرب الأقصى تقع على سفح جبل ،ومنها يتم صناعة المراكب ويوجد بها مرسى تقلع منه السفن وترجع إليه [447].

3- المهدية:

وهـي مدينة ببلاد إفريقية يحيط بها الماء من ثلاث جهات، تأتيها السفن التجارية من بلاد المشرق ،والمغرب، والأندلس ،وبلاد الروم [448].

4- بجاية :

مدينة بالمغرب الأوسط يتم بها إنشاء الأساطيل والمراكب والسفن الحربية ولقد كانت تتوفـر بها الأخشاب في جبالها وأوديتها ،والتي يتم بواسطتها صناعة السفن وكذلك يوجد بها زفت بالغ الجودة والقطران ويكثر بها معدن الحديد [449].

5- طرطوشة :

---

445 - الحميري، المصدر السابق ، ص 476.
446 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ،هامش بكتاب المن بالإمامة ، ص 182.
447 - الأدريسي،الشريف أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز،نزهة المشتاق في أختراق الأفاق،حققه وقدم له وعلق عليه محمد حاجي صادق ، ص 183.
448 - المصدر نفسه ، ص 143.
449 - الأدريسي، المصدر السابق ، ص 116.

5- طرطوشة :

من مدن الأندلس تقع على سفح جبل ، ولقد امتازت بإنشاء المراكب من تلك الأخشاب التي يتم جلبها من جبالها، حيث يوجد بجبالها أشجار الصنوبر ذات الأخشاب الطويلة والغليظة ذات الجودة العالية، وهي أخشاب ذات لون أحمر لا تتأثر بالتسوس الذي يؤثر في غيرها من الأخشاب، كذلك يوجد بها شجر البقس ذو الأخشاب الجيدة، ولقد أنشأ عبدالرحمن الداخل –أحد أمراء الأندلس دارالصناعة بها وكان ذلـــــك فترة خلافته (138-172هـ/755-788 م) ولقد تكونت بها أبواب صنعت من الحديد وقلعة محصنة[450]، ومن المؤكد أن الموحدين قد اهتموا بدار الصناعة وبهذه المدينة، وقاموا باستخدام الأخشاب في صناعة السفن.

6- المرية:

يـــوجد بها حصن وسور وهي من مدن الأندلس، ولقد تم الاهتمام بها منذ أيام الأمير الناصـــر لـــدين الله عبدالـــرحمن بن محمد (344هـــ/955م)، ولقد اتخذت كرباط ومحرس لمـــوقعها علـــى البحـــر، ولهـــا مرسى ذو موقع جيد ،وكثرت بها الأبواب التي تقع في عدة اتجاهات [451]، ولقد استخدمها الموحدون كقاعدة للأساطيل الحربية الخاصة بهم.

7- الجزيرة الخضراء:

وهـــي تقـــع على البحر المتوسط، ولقد استخدمت لموقعها هذا كقاعدة بحرية منذ أيام أميـــر المؤمنين عبدالرحمن بن محمد حيث أقام بها دار صناعة للأساطيل ، ولقد جمعت هذه الجزيـــرة بين البحر وبر الأندلس، والمغرب، ويوجد بها مرسى جيد من ناحية الجسور وتقع فـــي محاذاة مرسى سبته [452]، ولقد استفاد الموحدون من هذه الجزيرة في عملياتهم الحربية تجاه الأندلس .

8- شريش:

مدينة بالأندلس تقع على البحر وهي تُعَدُّ من الأربطة الموجودة في الأندلس وهي غنية بأشجار الكروم وشجر الزيتون والتين [453].

9- إشبيلية:

مدينة بالأندلس ، وهي أهم القواعد العسكرية الموجودة هناك، تمتاز بأسوارها العالية وهي تقع على نهر الوادي الكبير [454].

---

450 – المعجبي ، المصدر السابق ، ص 391.
451 – المصدر نفسه ، ص 537 وما بعدها.
452 – المصدر نفسه ، ص 223.
453 – المعجبي ، المصدر السابق، ص 340.

454 – المصدر نفسه ، ص 58.

10- مالقة:

مدينة بالأندلس على ساحل البحر، ويحيط بها سور حصين[455].

11- المرية:

مدينة بالأندلس تقع على البحر اتخذها العرب مرابطاً ،وانبثقت بها محارس وهي من أشـــهر مراســـي الأنـــدلس وأعمرها ويحيط بها سور حصين وتقصدها المراكب القادمة من الإسكندرية والشام [456].

12- شلب:

مديـــنة بالأنـــدلس وهي تمثل قاعدة عسكرية لإقليم أكشونية ويحيط بها سور حصين، ويـــوجد بهـــا مرسى للسفن بالوادي، كما يوجد بها دور لصناعة السفن، وتكثر بها الأشجار اللازمة لصناعة السفن [457].

13- بطليوس:

مديـــنة بالأنـــدلس تقع على نهرها الكبير الذي يوجد به، لها مرسى كبير للسفن وهي على مقربة من إشبيلية[458].

14- شلطيش:

وهي جزيرة بالأندلس لا سور لها وهي عبارة عن بنيان متصل ببعضه البعض وتوجد بها دار لصناعة الحديد الذي عجز عن صناعته أهل البلاد ، وهي صنعة المراسي التي ترسى بها السفن، وهي تمثل كذلك مرفأ للسفن ، وهي كثيرة السفن وبها دار صناعة لإنشائها [459].

15- شنتمرية:

وهـــي مديـــنة بالأندلس توجد بها دار لصناعة السفن والأساطيل وتقع بجوارها جزر تكثر بها أشجار الصنوبر التي تتقدم في صناعة السفن [460].

وهكذا نلاحظ أن الموحدين قد سيطروا على العديد من القواعد العسكرية، في مراكز مخـــتلفة من المغرب وإفريقية والأندلس مما أكسب النشاط العسكري البحري للموحدين أهمية كبيرة، وجعل الأسطول الموحدي أكثر هيبة ونفوذاً في حوض البحر الأبيض المتوسط، كما أن

---

455 - العبوري المصدر السابق ، ص 517.
456 - المصدر نفسه ، ص 338
457 - المصدر نفسه ، ص 342.
458 - المصدر السابق ، ص 93.
459 - المصدر نفسه ، ص 343.

460 - المصدر نفسه ، ص 347.

تلـك القواعد العسكرية تميزت بمواردها الطبيعية من أخشاب ،ومعادن وقطران ،الأمر الذي ســاهم في تسهيل مهمة صناعة السفن على الموحدين، إضافة إلى ذلك وجود الموارد البشرية ذات الــباع الطويل في مجال صناعة السفن وقيادة الأساطيل، كل ذلك أدي إلى بناء الأسطول المــوحدي بناءً جيدا، وليس هذا فحسب بل ساهم في تطوره حتى فاق ما وجد عند المرابطين وأصبح يضاهي أساطيل النصارى في الأندلس ولكي تصبح الفكرة أكثر وضوحا يتطلب الأمر دراسة أنواع السفن التي تكون منها الأسطول الموحدي لاحقا.

4. أنـواع الـسفن في الأسطول المـوحدي:

بتوسع الموحدين في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس سيطروا على العديد من القواعد العسكرية البحرية ودور الصناعة ،وكل ذلك ساهم في بناء وتطور الأسطول الموحدي الأمر الــذي جعله يتميز بتعدد وتنوع السفن، ومن ذلك الشواني [461]، والطرائد والمسطحات [462]، والغراب [463]، والرعدات [464]، ومن هنا استوجب الأمر إعطاء فكرة عن أنواع هذه السفن ومهامها وذلك فيما يلي :

1ـــ الشــواني: تميزت بطولها وتجديفها بحوالي أربعين مجدافا ولقد تم تزويدها بأبراج وقــلاع للدفاع والهجوم فلقد كانت ترمي العدو بالنفط وتحطم السفن، وكان يتولى إدارتها ثــلاث مجمــوعات وهي مجموعة التجديف ،ومجموعة القتال ،ومجموعة الإشراف على الأمور العامة، ولقد كان بهذه السفن مخازن للمؤن من القمح والماء [465].

2- الطرائد :مفردها طريدة، وهي سفينة مفتوحة من الظهر لسهولة شحنها ولقد كانت تستخدم لنقل الخيول والآلات الحربية والفرسان [466].

3- المســطحات: مفردها مسطح، وهي سفن تمتاز بحجمها الكبير واتساعها [467]، وتستخدم لإنقاذ ركاب المراكب التي يصيبها العدو من الغرق [468].

461 - الناصري ، المصدر السابق ، ص 137.
462 - ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 221.
463 - البيذق، المصدر السابق ، ص 181.
464 - ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 252.
465 - درويش النخيلي ، المرجع السابق، ص 83.
466 - المرجع نفسه ، ص 89
467 - القلقشندي،المصدر السابق ،ج5 ، ص 523.
468 - النخيلي ، المرجع السابق ، ص 141 - 142.

4-الغراب :ومنها أخذت هذه التسمية ويبلغ عدد مجاديفها مائة وثمانون مجدافا وهي ذات هيبة وقوة في الحرب [469].

5-الحربيات :وهي نوع من الشواني ولكنها أصغر حجماً وأخف حركة وأسرع لحاقا بالعدو [470].

6-البطس :جمع بطسه، وهي سفينة حربية كبيرة مخصصة لنقل الجنود والمؤن والمجانيق وهي تشتمل على عدة طوابق كل طابق تسكنه فئة من الجنود، ويتم فرش هذه الطوابق بالبسط[471].

7-الفلوكة:جمع فلائك ،وهي سفن صغيرة تتحرك بالمجاديف وتستعمل لنقل الأشخاص وتعد من توابع الأسطول [472].

8-العكيري:مركب يشبه الغراب من حيث الشكل ولكنه أوسع منه يسيره ستون جدافاً وهو عادة من دون سطح وسقف أثناء المشاركة في الحرب [473].

وهكذا يمكن القول بأن هذه أهم أنواع السفن التي اشتمل عليها الأسطول الموحدي ، ولقد تميزت هذه السفن بتنوعها إضافة إلى قوتها التي انعكست بدورها على الأسطول الموحدي بشكل عام، ومن الملاحظ أن بداية الدولة الموحدية وقبل توسعها اشتملت على أنواع قليلة من هذه السفن وبعد توسع الدولة أدى الأمر بالموحدين إلى اقتباس أنواع عديدة من السفن من سكان البلاد المفتوحة والتي تم السيطرة عليها، مع إحداث تطويرات عليها ، ولو كان ذلك بشكل بسيط.

469 - إبراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص 84.
470 - الدخيلي ، المرجع السابق ، ص 37-38.
471 - العدوي ، المرجع السابق ، ص 154.
472 - عبدالفتاح عياده ، المرجع السابق، ص 7.
473 - ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي، رحلة ابن بطوطة، تحقيق ونشر على المنتصر الكتاني، جزءان، بيروت، 1979م، ص 369.

5- النشاط العسكري للأسطول الموحدي:

لعب الأسطول دوراً مهماً في دولة الموحدين، فلقد شكل دعامة للجيش الموحدي وذلك لمساهمته في عمليات توسع الموحدين في إفريقية والمغرب والأندلس وفي جزر ميورقة ومنورقة، فقد تم استخدام الأسطول الموحدي لنقل الجند[474]، والعدد والآلات الحربية إلى أراضي المعارك وخصوصاً تلك التي تقع على الساحل، وكذلك استخدم الأسطول لنقل الأخشاب [475] اللازمة لصناعة السفن وغيرها ، والتي يتم جلبها من مدن الأندلس وغيرها، والتي يتم نقلها إلى دور الصناعة.

إضافة إلى ذلك قام الأسطول الموحدي بعمليات حربية في سواحل المغرب والتي يصعب على الموحدين اقتحامها براً لحصانتها ومنها مدينة سبته التي كان يعسكر بها أبي يحي الصحراوي ولقد تم محاصرتها من قبل الأسطول الموحدي بقيادة القائد يحي عيسى الموحدي ، حيث تم إجبار أبو يحي الصحراوي على الاستسلام [476].

وعندما قويت دولة الموحدين واتجهت إلى التوسع في منطقة شرق المغرب وإفريقية تم تجهيز أسطول بحري ، واستمرت الحملات البحرية على بلاد إفريقية حيث قام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الكومي بحصار مدينة المهدية براً وبحراً ولقد بلغ عدد سفن أسطوله سبعين سفينة [477]، وفي هذه الأثناء كان يسيطر على المهدية نصارى صقلية ، ولقد تمكن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي من الحيلولة دون تقديم الصقليين في صقلية المساعدات إلى أنصارهم في المهدية، وعلى الفور استولى الموحدون على ثمان سفن من أسطول نصارى صقلية وتمت هزيمتهم، وأخيراً تم استسلام المهدية وذلك في سنة 555هـ/ 1160م [478]،وحتى بعد سيطرة الموحدين عليها ظلت تظهر بها الحركات المناوئة للموحدين، ففي عهد أمير المؤمنين محمد الناصر بن يعقوب ظهرت بهذه المدينة ثورة عبدالكريم الركراكي سنة 596هـ/1199م الذي أراد الانفصال بالمهدية عن جسم الدولة الموحدية وبالتالي قام أمير المؤمنين بإرسال أسطول لمحاصرة هذا الثائر ولقد تولى قيادته عمه أبو العلاء والسيد أبو الحسن بن أبي حفص بن عبدالمؤمن ، ولقد قام الأسطول بمنازلة

474 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 185.

475 - المصدر نفسه ، ص 385.
476 - البيذق، المصدر السابق ، ص 123.
477 - التجاني ، المصدر السابق، ص 347.
478 - المصدر نفسه ، ص 349.

محمد بن عبدالكريم الركراكي [479]، وتمكن من هزيمته ،ونلاحظ كذلك عند ظهور خطر بني غانية أشياخ المرابطين واستيلائهم على إفريقية سنة 599هـ/1202م أصبحوا يشكلون خطراً على الموحدين، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين محمد الناصر بن يعقوب ومن هنا قام أمير المؤمنين بإرسال أسطول بقيادة أبي يحي بن زكريا الهزرجي سنة 601هـ/1204م ولقد تمكن الموحدون بعد الوصول إلى إفريقية من القضاء على أتباع بني غانية ودخول إفريقية حيث نُصب عليها ابن يغمور الهرغي كوالي موحدي [480].

وأما بالنسبة للأندلس فلقد قام أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي بإنشاء الأساطيل وكان ذلك عند تفكيره في غزوها [481]، فلقد انطلقت أساطيل الموحدين وبدأت بالسيطرة على المدن الأندلسية وكان من ضمن المدن التي تم محاصرتها بحراً والاستيلاء عليها مدينة أشبيلية [482]، وكذلك تم السيطرة على مدينة برشلونة وذلك عند ظهور ثورة ابن مقدام بتلك المدينة حيث تم القضاء عليها [483]، وكذلك تم السيطرة على مدينة أشبونة سنة 575هـ/1179م، بذلك الأسطول الذي بعثه أمير المؤمنين يوسف بن عبدالمؤمن بن علي بقيادة غانم بن محمد بن مردنيش [484].

ولقد تمكن الموحدون بواسطة أسطولهم من السيطرة على الأندلس واتجهت توسعاتهم إلى الجزر المجاورة للأندلس، فلقد بعث إليها أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي ، حيث بعث لها أسطولاً تمكن من اقتحامها[485]، ولقد كان يسيطر على جزيرة ميورقة بن غانية وأخيراً تم الاستيلاء عليها سنة 599هـ/1202م [486].

واستمرت نشاطات أسطول الموحدين حتى خارج حدود الدولة نتيجة لشهرته الحربية، فلقد بعث الأمير صلاح الدين الأيوبي سنة (585هـ/1189م) طلب المساعدة من أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي نتيجة تهديد الفرنجة لسواحل بلاد الشام وثغورها ويقال: "أنه لم يلب الطلب لعدم مخاطبته باسم أمير المؤمنين بل قال أمير المسلمين، ويقال إنه بعث إليه مؤخراً مائة وثمانين مركباً ومنع النصارى من سواحل

479 - ابن خلدون ، المصدر السابق،ج6 ، ص 134.
480 - المصدر نفسه،ج6 ، ص 293-294.
481 - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 139.
482 - ابن خلدون ، المصدر نفسه ،ج6، ص 277.
483 - البيذق ، المصدر السابق، ص 163.
484 - الناصري ، المصدر نفسه ، ص 152.
485 - المصدر نفسه ، ص 217 .
486 - المراكشي ، المصدر السابق، ص 260.

الشام" [487]، ولا شك أن استنجاد الأمير صلاح الدين الأيوبي بالأسطول الموحدي جاء نتيجة لشهرته التي انتشرت في الآفاق

487 - الناصري ، المصدر السابق، ص 183.

المبحث الثاني:تطور المنشآت الدفاعية الموحدية:

تشتمل المنشات الدفاعية، على الحصون ،والأبراج، والأسوار، وقد اهتم بها الموحدون كاهـتمامهم بالجيش، والأسطول، وكان ذلك منذ بداية الدعوة الموحدية، وما شجعهم على ذلك أن قـبائل المصـامدة وهـم مؤسسـو الدولة الموحدية قد أبدعوا في مجال المنشآت الدفاعية وخصوصاً الحصون، وكان ذلك واضحاً في ما بنوه في موطن سكنهم بجبل درن، قبل ظهور الدعـوة المـوحدية [488]، ولعل سبب اهتمام الموحدين بهذا الجانب هو حرصهم على توفير الأمـن لدولـتهم الناشئة من خطر الأعداء، وخصوصاً المرابطين ،ونصارى الأندلس، وهكذا سوف يتم تناول عناصر المنشآت الدفاعية وأوجه التطور فيها عند الموحدين فيما يلي:

1. الحصون:

سـيطر الموحدون على عددٍ كبيرٍ من الحصون والقلاع المرابطية في المغرب [489]، وبالتالـي أفاد الموحدون من هذه الحصون في توفير الأمن لدولتهم كما أخذوا عن المرابطين أسلوبهم في بناء الحصون ، وسعوا إلى إحداث تطويرات عليه ، كما قاموا ببناء عددٍ اخر من الحصون وفقاً لمتطلبات دولتهم.

ففـي عهد المهدي بن تومرت تم بناء العديد من الحصون ومنها ذلك الحصن الكبير والمنيع المسمى حصن تينملل، ولقد كان هذا الحصن بجبل درن ،منيع وصعب المرتقى، ولقد قام المهدي بن تومرت بإعادة ترميمه وتحصينه، وجعل فيه مخازن أمواله [490]، ومن المؤكد أنه بنى هذا الحصن لاتقاء خطر دولة المرابطين وخطر القبائل المعارضة لدعوة الموحدين في المغرب.

وهكـذا نلاحـظ أن أمراء الموحدين بعد وفاة المهدي بن تومرت (515-524هـ/ 1121-1129م) يسـتمرون في بناء الحصون داخل حدود دولتهم ، فلقد قاموا ببناء العديد مـن الحصون سواء في بلاد المغرب أم في إفريقية أم في الأندلس ، ولعل السبب هو اتساع حـدود الدولـة وتعدد الثغور المطلة على الأعداء، إضافة إلى كثرة الأخطار التي بدأت تهدد دولتهم، ومن تلك الحصون ما بنى في عهد أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي (524

488 - ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص 264.
489 - البيذق ، المصدر السابق، ص 171.
490 - الحميري ، المصدر السابق، ص 128.

-558هـ/1129-1162م)، والتي بفضلها تم تحصين بلاد المغرب وأهمها: حصن جبل الفتح[491]، الذي أختط أساساته بيده، وأشرف على بنائه السيد أبو سعيد عثمان بن عبدالمؤمن بن علي الكومي، صاحب غرناطة، وتساعده في ذلك هيئة الطلبة الموحدون، والشيخ أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، وأبو إسحاق براز بن محمد ،والحاج يعيش المالقي، ألمع وأشهر المهندسين في الأندلس في ذلك الوقت، إضافة إلى هؤلاء تم جلب عددٍ من المهندسين والبنائين ومختلف المتخصصين في مهن البناء في الأندلس [492]، وهنا تبرز لنا استفادة الموحدين من الخبرات الأندلسية في التطور بناء الحصون عندهم، ومن الحصون كذلك حصن تازا[493]، ومن المؤكد أنه قد استخدمت فيه نفس تلك المواصفات والخبرات التي استخدمت في بناء حصن جبل الفتح، أما الأندلس فلقد نالت نصيبها من بناء الحصون في عهد أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي حيث استكثر من الحصون والقلاع بها وخصوصا على تلك الحدود المجاورة للأعداء ، ومنها ما قام به في مدينة شلب [494]، وحصن طبيرة [495]، ومدينة طليطلة [496]، وقلمرية [497]، وقلعة رباح [498]، ونفس الاهتمام لقيته إفريقية، حيث تم بناء عدة حصون وقلاع بها ، ومن ذلك تلك الحصون التي بنيت في قابس [499]، وطرابلس[500].

ولقد نهج أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن سياسة أبيه في عملية بناء الحصون ، حيث قام ببناء حصن على البحر في مدينة سلا [501]، وحصن زكندر [502]، وكذلك قام باختطاط مدينة الرباط وحصن بداخلها ، غير أن وفاته حالت دون بنائهما [503]،وكان ذلك في

---

491 – جبل الفتح : يقع بالمغرب عند الجزيرة الخضراء ويوجد بهذا الجبل مرسى للسفن تهب عليه الرياح من كل مكان . المراكشي،المصدر السابق ، ص 179.

492 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 85 وما بعدها .

493 – جبل تازا: تازا جزء من بلاد المغرب ، وأول بلاد تازا حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول ، وفي العرض البلاد الساحلية ، مالقة وهران ومليلة وغيرها، ولقد بني بها بلاد الرباط ، وهي منطقة جبلية . الحميري ، المصدر السابق، ص 128.

494 – شلب: من بلاد الأندلس ، وهي ذات سور ومحصنة، تبعد على مدينة بطليوس ثلاث مراحل وتبعد على مارتلة أربعة أيام ، وفي سنة 585هـ دخلها ابن الريق حتى وصل الأمر أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فجهز جيشا وأسطولاً ضخماً وكان ذلك 587هـ حيث تمكن من السيطرة عليها . المصدر السابق، ص 342.

495 – طبيرة: تقع على شمالي البحر المتوسط في الشرق الجنوبي لمدينة شلب ، هامش كتاب المن بالإمامة، المصدر السابق، ص 283.

496 – طليطلة: من مدن الأندلس وتعتبر مركز الأندلس وهي مدينة حصينة وذات أسوار وحصون وقلاع، وتقع على ضفة النهر الكبير . الحميري ، المصدر السابق، ص 393

497 – قلمرية: من مدن الأندلس تقع على جبل ممتنع وهي ذات حصن وأسوار، وبينها وبين شنتبرين ثلاث مراحل وبينها وبين البحر نحو عشر ميلا . المصدر نفسه ، ص 470.

498 – قلعة رباح : وهي من الأندلس من عمل جيان ، تقع بين قرطبة وطليطلة وهي مدينة لها حصن على نهر آنه، أحدثت في عهد بني أمية، ثم استولى عليها النصارى وسيطر عليها الموحدون بعد موقعة الأرك . المصدر نفسه ، ص 469.

499 – قابس: من مدن إفريقية ، تبعد على القيروان أربع مراحل وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام ، وهي مدينة بحرية صخرية ملكها الموحدون وحكموا أهلها . المصدر نفسه ، ص 450.

500 – طرابلس: وهي من مدن إفريقية ، وهي مدينة قديمة ذات أسوار وحصون استولى عليها الصقليون سنة 540هـ ثم استرجعها المسلمون وحكمها قراقوش الغزي سنة 580هـ ثم دخل في طاعة المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي . المصدر نفسه ، ص 389.

501 – سلا: تقع في بلاد المغرب وهي مدينة حصينة ولقد اهتم بها أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الموحدي . المصدر نفسه ، ص 319.

502 – زكندر : قرية صغيرة في إقليم ورزازات ، وهي مدينة مزدهرة في القديم متركزية على المعدن والفضة . هامش روض القرطاس ، المصدر السابق، ص 212.

503 – المراكشي ، المصدر السابق، ص 222 .

المغـــرب، أما الأندلس فلقد بنى بها العديد من الحصون والقلاع على امتداد المناطق الثغورية لبلاد النصارى في الأندلس [504].

وأما في عهد أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوســـــــــف ، فلقد تم بناء العديد من الحصون وخصوصاً على المناطق الثغورية، ومن تلك الحصون حصن الفرج، والذي تم بـــنائه علـــى وادي مديـــنة إشـــبيلية[505]، كما تم في عهده استكمال بناء مدينة الـــــــرباط وتحصينها [506].

وأما في عهد أمير المؤمنين محمد الناصر (595-610هـ/1198-1213م)، فلقد اســـتمرت عملية التحصينات سواء في بلاد المغرب أم في إفريقية أم في الأندلس، وأبرز تلك التحصينات ما قام به في بناء مدينة فاس وتحصينها [507].

وهكذا نلاحظ أن الموحدين اهتموا بعملية بناء الحصون واتبعوا في ذلك شروط الأمن والســـلامة، ومن إقامة تلك الحصون على مناطق جبلية و على الأنهار والأودية، إضافة إلى اســـتخدام المواد الجيدة في البناء من حجارة وأخشاب وغيرها، كما استخدموا في ذلك خبرات أمهـــر المهندسين والبنائين في عهدهم، وما يميز الموحدين عن المرابطين في هذا المجال ،أن المـــوحدين أشـــرفوا علـــى بناء الحصون عن طريق هيئات عليا تمثلت في السادة والأشياخ الموحدين، والطلبة الموحدين ، وبالتالي فإن الحصون لقيت اهتماماً كبيراً من الموحدين بحيث شكلت عنصراً هاماً من المنشآت الدفاعية، ولكي نستكمل الحديث عن المنشآت الدفاعية، يقودنا ذلك إلى دراسة الأبراج التي تميزت بانتشارها داخل الدولة الموحدية.

2. الأبـــراج:

نالـــت الأبراج اهتماماً كبيراً من الموحدين بعكس ما نالته عند المرابطين، وربما هذا يرجع إلى تيقن الموحدين من الدور العسكري الهام للأبراج، وهذا في حد ذاته يعد تطوراً في هـــذا الجانب، فقد أقيمت الأبراج عند الموحدين في نقاط حراسة تقع فوق الأسوار والحصون

504 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 167.

505 – المراكشي ، المصدر السابق، ص 241.
506 – المصدر نفسه ، ص 222 .
507 – الناصري ، المصدر السابق، ص 214.

داخـــل المـــدن، والهدف منها رصد خطر العدو المفاجئ، ولقد بدأ بناء الموحدين للأبراج منذ بدايـــة أمرهم، أي منذ عهد المهدي بن تومرت حيث قام ببناء عدد من الأبراج ومن ذلك برج تـــيظـــــــــــاف [508]، الذي بناهُ بتينملل مركز الدعوة الموحدية، ولقد نهج أمراء الموحدين نفس هذه السياسة، حيث أقيمت العديد من الأبراج بنواحي تونس ومن أبرزها ما تم بناؤه في عهد أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي حيث يوضع فوق هذه الأبراج جنود يتناوبون الحراســـة وخصوصاً في الليل، ويحمل الواحد منهم طبلاً لاستعماله في الإنذار بخطر العدو، ولقـــد كـــان ذلك واضحاً في عهد المهدي بن تومرت عندما كلف عبدالسلام أغى بالحراسة على برج تيظاف ،حيث حمل هذا الشخص طبلاً [509].

ولقد تميزت الأبراج الموحدية بتنوعها ويمكن هنا تناول أهم هذه الأنواع وذلك استناداً إلى تصنيف الـــمؤرخ(liobold plpess) ليوبولد بالباس [510] لها ،والتي منها:

1- **الأبراج البرانية:** وهي تقع خارج الأسوار، وهي ذات صفات أندلسية خالصة وتصل هذه الأبراج بأسوار المدينة عن طريق **رانية** ممرات تمتد على جدران، والمقصود من بنائها هو حماية نقاط الضعف ومواطن الهجوم في الأسوار.

2-**الأبراج المضلعة:** لقد غلبت هذه على أغلب أسوار مباني الدولة الموحدية[511].

ومـــن هـــنا نجد أن الموحدين قد اهتموا ببناء الأبراج للدور الكبير الذي تؤديه، وهذه الأبراج التي غلب عليها التمازج بين الفن المغربي والأندلسي، وبالتالي مثل هذا التطور على الأبـــراج لا نلاحظه عند المرابطين ، فالموحدون كانوا سباقين إلى الاهتمام ببناء الأبراج في بـــلاد المغـــرب ، ويرجع الفضل إليهم في إدخال فن بناء الأبراج المتبع في الأندلس ، ولكي نستوفي الحديث عن الأبراج سوف يتم تناول الأسوار في العنصر التالي.

3. الأسوار:

تُعَـــدُّ الأســـوار عنصراً هاماً في المنشآت الدفاعية في العهد الموحدي، ولقد اهتم بها جمـــيع أمراء الموحدين، وذلك منذ بداية الدعوة الموحدية، ولعل السبب في ذلك أن الموحدين رأوا أنها الوسيلة لصد الأخطار الخارجية

508 - برج تيظاف : بالسان المغربي يعني الحرس ، فيكون بمعنى برج المراقبة أو الحراسة، ليبدق ، المصدر السابق، ص 75.
509 - ليبدق ، المصدر نفسه ، ص 75.
510 - liobold plpess ليوبولد بالباس،الفن المرابطي والموحدي،ترجمة د.سعد غازي،منشأة المعارف،الأسكندرية،1976م، ص 76.
511 - المرجع السابق ، ص73.

فلقـد قـام المهدي محمد بن تومرت ببناء العديد من الأسوار كان أهمها ذلك السور الـذي بناه حول المدينة التي يقع بها حصن تينملل حيث استدار بها السور من جميع الجهات، وأصـبح من الصعب الوصول إلى هذه المدينة إلا من طريقين أحدهما شرقي والثاني غربي، وهـذان الطـريقان ضيقان ، الأمر الذي يستحيل فيه على فارسين عبورهما جنباً إلى جنب، وذلـك خـوفاً من السقوط من أعلى الجبل، ولقد صُنع الطريقان في نفس الجبل، وكانت بهما مواضـع مصنوعة من الخشب إذا أزيلت منها خشبة واحدة أصبح المرور عليها صعباً، ولقد كان طول هذان الطريقان مسافة سير يوم[512]، ونلاحظ هنا دقة التحصين الجيد لهذه المدينة، والـذي جاء للتمازج بين الطريقين والأسوار والحصن ، ولعل سبب التحصين هنا هو تلافي خطر المرابطين الذي ما زال في أوج قوته،و بعد وفاة المهدي بن تومرت تولى أمر الموحدين أميـر المؤمنين عبدالمؤمن بن علي الكومي وفي بداية عهده لم يواجه أخطاراً كبيرة ،والخطر الوحـيد الـذي هـدد دولته في ذلك الوقت هو الخطر المرابطي، غير أن هذا الخطر بدأ في الضـعف والتلاشـي، وربمـا هذا ما جعله لا يعير اهتمام لبناء الأسوار حيث عَدَّ السيوف والعـدل هـي أسـوار الموحدين [513]، أما بعد اتساع حدود دولته تعددت مع ذلك الأخطار المحدقة بدولته، ومن هنا اتجه إلى عملية التحصين وبناء الأسوار، ومن ذلك بناء سور حول مدينة تاجرة بتلمسان [514]، كما قام ببناء سور حول معسكره الذي جهزه لحصار المهدية وذلك عـند مضـايقة النصـارى له [515]، وبعد فتح المهدية سنة 555هـ/ 1160م قام بإصلاح أسوارها وإعادة تحصينها[516].

أما في عهد ابنه يوسف بن عبد المؤمن بن علي فلقد تم تحصين العديد من المدن في المغـرب والأندلس، ففي بلاد المغرب كان أهم الأسوار التي بنيت في عهده، تلك التي أقيمت في إقليم تلمسان، حيث قام بتعميرها وشيد بنيانها وأدار الأسوار حولها [517]، أما في الأندلس فلقـد بنـيت العديد من الأسوار حول المدن، ومنها ما تم في مدينة أشبيلية، وبطليموس [518]، ووبذة[519]، وبالطبع يتم ذلك كحماية دولته من خطر النصارى[520].

512 – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 112.
513 – ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 189.
514 – المصدر نفسه ، ص 189.
515 – التجاني ، المصدر السابق، ص 348.
516 – الزركشي ،أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تونس،1289هـ ، ص 11.
517 – ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 92.
518 – بطليموس: مدينة بالأندلس أقليم ماورة يوجد بها حصن بناه عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجيقي ، الحميري ، المصدر السابق، ص 93.
519 – وبذة : مدينة بالأندلس وهي حصن على وادي مقرية قيش ، المصدر نفسه ، ص 67.
520 – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 167.

أمـــا فـــي عهد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمـــــن فلم يكن اهتمامه ببناء الأســـوار أقـــل مـــن ســـابقيه من أمراء الموحدين، فلقد قام ببناء مدينة الرباط وأدار حولها الأســـوار [521]، كما أنه فكر في ترميم أسوار مدينة فاس لولا أن وفاته حالت دون ذلك، وفي الأنـــدلس نلاحـــظ استمراره في سياسته في بناء الأسوار وخصوصاً على تلك المدن التي تقع علـــى الـــثغور بمـــا فيها الأندلس وإفريقية ، ويكون ذلك بتشييد الأسوار لتوفير الحماية لهذه الثغـــــور [522]، ولعل هذا ما جعل أمير المؤمنين محمد الناصر بن يعقوب يقوم بإعادة بناء فاس كما قام باستكمال بناء أسوارها [523]، كما قام بإعادة إصلاح أسوار مدينة المهدية بعد أن وصلها الدمار [524].

وكـــل ما سبق ذكره يجعلنا على قناعة بأن أغلب المدن داخل الدولة الموحدية أديرت حولها الأسوار مما أعطاها طابعاً عسكريا دفاعياً، وفر لها الحماية والأمن، وبالطبع هذا دليل واضح على التطور الذي بلغه الموحدون في مجال بناء الأسوار.

4. المواد المستخدمة في البناء:

اســـتخدم المـــوحدون العديـــد من المواد في البناء والتي تم أخذها من البيئة المغربية والأندلســـية ، ومـــنها الجير والرمل والحصى، ويتم نقل هذه المواد لمواقع البناء عن طريق الدواب التي يملكها أمير المؤمنين ، ويقوم العبيد بوضع هذه المواد فوق الدواب وإنزالها [525]، ولقـــد تولـــى عملية البناء عدة فئات منها: البناؤون ،والجيارون، والنجارون ،والعرفاء، وفي أغلب الأحيان يتم جلب هذه الفئات من الأندلس [526]، إضافة إلى ما هو موجود في المغرب.

مـــن خلال دراسة الفصل السابق يمكن إبراز **أولا** أهم جوانب التطور على الأسطول الموحدي، ويمكن حصرها في النقاط التالية:

1. اســـتثمار المـــوحدين ما ورثوه عن المرابطين في إنشاء الأسطول من سفن وقواعد بحرية ودور لصناعة السفن.

---

521 - المراكشي ، المصدر السابق ، ص 222 .
522 - مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 160.
523 - الجزنائي ،أبو الحسن علي،جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس،المطبعة الملكية،الرباط1387\1967م ، ص 43.
524 - التجاني ، المصدر السابق، ص 360.
525 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ، ص 376.
526 - ابن صاحب الصلاة ، المصدر نفسه ، ص 86.

2.تولى الموحدون قيادة أساطيلهم بأنفسهم عن طريق الأشياخ والسادة الموحدين،بعد تقليصهم لدور العناصر الأجنبية.

3.سيطرت الموحدين علي قواعد بحرية ودور صناعة لم يصل إليها المرابطون مثال ذلك ما في بلاد إفريقية،مع التوسع في بناء وترميم ما سيطروا عليه من المرابطين.

4.قيام الموحدين بإدخال سفن جديدة علي أسطولهم.

5.وأخيرا انعكس ذلك علي توسع النشاط العسكري لأسطولهم.

وثانيا يمكن إبراز أهم جوانب التطور علي المنشآت الدفاعية الموحدية فيما يلي:

1.التوسع في بناء الحصون،بمساعدة مختلف هيئات الدولة من الأمراء والسادة الموحدون وهيئة الطلبة وهيئة أشياخ الموحدين.

2.الاستفادة من الخبرات الأندلسية في بناء الحصون وكان ذلك بجلب أمهر المهندسين والبناءين من الأندلس.

3.تميز حصون الموحدين بأنها أكثر أمان ،وذلك لموقعها الممتاز سوى كان ذلك فوق مكان مرتفع أو علي جانب نهر وغيرها.

4.قيام الموحدين بإدخال بناء الأبراج وخصوصا فوق الحصون.

5.تنوع الأبراج الموحدية،ومن ذلك الأبراج البرانية والأبراج المضلعة.

6.انعكاس تمازج التأثيرات المغربية الأندلسية علي بناء الأبراج.

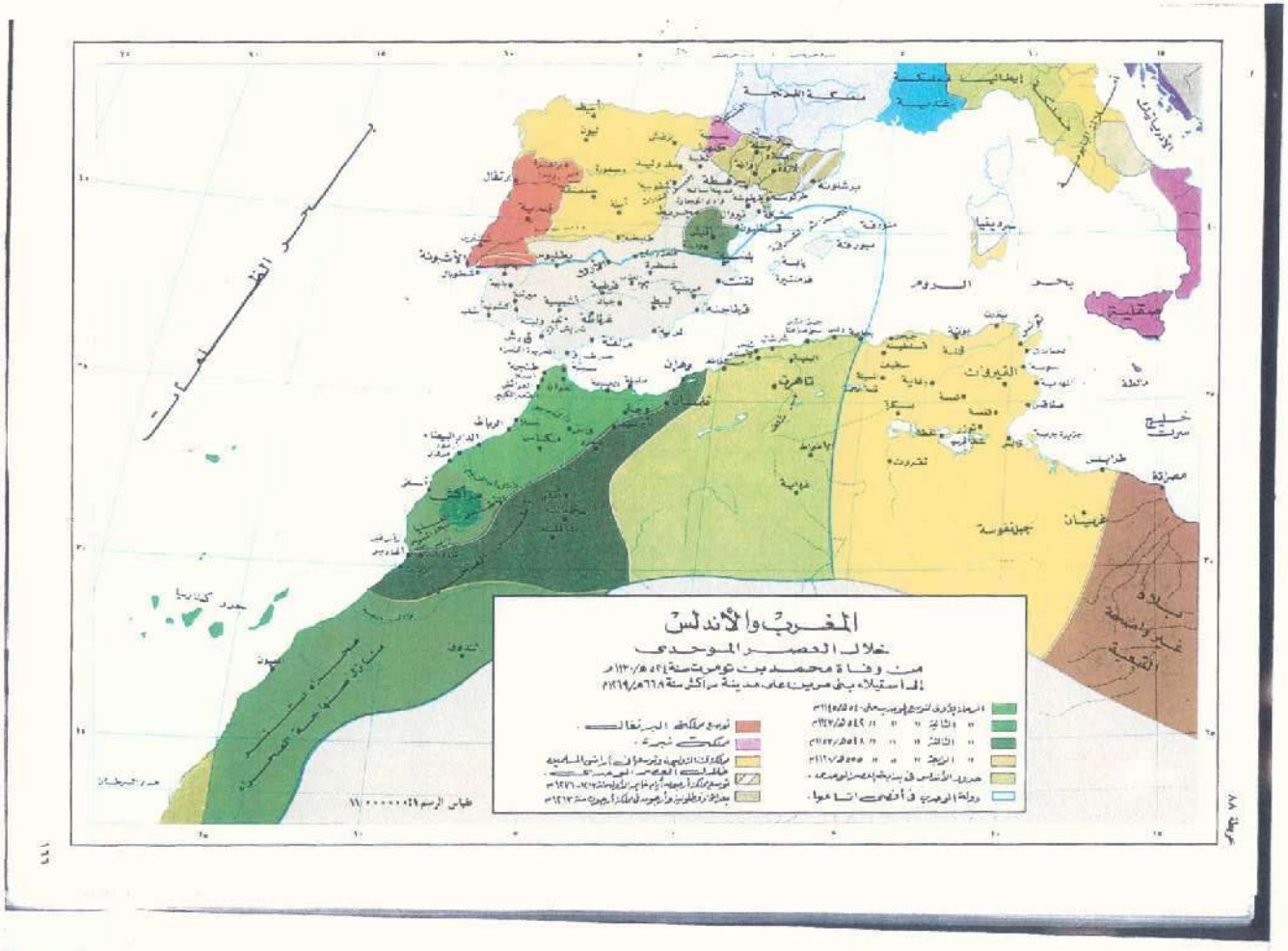
المغرب والأندلس
خلال العصر الموحدي
من وفاة محمد بن تومرت سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م
إلى استيلاء بني مرين على مدينة مراكش سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م
البحر الأبيض المتوسط
البحر المحيط
خليج سرت
صقلية
مالطة
جزيرة جربة
جزيرة قرقنة
جزر كناريا
مقياس الرسم ١/٢٠٠٠٠٠٠٠

الخـاتمـــة

وهكذا ومن خلال ما تم دراسته بخصوص تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين يمكن التوصل الي عدة نتائج ويمكن حصرها في النقاط التالية:

1. استخدام المرابطين المؤسسة العسكرية لتحقيق أغراض عسكرية صرفه.
2. استخدام الموحدين المؤسسة العسكرية لتحقيق أهداف عقائدية.
3. توحيد المرابطين للمغرب الأقصى والأندلس .
4. قيام المرابطين ببناء العديد من الفرق العسكرية داخل الجيش.
5. استحدث المرابطون عدة نظم عسكرية والتي أدت إلى بناء الجيش وتنظيمه،مثل :القيادة العسكرية ومراسم الجيش والمناصب العسكرية.
6. قيام المرابطين بتدريب جيوشهم علي العديد من الفنون العسكرية ،ومن ذلك: فن القتال وفن الحصار والخطط العسكرية.
7. بناء المرابطين أسطول وذلك من خلال استفادتهم مما سيطروا عليه من قواعد بحرية ودور لصناعة السفن.
8. تأسيس المرابطين قيادة عسكرية للأسطول وذلك من خلال الاستعانة بالخبرات الأندلسية في هذا المجال.
9. صناعة المرابطين العديد من أنواع السفن الحربية.
10. بناء المرابطين العديد من الحصون والأسوار بمختلف المدن المرابطية بالمغرب والأندلس.
11. استفادة الموحدين في تطوير مؤسستهم العسكرية مما خلفه لهم المرابطون في هذا الجانب.
12. إقامة الموحدين هيئات سياسية ودينية ساهمة في تطور المؤسسة العسكرية بفروعها الثلاثة،الجيش والأسطول والمنشآت الدفاعية.
13. إسناد الموحدين مهام عسكرية جديدة لبعض العناصر العسكرية، مثل :عناصر العبيد السودان.
14. إدخال الموحدين أسلحة جديدة علي الجيش، مثل: المخالي المملوءة بالحجارة ،وأسلحة المجانيق.
15. تأسيس الموحدين فرق عسكرية جديدة بالجيش ،مثل: فرقة الرماة.

16. تطوير الموحدين النظم العسكرية للجيوشهم ،سواء من ناحية تمييز الجيش أم فنونه القتالية أم الخطط العسكرية.

17. استحداث الموحدين وتطوير المناصب العسكرية.

18. تطوير الموحدين القيادة العسكرية للأسطول،بحيث تولوا هم قيادتها ،وذلك بعد تقليص دور العناصر الأندلسية في هذا المجال.

19. بسيطرة الموحدين علي بلاد إفريقية تمكنوا من ضم قواعد بحرية ودور لصناعة السفن لم يصلها المرابطون ،وبالتالي ساهم ذلك في تطور الأسطول الموحدي.

20. تطوير الموحدين سفن أسطولهم بحيث أصبحت اكثر جدوى عسكرية.

21. توسع الموحدين في بناء الحصون وترميم ما وصله الخراب.

22. إدخال الموحدين لفكرة بناء الأبراج بمنشآتهم الدفاعية،إضافة إلى تنوع بنائها.

23. استعانة الموحدين بأمهر المهندسين والبنائين الأندلسيين في مجال بناء المنشآت الدفاعية.

24. كان للمؤسسة العسكريةفي دولتي المرابطين والموحدين دورٌ كبيرٌ في توحيد المغرب والأندلس ،وتخليص الأندلس من الخطر النصراني.

25. جمع المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين بين التأثيرات المغربية والأندلسية.

26. منح المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين بلاد المغرب والأندلس إرثا كبيرا في الجانب العسكري وإعادة الحياة إلى ما كان ميتا منه.

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع

أولا ــ المصـــــــادر:

1. ابن الأبار .أبو عبدالله بن الأبار القضاعى .**الحلة السيراء**.حققه وعلق عليه وقابله على مخطوط مكتبتي مدريد والأسكوريال وترجم لمؤلفه وقدم له عبدالله أنيس الطباع.بيروت.1381هـ\1962م،دار النشر للجامعيين.

2. ابن الأثير.أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزرى.**الكامل في التاريخ** .دار الفكر العربي بيروت،ج9.

3. الإدريسى.الشريف.أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز.**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**.حققه ونقله للعربية محمد حاج صادق.

4. ابن بطوطة.محمد بن عبدالله الواتى.**رحلة ابن بطوطة**.تحقيق ونشر على المنتصر الكتانى.جزءان.بيروت.1979م.

5. البكرى.أبو عبدالله بن عبدالعزيز .**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**.المطبعة الحكومية.الجزائر.1852م.

6. البيذق.أبوبكر علي الصنهاجي.**أخبار المهدي بن تومرت**.تقديم وتحقيق وتعليق عبدالحميد حاجيات.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.1395هـ\1975م.

7. التجاني.أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد.**رحلة التجاني**.قدم لها العلامة المرحوم حسن حسنى عبدالوهاب.الدار العربية للكتاب.ليبيا ــ تونس.1981

8. الجزنائى.أبو الحسن علي.**جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس**.المطبعة الملكية.الرباط.1387هـ\1967م.

9. الحميرى.أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم.**الروض المعطار في خبر الأقطار**.تحقيق د.إحسان عباس.ط2.مكتبة لبنان.بيروت.1989م.

10. ابن خاقان.أبو نصر الفتح بن محمد بن عبدالله القيسي.**قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**.قدم له ووضع فهارسه محمد العنابي.المكتبة العتيقة تونس.1966م.

11. ابن الخطيب.الوزير محمد لسان الدين.**الإحاطة في أخبار غرناطة**.تحقيق محمد عبدالله عنان.ط2.مكتبة الخانجي.القاهرة.1975م.ج1

12. ابن خلدون،عبدالرحمن بن محمد.**العبر وديوان المبتدأ** والخبر.ط1،دار الكتب العلمية.منشورات محمد علي بيضون.بيروت.لبنان.1992م.المقدمة والجزء السادس والسابع.

13. ابن خلكان،شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد.**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**.تحقيق د.إحسان عباس.دار الثقافة.بيروت.1968م.الجزءان7 ، 4.

14. ابن أبي دينار.محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني.**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**.دار المسيرة.بيروت.

15. ابن أبي زرع.أبو الحسن علي بن عبدالله.**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**.تحقيق دار المنصور.دار المنصور للطباعة والوراقة.الرباط.

16. الزركشي.أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي.**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**.تونس،1289هـ\1872م.

17. ابن صاحب الصلاة.أبو مروان عبدالملك،**المن بالأمامة على المستضعفين**.تحقيق عبدالهادي التازي.ط3.دار الغرب الإسلامي.بيروت.لبنان.1987م.

18. الطرطوشي.أبوبكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري.**سراج الملوك**.القاهرة.1289 هـ.

19. ابن عذارى المراكشي. أبو العباس أحمد بن محمد. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**.علق عليها د.إحسان عباس.ط1.دار الثقافة.بيروت،لبنـــــــان. 1967م.ج3.

20. ابن عذارى المراكشي. أبو العباس أحمد بن محمد. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. تحقيق محمد بن ثابت وآخرون.دار الثقافة للنشر والتوزيع.الدار البيضاء.1985م.

21. عياض اليحصبي.القاضي بن موسى بن عياض.**ترتيب المدارك وتقريب المسالك**.تحقيق أحمد بكير محمود.دار مكتبة الحياة.بيروت.1965.ج3.

22. القلقشندي.أحمد بن علي.**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**.شرح وتعليق ومقابلة نصوص نبيل خالد الخطيب.دار الكتب العلمية.بيروت.لبنان.1987م.ج5.

23. ابن الكردبوس.أبو مروان عبدالملك التوزري.**الاكتفاء في أخبار الخلفاء**.تحقيق د:مختار العبادي.صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريـــــد.1965م.

24. مؤلف مجهول.**الحلل الموشية في ذكر الأخبارالمراكشية**.تحقيق د.سهيل زكار ــ عبد القادر زمامة.ط1.دار الرشاد الحديثة.مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء.1399هـــا 1979م.

25. المراكشي.محيي الدين أبو محمد عبدالواحد بن علي التميمي.**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**.تقديم وتحقيق وتعليق د.محمد زينهم ــ محمد عزب،دار الفرجاني للنشر والتوزيع.1994م.

26. المسعودي.أبو الحسن علي بن الحسن بن علي.**مروج الذهب ومعادن الجوهر**.تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.المكتبة المصرية.بيروت.ج1.

27. المقري.شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني.**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**.تحقيق احمد بكير محمود.دار مكتبة الحياة.بيروت.1965م.ج1ــ3ــ4.

28. المقري.شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني.**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**.مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.مصر.ج2.

29. المقدسي.شمس الدين محمد بن أحمد،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**.مكتبة خياط.بيروت.1906م.

30. المهدي محمد بن تومرت،**أعز ما يطلب**.تقديم وتحقيق عمار طالبه.المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر،1985م.

31. الناصري.أبو العباس أحمد بن خالد.**الاستقصاء لدول المغرب الأقصى**.تحقيق أ.جعفر الناصري أ.محمد الناصري.دار الكتاب.الدار البيضاء.1959م.

32. النويرى.شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب.**نهاية الأرب في فنون الأدب**.وزارة الثقافة والإرشاد القومي.المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.السفر السادس.

ثانيا ــ المراجـــــــع والدوريات:

1. إبراهيم أحمد العدوى.**الأساطيل العربية في البحر المتوسط**.مكتبة النهضة.مصر.بالنحالة.القاهرة.1957م.

2. إبراهيم حركات.**المغرب عبر التاريخ**.ط3.دار الرشاد الحديثة.الدار البيضاء.1993م.ج1.

3. حسن أحمد محمود.**قيام دولة المرابطين**.ط2.الفكر العربي.مدينة نصر.1996م.

4. حسين مؤنس.**أطلس تاريخ الإسلام**.الزهراء للإعلام العربي القاهرة.ط1 .1407 هـ\1987م.

5. درويش النخيلى.**السفن الإسلامية على حروف المعجم**.ط2.دار المعارف.الإسكندرية.1979م.

6. سعاد ماهر.**البحرية الإسلامية وآثارها الباقية**.دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.القاهرة.

7. عبد الفتاح عبادة.**سفن الأسطول الإسلامي**.1913م.

8. عبد الواحد شعيب.**دور المرابطين في الجهاد الإسلامي**.ط1.دار اقرأ.مالطا.1990م.

9. عز الدين موسى.**الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**.ط1.دار الغرب الإسلامي.بيروت.1991م.

10. علي محمود فهمي.**التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي**.ترجمة عبدة غانم.ط1.دار الوحدة.بيروت.1981م.

11. نيو بولد بالباس.**القن المرابطى والموحدى**.ترجمة د.سيد غازى.منشأة المعارف الأسكندرية.1976م.

12. محمد عبدالله عنان.**دولة الإسلام في الأندلس.عصر المرابطين والموحدين**.ط2 .مكتبـــــــة الخانجى.القاهرة.1990م.القسم الأول.

13. محمود علي مكي .**وثائق جديدة عن المرابطين**.صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد.م7.العدد2، 1. 1959م.

14. فارس بويز.**مؤسسة الطلبة في دولة الموحدين**.مجلة الدراسات التاريخية.السنة العاشرة.العددان 31 ،32،آذار، حزيران 1989م.

15. فايزة كلاس.**الجيش عند الموحدين**.مجلة الدراسات التاريخية.السنة التاسعة.العددان 29،30ـــآذار، حزيران.1988م.

16. ج.ت.نيالي.**تاريخ أفريقيا العام.أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**.صدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.طبع بالمطبعة الكاثوليكية ش.م.ل.عاريا.بيروت.لبنان.1988م.المجلد الرابع.

17. ج.ف.ب.هوبكنز.**النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**.نقله عن الإنجليزية د.أمين توفيق الطيبي.الدار العربية للكتاب.ليبيا، تونس.1980م.

18. يوسف أشباخ.**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**.ترجمة محمد عبدالله عنان.القاهرة.1940م.ج1.

ثالثا ـ المعاجـــــم:

مختار الصحاح.

معجم الوسيط،ج1- 2.

معجم لسان العرب.